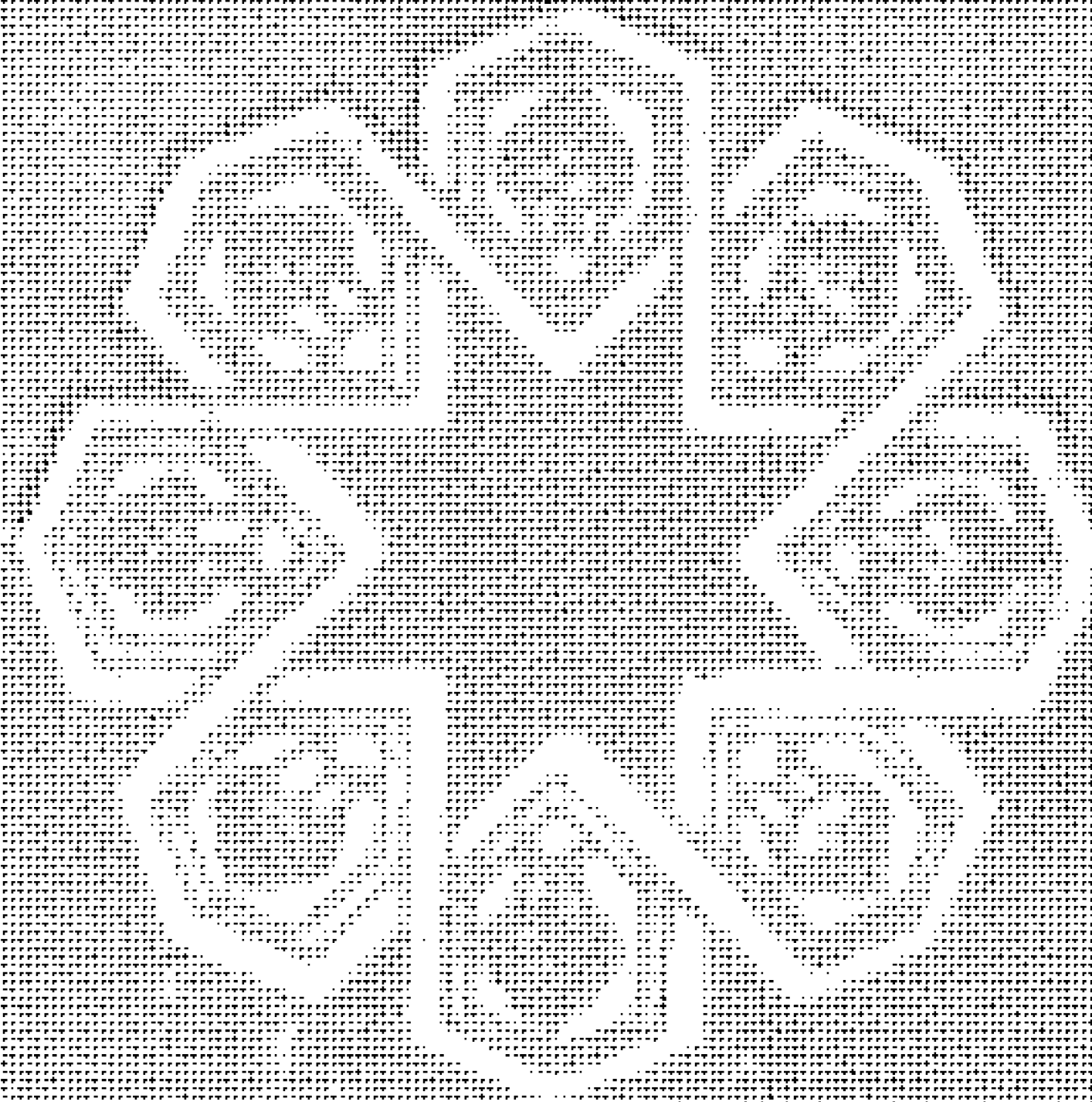




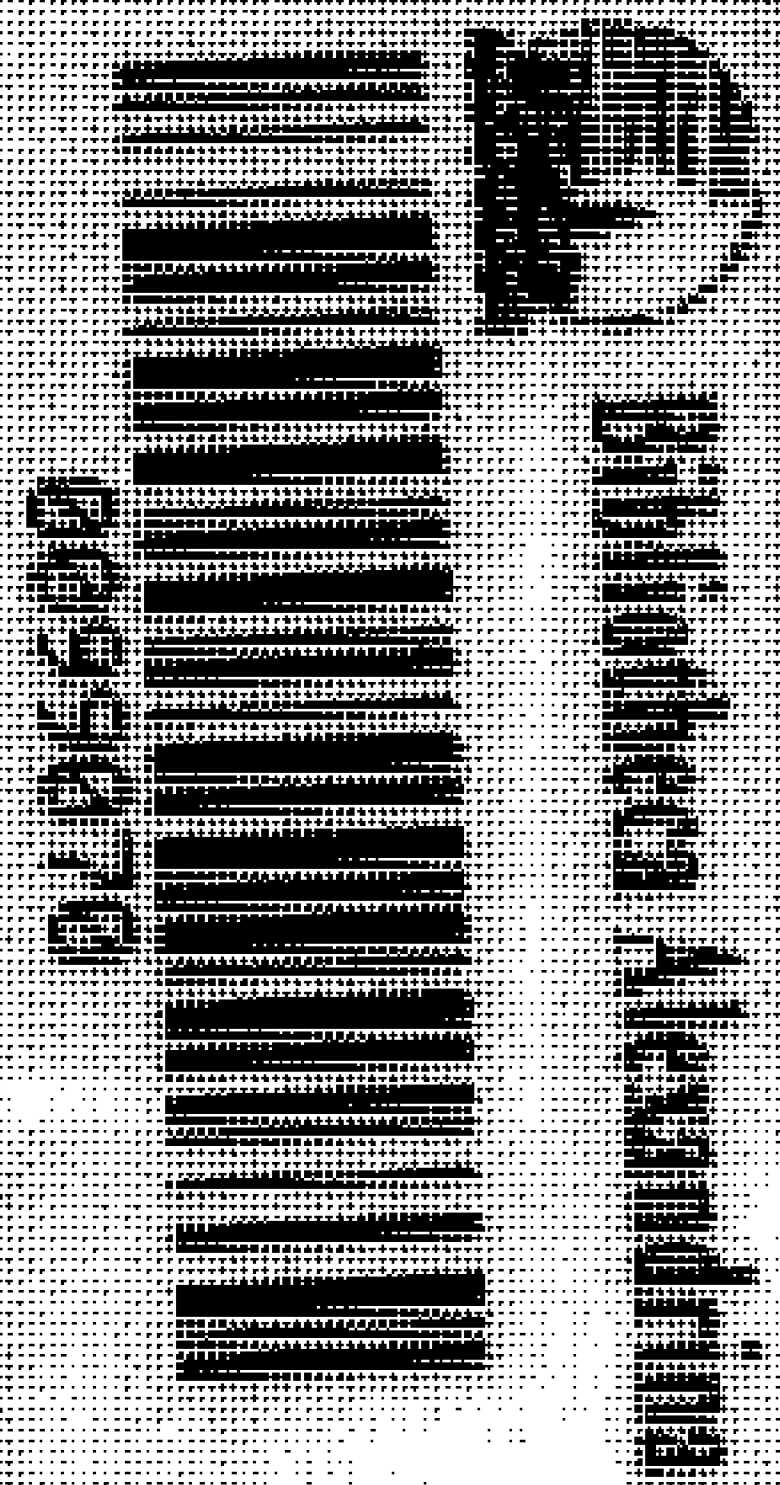
الأفعال غير المتصرفية وبشبه المتصرفية

دكتور
أحمد الحايك
مادة الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٩



دار المعرفة الجامعية
ب. ش. بونج - الإسكندرية
ت. ١٩٨٩ - ١٩٩٠



الأفعال غير المنصرفة
وشبه المنصرفة

الأفعال غير المنصرفة وشبه المنصرفة

الدكتور

أحمد سليمان ياقوت

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية

٢٠ ش. مونتيف - الإسكندرية

ت : ٤٨٣٠١٦٣

الإهداء

إلى روح أستاذي الجليل

الأستاذ الدكتور السيد أحمد خليل

رحمة الله رحمة واسعة واسكنه فسيح جناته

أحمد سليمان بالسوت

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة



هذه مجموعة من الأفعال ، نجدُها متناثرة في أبواب النحو المختلفة وقد اصطلح معظم النحويين على تسميتها بالأفعال الجامدة وشبه الجامدة. ومنهم من يسميها - وهو الأليق - بالأفعال غير المتصرفية وشبه المتصرفية. ويجمع بين هذه الأفعال كما يستبين من اسمها أنها :-

- (أ) إما لا تتصرف إطلاقاً ، أي تبقى على صورة واحدة لا تتعداها .
- (ب) وإما تتصرف تصرفاً جزئياً فتجىء على صورة أو صورتين. وهذه الأفعال هي :-

١ - ما يدخل في باب (كان وأخواتها)، وهي : ليس ودام وزال وفتى وبرج وانفك .

٢ - ما يدخل في باب أفعال المناربة، وهي كاد وكرب وأوشك .

٣ - ما يدخل في باب أفعال الشرع ، أي أمرها شرع وإنشأ وطيّق وأخذ وعلّق وهب وجعل وهلّل .

٤ - ما يدخل في باب أفعال الرجاء وهي عسى وعري وأخلّق

٥ - ما يدخل في باب أفعال القلوب وهي تعلّم وهب .

٦ - ما يدخل في بابي المدح والذم وهي نعم وبش وحسب .

٧ - ما يدخل في باب الاستعجب وهي ما أعلّ وأعسل

وسا .

٨ - ما يدخل في باب الاستثناء ، هي : لا يكونُ وليسَ وحاشاً وخلاً ومذاً .

٩ - ما لا يدخل في باب من أبواب النحو وهي وذرَ وودعَ وكذبَ (عليك) وتشاركَ وقُلَّ في مثل " قلَّ رجل يفعل ذلك " وسقطَ في مثل (سقط في يده) وعِمَّ وينبغي وأهْلَمَ وهات وتَعَالَى ويَهَيِّطُ ويسوي ونكرَ وهَدَى .

والأفعال التي لا تتصرف تصرفاً كاملاً ليست مقصورة على العربية ، ففي الإنجليزية ما يعرف بالأفعال الناقصة . defective verbs . can; could; shall; should; will would; may; might; must; ought to. وهي أفعال لا تأتي إلا على صورتين ليس غير .

وقد رأينا أن نجمع أفعال العربية شيرة المتصرفية أو المتصرفية تصرفاً جزئياً ، وقد أطلقنا عليها شبه المتصرفية ، وأفردنا لها هذا البحث ولم نجد - فيما أطلقنا عليه من مراجع - بحثاً يتناول هذه الأفعال بالدرس والتحليل .

فكل أصحاب المراجع النحوية - عدا السيوطي فيما أعلم - لا يخصصون باباً لهذه الأفعال ، بل إنهم يتناولون بعضها في الأبواب الخاصة بها ، ف (ليس) مثلاً يتناولونها في النواسخ (وحاشا) في الاستثناء ،... وتبقى بعد ذلك أفعال لا تخص باباً من أبواب النحو، مثل وذرَ وكذبَ عليك وينبغي وسقط في يده وهات وتعال - ولا تكاد نجد لها ذكراً في تلك المراجع .

أما السيوطي فقد اكتفى بجمع هذه الأفعال جمعاً ليس غير ، دون تفصيل أو شرح أو بيان للاستعمال ، اللهم إلا كلمة أو بضع

كلمات لبعض هذه الأفعال ، حتى إن جمعه لها لم يستغرق إلا صفحة من همع الهوامع ، وكذلك فعل في المزهري نقلا عن التسهيل لابن مالك .

وقد يسأل سائل : لم لم تتناول أسماء الأفعال في بحثك هذا ، وهي أفعال عند بعض النحاة ، وغير متصرفة عند الجميع ؟ وأجيب عن هذا السؤال بأن هناك رسالة للدكتوراه موضوعها : أسماء الأفعال وأسماء الأصوات في اللغة العربية للدكتور محمد عبدالله جبر ، وقد تناول الباحث في تلك الرسالة بالدرس والتحليل أسماء الأفعال المرتجلة مثل آمين وزويد وبلة وهيئات وهلم ومه الخ . ثم تناول أسماء الأفعال المنقولة من أحرف الجر مثل إليك وعليك وعنك ... والمنقولة من الظروف مثل أمامك وبعدهك وخلفك ثم تناول بعد ذلك صيغة يعال في الأمر لذلك لم نشأ أن نكرّر ما قاله ، بل ابتدأنا من حيث انتهى .

هذه واحدة ، وأخرى أن موضوع رسالتي للماجستير هو (النواسخ الفعلية والحرفية) وربما كان هناك تداخل بينها وبين موضوع هذا البحث وذلك في باب (كان وأخواتها) ، ولكن الاختلاف بين الموضوعين واضح ظاهر ، فهذا البحث يعني بالتصرف وعدم التصرف في هذه الأفعال ، في حين أن رسالة الماجستير تتعرض لاستعمال هذه الأفعال ولوظائف النسخ فيها . على أن هذا لا يعني

أنني لم أرجع إلى رسالة الماجستير بل فعلتُ ، وأشرتُ إلى كلِّ موطنٍ رجعتُ فيه إليها ، وهى مواطنٌ معدودةٌ . يضاف إلى ذلك أن مــــرَّ السنين يطورُ فكرَ الباحثِ ويغيّرُ نظرتَه العلميّةَ تجاه كثيرٍ مــــن الموضوعاتِ .

واللّهُ سبحانه وتعالى نسألُ أنْ يوفّقنا فيما بدأنا فيه . إنّه هو السميعُ العليمُ .

أحمد سليمان ياقوت

الفصل الأول

مقدمة الاتصال : هل هي جامعة أو غير جامعة ؟

هذه الأفعال كلها اصطلاح بعض النحاة على تسميتها بالأفعال الجامدة، وهذا اللفظ عندهم عكس المتصرف . واصطلاح بعضهم على تسميتها بالأفعال غير المتصرفية ، يدل على ذلك ما ذكره السيوطي في تقسيم الفعل إلى " متصرف وهو ما اختلفت أبنيتها باختلاف زمانه وهو كثير ، وجامد بخلافه وهو... " (١) . وبذلك وضع السيوطي الفصل الجامد عكساً للفعل المتصرف ، وقد حذا حذوه الشيخ محمد محيي الدين عند ما أورد أدلة النحاة على أن (ليس) حرف فاعال :
 " إنه (أي ليس) جامد لا يتصرف كما أن الحرف جامد لا يتصرف " (٢)

ونجد هذا اللفظ (الجامد) في مفسر ابن هشام ومفسراً لهذه الأفعال ، فقد عقد فعلاً عنوانه " هل تتعلق الظروف والجار والمجرور بالفعل الجامد " (٣) .

ويقول المرحوم عباس حسن " هذه الأفعال (يُقصد أفعال الشروع) جامدة ، لأنها مقصورة على الماضي ، إلا (طلق) و(جعل)

(١) معجم الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي ٢٥ ، ص ٨٢ بيروت دون تاريخ .

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج١ هامش ص ٢٦٢ تحقيق محمد محيي الدين . التجارية الكبرى بمصر سنة ١٩٦٤ .

(٣) المفسر لابن هشام ص ٥٧١ تحقيق الدكتور مازن المبارك وآخرين بيروت ١٩٧٩ .

فلهما مضارعان ^(١) .

ويقول في أفعال الرجاء " هي أفعال ماضية ^(٢) في لفظها جامدة في الصيغة " ^(٣) .

وهناك مواضع أخرى في النحو الوافي وصفت فيها هذه الأفعال وغيرها (بالجمود) وليس (بعدم التصرف) .

وكذلك نجد في (شذائع العرف) ^(٤) تقسيمات عديدة للفعل منها :-

- (١) الماضي والمضارع والأمر .
- (٢) الصحيح والمعتل، ولكل أقسامه .
- (٣) اللازم والمتعدي .
- (٤) التام والناقص .
- (٥) المبني للمعلوم والمبني للمجهول .
- (٦) الجامد والمتصرف .

فوضع الجامد بإزاء المتصرف .

على أن هناك من النحاة من وصف هذه الأفعال بعدم التصرف ، فابن يعيش يقول في شرحه على مفصل الزمخشري " وهذه (عسى)

(١) النحو الوافي ج ١ ص ٢٠ دار المعارف ط ٤ .

(٢) السابق ج ١ ص ٦٦٢ .

(٣) شذائع العرف في فن الصرف للشيخ أحمد الحملاني ص ٢٤ الحلبي .

مجموع سنة ١٩٦٥ .

قد خالفت غيرهما من الأفعال ومنعت من التصرف ^(١) .

ويقول أيضا عن (نعم وبئس) : " وأيضا فان آخرهما يُبنى على الفتح من غير عارضٍ عُرِضَ لهما ، كما تكون الأفعال الماضية كذلك ، إلاّ أنّهما لا يتصرفان ، فلا يكون منهما مفاعٌ ولا اسمٌ فاعل ، والعلة في ذلك أنّهما تضمنا ما ليس لهما في الأصل ، وذلك أنّهما نقلتا من الخبر إلى نفس المدح والذم ، والأصل في إفساد المعاني إنّما هي الحروف، فلما أفادت فائدة الحروف خرجت عن بابها، ومنعت من التصرف كليس وعسى ^(٢) .

ويقول صاحب الإنصاف " ذهب الكوفيون إلى أنّ (نعم وبئس) اسمان مبتدآن ، وذهب البصريون إلى أنّهما فعلا ماضيان لا يتصرفان ^(٣) .

ويقول في موضع آخر ^(٤) " الدليل على أنّهما ليسا بفعلين أنّهما غير متصرفين " . ولكنه في موضع آخر يقول عن أفعل التعجب : " أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا الدليل على أنه اسم أنه جامد لا يتصرف ولو كان فعلا لوجب أن يتصرف ^(٥) . فجمّع بين (جامد) و (لا يتصرف) معاً .

(١) شرح المصطلح ج ٧ ص ١١٦ المنيرية بالقاهرة دون تاريخ .

(٢) السابق ج ٧ ص ١٢٧ .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات بن أبي سعيد الأنباري ج ١ ص ٦٦ تحقيق محمد محيي الدين ج ١ صبيح سنة ١٩٥٣ م .

(٤) الإنصاف في مسائل ج ١ ص ٦٩ .

(٥) السابق ج ١ ص ٨١ .

أما سبويه فإنه يذكر أوصافاً أخرى لهذه الأفعال ، كقوله
عن حَبَّذا ونِعَمَ في لزومهما صورةً واحدةً " فلزم هذا في كلامهم
ولأنه صار كالمثل^(١) ويقول عن (أفعل) التعجب : " هذا بابٌ ما
يعمل الفعل ولم يجر مجرى الفعل ولم يتمكن تمكُّنه وذلك قولك ما
أحسنَ عبدُ الله " .^(٢) وفي موضع آخر يقول عن ليس : " وأما
ليس ، فإنه لا يكون فيها ذلك ، لأنها وضعت موضعاً واحداً ، ومن
ثم لم تَصَرَّفَ تصرّفَ الفعل الآخر " .^(٣)

ونتساءل بعد هذا العرفي لأقوال طائفة من النحاة : انطلقوا
على هذه الأفعال (الأفعال الجامدة) أو نطلق عليها (الأفعال
غير المتصرفة) ؟

ولعل من اللائق قبل أن نجيب عن هذا التساؤل أن نُلقيَ نظرةً
الفتوة على ماهية الجامد وماهية المشتق ، ونوضح أيضاً معنسى
التصريف .

فأما الجامد فقد جاء ذكره في كتب الصرفيين عندما يتسمون
الاسم إلى جامدٍ ومشتق ، فالجامد مندهم ما لم يُؤخذ من غيره .^(٤)

أي أنه أصلٌ وليس ناتجاً عن صورة سابقة مشتقٌ منها ،
أو كما يقول المرحوم الأستاذ عباس حسن " إنه وُضع على صورته

(١) الكتاب ح ١ ص ٣٠٢ ط المثنى ببغداد .

(٢) السابق ح ١ ص ٣٧ .

(٣) السابق ح ١ ص ٢١ .

(٤) شد الحرف ص ٦٧ .

الحالية ابتداءً ، وليس له أصل يرجع إليه أو يُختص به ^(١) . وله
أسماء .

(أ) اسم ذات كرجل وشجر وبقر .

ويُطلقون عليه اسم عين بمعنى أنه محسوس من الممكنين
رويته .

(ب) اسم معنى : مثل فهم والبيام وقعود وزمان ، فهو لا يتسبب
في دائرة المحسوسات كمثل إنه شيء معنوي لا يدرك وهذه هي
المصادر التي يشتق منها .

على أن هناك بعض الجوامد التي تلحق بالمشتق في بعض
استعمالاتها ، كاسماء الإشارة والاسم الجامد المنسوب أو العنصر .

والد اشتقاق العرب الأفعال من المصادر ^(٢) ، أي من ~~أسماء~~
المعاني الجامدة ، هذه هي القاعدة ، غير أن هناك من النباحين من
رأى أن العرب قد اشتقت الأفعال من أسماء الأعيان الجامدة أحياناً ،
وقد أتى بأمثلة كثيرة لذلك منها الفعل رأس من الرأس ، فلانوا :

(١) انظر الوافي ج ٣ هامش ص ١٤٤ وقد رجعنا في ذلك إلى ~~المراجع~~
للمراجع التي أشار إليها الأستاذ عباس حسن وهي مجلة مجس
اللغة العربية ج ١ ص ٢٨١ ، و ج ٢ ص ١٩٥ ، ٢٤٥ كما أن
هناك بحثاً آخر في هذا الموضوع في الجزء الرابع ص ٢٢٨ .

(٢) هذا هو مذهب البصريين الذين يرون أن المصدر أصل والفعل فسور
عليه ، والكولبيون يرون العكس ، ومنرجع إلى ذلك بعد قليل ،
وانظر الإصناف في مسائل الخلاف ج ١ ص ١٤٤ .

رَأَسُهُ إِذَا أَصَابَ رَأْسَهُ ، وَالْفِعْلُ بَارَأَ مِنَ الْبَشَرِ وَمِنْهُ بَشَّرَ فَلَانٌ بَشَرًا إِذَا حَفَرَهَا ، وَالْفِعْلُ زَبَدَ مِنَ الزُّبْدِ ، فَقَالُوا زَبَدَتُ الرَّجُلَ زُبْدًا، أَيِ أَطْعَمْتُهُ الزَّبْدَ ، وَمِنْ هَذَا الْاِشْتِقَاقِ أَيْضًا الْفِعْلُ ذُوبَ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الزَّبْدِ ، أَيِ صَارَ مِثْلَهُ خَبثًا وَدِهَاءً ^(١) .

وَقَدْ أورد السيوطي قولهم استجحر الطين واستنوق الجمال ^(٢) .

هذا عن الجامد ، فماذا عن المشتق ؟ لقد كتب كثيرون في الاشتقاق وأُفِرِدَتْ لَهُ مَوَلِّفَاتٌ ، يقول السيوطي . أَفَرَدَ الْاِشْتِقَاقَ بِالتَّأْلِيفِ جَمَاعَةً مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، مِنْهُمْ الْأَصْمَعِيُّ وَقَطْرِبُ وَأَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ وَأَبُو نَصْرٍ الْبَاهِلِيُّ وَالْمُفْضِلُ بْنُ سَلَمَةَ وَالْمُبَرِّدُ وَأَبُو دَرِيدٍ وَالزَّجَّاجُ وَأَبْنُ السَّرَاجِ وَالرَّمَانِيُّ وَالنَّحَّاسُ وَأَبْنُ خَالَوَيْهِ ^(٣) .

وَأَمَّا كِتَابُ الْاِشْتِقَاقِ الْمَحْدَثُ فَمِنْهَا (الْعِلْمُ الْخَفَاقُ فِي عِلْمِ الْاِشْتِقَاقِ) مُحَمَّدٌ صَدِيقٌ بِهَادِرٍ ، وَالْاِشْتِقَاقُ وَالتَّعْرِيبُ لِعَبْدِ الْقَادِرِ الْمَغْرِبِيِّ وَكِتَابُ الْاِشْتِقَاقِ لِلْأُسْتَاذِ عَبْدِ اللَّهِ أَمِينٍ ^(٤) .

(١) من بحث للأستاذ عبد الله أمين بمجلة مجمع اللغة العربية - الجزء الرابع : أكتوبر ١٩٣٧ ص ٢٢٨ بعنوان " بحث في الطرق التي سلكها العرب عند اشتقاقهم الأفعال من أسماء الأعيان .

(٢) المزهر ١ ص ٢٥٠ تحقيق محمد جاد المولى وآخرين . عيسى الحلبي دون تاريخ .

(٣) المزهر ١ ص ٢٥١ .

(٤) من مقدمة كتاب الاشتقاق لابن دريد ، وهو الذي حققه الأستاذ عبد السلام هارون . مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٧٩ .

" والاشتقاق هو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاليهما معنـــــى
و " مادة " أصلية وهيئة تركيب لها ، ليدلّ بالثانية على معنـــــى
الأصل ، بزيادة مفيدة ، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة كضارب من
قَرَبَ وَحْدَر من حذر ^(١) .

ويعرفه الأستاذ عبدالله أمين بأنه أخذ كلمة من كلمـــــة
أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ منه فى اللفظ والمعنى جميعاً ^(٢) ، وهو
تعريف قريب من تعريف الأستاذ هارون " هو أخذ كلمة من كلمـــــة
أو أكثر مع تناسب بينهما فى اللفظ والمعنى " ^(٣) .

والاشتقاق وسيلة من وسائل نمو اللغة وتطورها وزيادة ثروة
الألفاظ فيها ، وقد اتخذ بعض اللغويين أساساً فى تقسيم
اللغات إلى فصائل ^(٤) .

وقد بيّن السيوطى التغييرات بين الأصل المشتق منه والفـــــرع
المشتق وحصرها فى خمسة عشر :

-
- (١) العزهر ح ١ وص ٢٤٦ .
 - (٢) كتاب الاشتقاق ص ١ لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،
١٩٥٦ .
 - (٣) مقدمة كتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٦ .
 - (٤) يطلق بعض اللغويين على اللغات التى تتميز بالاشتقاق (فصيلة
اللغات المتصرفية) Flexionnelles أو التحليلية Analytiques
وذلك كاللغة العربية فإن كلماتها تتغير معانيها بتغيير
بنيتها ، فنقول عِلْمٌ للدلالة على المصدر ، وَعِلْمٌ للدلالة على
الفعل الماضى ، وعِلْمٌ (بتشديد اللام) للدلالة على تعدي الفعل...
والمعلوم للدلالة على ما وقع عليه العلم وهلم جرا .
علم اللغة دكتور علي عبدالواحد وافي ص ٨٦ مكتبة
النهضة سنة ١٩٤٤ .

- الأول : زيادة حركة - كَعْلَم - وَعَلِم .
- الثاني : زيادة مادة كطالب وطلب .
- الثالث : زيادتهما كضارب وضرب .
- الرابع : نقصان حركة كالفرس من الفرس (بتسكين الواو)
- الخامس : نقصان مادة كثبت وثبات .
- السادس : نقصانها كنزا ونزوان .
- السابع : نقصان حركة وزيادة مادة : كغضبي وغضب .
- الثامن : نقصان مادة وزيادة حركة كحرم وحرمان .
- التاسع : زيادتهما مع نقصانها كاستنوق من الناقة .
- العاشر : تغاير الحركتين كبطر بظرا .
- الحادي عشر : نقصان حركة وزيادة أخرى وحرف كاضرب من الضرب .
- الثاني عشر : نقصان مادة وزيادة أخرى كرافع من الرفاعة .
- الثالث عشر : نقصان مادة وزيادة أخرى وحركة كخاف من الخوف ؛ لأن الفاء ساكنة في خوف لعدم التركيب .
- الرابع عشر : نقصان حركة وحرف وزيادة حركة فقط ، كعد من الوعد ، فيه نقصان الواو وحركتها وزيادة كسرة .
- الخامس عشر : نقصان حركة وحرف وزيادة حرف ، كفاخر من الفخار ، نقصت ألف وراحت ألف وفتحة . (المزهر ١/ ٢٤٨) .

والاشتقاق عند ابن جني نومان :

الأول الاشتقاق الأمشجر " كان تأخذ أصلا من الأصول

فتتقراه ، فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه ، وذلك
كتركيب (سلم) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تعرفه نحو سلم
ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والتسليم ... " ^(١)

والنوع الثاني الاشتقاق الأكبر " وهو أن تأخذ أصلاً من
الأصول الثلاثية ، فتعقد عليه وعلى تغاليبه الستة معنى واحداً ،
تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد عليه " ^(٢) . ويضرب
مثلاً لذلك مادة قَوَلَ ، فيقول " إن معنى (قول) أين وجدت وكيف
ولعت من تقديم بعض حروفها على بعض وتأخيره عنه إنما هو
للخفوف والحركة " ^(٣) .

وقد تعرضت لهذا النوع بالدراسة التفصيلية ، ورأيت أن أبين
جنى قد جانبه الصواب عندما قال إن تغاليب المادة الواحدة تعطي
معنى واحداً أو معاني متشابهة ^(٤) .

هذا وقد أورد السيوطي أمثلة أخرى للاشتقاق لا تدخل
تحت هذين النوعين ، هذه الأمثلة التي ذكرها السيوطي أوجت لنسبها
بتقسيم الاشتقاق إلى نوعين :

الأول الاشتقاق بمعناه العام Derivation وهو الذي أسماه

(١) الخصائص ج ٢ ص ١٣٤ تحقيق محمد علي النجار . دار الكتب
المصرية سنة ١٩٥٥ .

(٢) الخصائص ج ٢ ص ١٣٤ .

(٣) الخصائص ج ١ ص ١٣٤ .

(٤) كتابنا " دراسات نحوية في خصائص ابن جني " ص ٢٢٧ وما
بعدها ، دار النشر الحامدي ، سنة ١٩٨٠ .

ابن جنى اشتقاقاً أصغر . كان تشتق من الكلمة اسمَ فاعلٍ أو اسمَ
مفعول أو اسم مكان أو صفةً مشبهةً، وهو الاشتقاق المتعارف عليه
مدرسياً .

(١) والثاني الاشتقاق التاريخي Etymology ، وهو التتبعُ
التاريخيُّ لمعاني المشتقات من الكلمة الواحدة أو إرجاعُ معنًى
من المعانى إلى اشتقاقه من كلمةٍ ما لعلاقةٍ دلاليةٍ تجمعُ بينهما ،
أو هو — كما يقول فندريس — " أخذُ الفاظِ القاموسِ كلمةً كلمةً ،
وتزويدُ كلِّ واحدةٍ منها بما يشبه أن يكونَ بطاقةً شخصيةً يُذكرُ
فيها من أين جاءتْ ومتى وكيف رُسيختْ والتقلباتُ التي مرَّتْ بها " (٢) .

والأمثلةُ التي ذكرها السيوطي وأوحت لنا بهذا التفسيرِ
تدخل جميعها في نطاق القسم الثاني ومنها :-

- (١) سُميت (مينى) بهذا الاسم لما يُمنى فيها من الدماء .
- (ب) يقال (شَجَرْتُ فلاناً بالرُّمَح) من الشجرة ، لأنك تجعله في الرمح
كالغصن في الشجرة .
- (ج) شَادِقٌ : اسمُ فرسيٍّ مشتقٌّ من (شَدَقَ المطر) إذا سال وانصب
فهو شادق (فكانَ الفرسَ هذا في سرعته كالْمَطَرِ إذا سال
وانصب .

(١) لم يكن ذكر هذين النوعين عبثاً أو إطالةً للبحث دون داعٍ، فالنوع
الثاني وهو الاشتقاق التاريخي Etymology هو الذي سنعتمد
عليه في تأميل بعض الأفعال غير المتصرفة .

(٢) اللفظة ص ٢٢٦ . ترجمة الأستاذين الدواخلي والقصاص، الأنجلو-
المصرية ١٩٢٠ .

(د) الثور : سُمِّي بهذا الاسم لأنه يثير الأرض .

(هـ) الجَرَجِير : سُمِّي كذلك لأن الريح تُجَرِّحُهُ أي تجرّه ^(١) .

وقد ذكر فندريس مثلاً لهذا النوع من الاشتقاق، — رأى أن ماريشال وهي أكبر رتبة عسكرية — إنما كان اشتقاقها من خادم الاصطبل في الألمانية القديمة . ^(٢)

ومما يدخل في هذا النوع أيضا ما لاحظ الأستاذ عبد السلام هارون ^(٣) في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ، فقد لاحظ أنسبه قد جرى في كتابه على بيان اشتقاق أسماء البلدان العربية ، ويرجع في هذا إلى الاشتقاق التاريخي والرجوع بالكلمة إلى أصلها في كلمات أخرى أو في مناسبات أخرى .

من ذلك قوله عن السُّنْد بكسر أوله وسكون ثانيه ، وآخره دال مهملة " بلاد بين الهند وكرمان وسجستان . قالوا السُّنْد والهند كانا أخوين من ولد بولير بن يقطين بن هام بن نوح ، يقال للواحد من أهلها سندي والجمع سند مثل زنجي وزنج ^(٤) " .

وكقوله " صَبَّاب بالفتح ثم بالتشديد وباء أخرى من صَبَّ

(١) المزهر ج ١ ص ٢٥١ وما بعدها بتصريف .

(٢) اللغة ص ٢٢٧ .

(٣) كتاب الاشتقاق لابن دريد " المقدمة التي كتبها محققه عبد السلام هارون " ص ٣٠ .

(٤) معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٢ ص ٧٦٧ بيروت ١٩٥٥ .

الماء يَصْبُ فهو صَبَابٌ . جفرفى ديار بني كلاب كثير النحل ^(١) .

وكقوله " صباح بالضم ثم التخفيف ، قاله أبو منصور، رجل أصبح اللحية الذي يعلو شعرَ لحيته بياضٌ مشرب بحمرة ومنه صبح النهار ، ومن ذلك قيل دم صباحي لشدة حمرة . قال : عبيط صباحي من الحرف أشقر . وذو صباح موضع لى بلاد العرب ومنه يوم ذو صباح ، وقيل صبح وصباح ما أن من جبال نملي لبني قريظ...^(٢) " .

لم يبق لنا إلا أن نبين معنى التصريف ، وأمره هينٌ فهو علم يبحث فيه من أحكام بنية الكلمة العربية وما لحرفوها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وشبه ذلك .^(٣)

" وليس من التصريف عند جمهرة النحاة - تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة ، ليؤدى معانى مختلفة كالتمغير والتكسير والتثنية والجمع والاشتقاق...^(٤) " .

ويرى بعض النحاة أن التصريف أهم من الاشتقاق لأن بنية مثل تردد من الضرب يسمى تصريفا ولا يسمى اشتقاقا ، لأنه خاص بما بنته العرب ^(٥) " .

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٩١ .

(٢) السابق ج ٣ ص ٣٩١ .

(٣) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٥٢٩ .

(٤) النحر الوافى ج ٤ ص ٥٦٢ .

(٥) المزهر ج ١ ص ٣٥١ .

يحسن بنا بعد هذا العرض أن نجيب عن التساؤل الذي عرضنا له في أول الفصل .

إنّ تسمية هذه الأفعال بالجامدة خطأ ، وذلك :

(١) لأن الجمود والاشتقاق قسمان للاسم ، يدل على ذلك بيت الألفية في خبر المبتدأ عندما يكون جامدا .

والمفرد الجامد فـسارغ وإن

(١) يشتق فهو ذو ضمير مشتق .

(٢) وأن التصرف وعدم التصرف قسمان للفعل ، وقد اطلع على ذلك جمهور النحاة في معظم كتبهم ، إلا أنهم عندما جاءوا إلى الأفعال موضوع بحثنا أطلقوا عليها الأفعال الجامدة . وهذا ليس وقصوا فيه ، وربما كانوا يقصدون بالجامد عكس المتصرف ، وليس عكس المشتق .

(٣) وأن هذه الأفعال ليست جامدة ، بمعنى أنها لم تؤخذ من غيرها ، أو أن الصورة التي عليها هي الصورة الأولى ، لا ، بل إنها مشتقة ، أو قل إن معظمها مشتق ، واشتقاقها يرجع في

(١) شرح ابن عقيل ٢٠٥/١ .

(٢) لابد أن نفترض هنا أن الفعل فرع المشتق من الأصل ، أي أن الفعل مشتق من المصدر ، موافقين في ذلك رأي البصريين : إذ إننا لو فرضنا العكس ، أي أن الفعل هو الأصل ، لكانت كل الأفعال جامدة غير مشتقة (اسم مفعول) ، وتكون هذه الصورة التي نراها عليها هي الصورة الأولى الأصلية ، ولا أصل لها قبل يرجع إليه ، هذا إلى أننا في بحث سابق رأينا أن المصدر ربما كان هو الأصل ، ذلك لأن الفعل إنما هو تجريد ، أي أنه فكرة غير مشخصة أو غير ملموسة مثل (أكل) ، أما الاسم فهو في بعض أحواله مشخص أو ملموس مثل (الاكل) . والملموس أو المشخص هو الذي يقرع الذهن أولا ثم يأتي بعد ذلك المجرد (وانظر اللغة لفندريس ص ١٨١ ، وكتابنا " في علم اللغة التقابلي ص ١٥٥ ") دارالمعرفة الجامعية سنة ١٩٨٥ .

الأغلب الأعم إلى الاشتقاق بمعناه التاريخي Etymology، أي أن هذا الاشتقاق ليس جاريًا على سنن العرب كأن تشتق من الكلمة اسم فاعل أو اسم مفعول أو اسم مكان أو صفة مشبهة.... حسب القواعد المذكورة عندهم ، بل إن الاشتقاق يستبين فيها بتتبع المراحل التاريخية التي مرت بها هذه الكلمة أو تلك ، وبمقارنتها ————— في بعض الأحيان — بكلمات أخرى من الفصيلة نفسها . وهو بحثٌ صعبٌ مرامُه عسيرٌ نوالُه ، وليس في استطاعة الباحث تطبيقُه على كلِّ الأفعال .

ولناخذَ مثلاً على ذلك الفعل (ليس) ، فستجده مكوناً أو قُلُوباً مشتقاً من لا النافية بإضافة إلى فعل الكينونة في العبرية يـ ش فأصبح (ليس) وهذا مطابقٌ لتعريف الاشتقاق عند العرب ، فقد قالوا عنه "هو أخذُ كلمةٍ من كلمةٍ أو أكثر" . وقد أخذنا هذا الفعل من كلمتين .

وقد فُظِنَ إلى ذلك الخليلُ — رحمةُ الله عليه — عندما قال آيس ولا آيس . هذا مثالٌ ، مثال آخر (نعم) أليست هذه المسادة الثلاثية دالةٌ على الترف وسعة العيش والرخاء بل هي كذلك ، فليس غريباً إذاً أن يؤخذَ منها معنى المدح والاطراء في عصر من العصور ، وإذا انتقلنا إلى نقيضها (بئس) وجدنا فكراً الاشتقاق التاريخي متحققةً أيضاً ، فالمادة الثلاثية تُشير إلى الضنك والضييق والبؤس والفقر وما إلى ذلك ، فيرجعُ أنها في عصر من العصور استعملت في معنى متقاربٍ لهذه المعاني وهو الذم ، ثم استمرَّ هذا المعنى مستعملاً إلى الآن .

ثم نأتى إلى حبذا وهى حبّ و ذا وقد كُتبت كلمةً واحدةً
وكانت فى الأصل كلمتين ، فأما (حب) فواضح أن معنى الممدوح
قريبٌ منها، بل ملتصقٌ بها ، وأما (ذا) فهو اسمٌ إشارة يدل على
الشيء المحبوب الذي أُشير إليه ونظن أنهما كانتا منفصلتين
(حب + ذا) ثم إنّه بتطور الاستعمال اتصلت الذال بالياء ، فأصبحتا
على هذه الصورة (حبذا) . ولو أن الياء كانت حرفاً آخر لا يتصل بما
بعده كالأراء مثلاً لبقيتا منفصلتين .

والفعل (لا يكرن) انتزع من استعماله كفعلٍ ناقصٍ ، ووضع
فى أساليب الاستثناء على حالته تلك دون أن يتعداها إلى صورة
أخرى . ويدل على هذا (الانتزاع) أنه محدود الاستعمال ، إن لم
يكن نادره فى أسلوب الاستثناء ، وهذا لم يتم فى فترة محدودة
بل هو نتيجة للتطور فى الاستعمال .

وهكذا إذا تتبعنا معظم الأفعال غير المتصرفة نجدها فى
الأغلب ترجع إلى كلمات لها صلةً القربى فى المعنى أو فى التركيب
بهذه الأفعال ، ثم اشتقت منها فى زمن ما ، ثم صارت شائعةً
مستعملةً .

وقد قلّت غير المتصرفة وهى تسببة صحيحة ، لأن المقصود
بذلك أنها لا تتصرف ، أى لا تأتى فى الأزمنة المختلفة كالماضى
والمضارع والأمر وباقي التماريف كاسم الفاعل واسم المفعول ... الخ .
بل تأتى على صورة واحدة أو صورتين . وقد قلّت (معظم)
الأفعال (و (فى الأغلب الأعم) ، لأن هناك أفعالاً لا صلة
بينها وبين ما أخذت منه . وإلا فما العلاقة بين المادة الثلاثية

(كَرَب) والفعل (كَرَب) بمعنى دنا ^(١) وما العلاقة بين (عسى)
كفعل من أفعال الرجاء وبين ما تدل عليه هذه العبارة وهو الكبر :
يقال عسى الشيخ يعسو أي كبر وضعف وقل بصره ^(٢) .

وبعد أن أجمالنا القول في هذه الأفعال من حيث عدم التصرف أو
الجمود ، وراينا أن وصلها بغير المتصرفة اليق وأحسن : لأن الجمود
ليس من طبيعتها ، بل إن كل فعل منها كان مشتقا أو مأخوذا
من كلمة أو كلمتين . أقول بعد أن فعلنا ذلك نتناول ههنا
الأفعال بالدراسة طائفة طائفة ، ونبدأ بتلك الأفعال التي تنتمي
إلى باب النواسخ في النحو .

١ ١ ١ ١ ١
١ ١ ١
١

-
- (١) ربما تكون العلاقة في اللفظ فالكاف والقاف من مخرجين متقاربين
وسنبين ذلك بالتفصيل في موضعه إن شاء الله .
(٢) سيأتي بحث هذه الأفعال كل على حدة في موضعه .

الفصل الثاني

كسان وأخواتها

أما الاستعمال الخاص الذي نلصده فهو (لا يكون) في أسلوب الاستثناء ، ويكون الفعل في حالة المضارع دون الماضي أو الأمر مسبوقة بحرف النفي (لا) دون غيره من حروف النفي نحو ما ، ولم . فـ (لا يكون) دون غيره من التماريف الأخرى هو الذي يستعمل في أسلوب الاستثناء .

أما الثاني فهو (ليس) وهو غير متصرف في كل الأحوال ؛ أي إذا استعمل فعلا ناقصا^(١) أو استعمل في أسلوب الاستثناء . ونلاحظ أن أسلوب الاستثناء التي جاءت مستخدمة هذين الفعلين قليلة جدا بل نادرة ، مما يدل على أنهما ولما أملا للنسخ لا للاستثناء ، فمن قواعد استعمالهما للاستثناء قول روية :

عَدَدْتُ قَوْمِي كَعَدِيدِ الطَّيْسِ إِذَا ذَهَبَ الْكِرَامُ لَيْسَ

وقوله عليه الصلاة والسلام " يُطِيعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خَلْقٍ لَيْسَ الْخِيَانَةُ وَالْكَذِبُ " . وهذان الشاهدان وردا في جميع الهوامع في باب الاستثناء ليس ولا يكون ، كما ورد بيت روية في المفضي^(٢) حسرت الكاف دون أن يستشهد به ابن هشام على الاستثناء ليس ، كما نقلهما (البيت والحديث) الأستاذ عباس حسن في النحوي^(٣) الوافي . ولقد أورد ابن هشام في المفضي حديث رسول الله

(١) سنيين بعد الليل أن كان فعلا أو حرفا .

(٢) عديد الطيس أي الرمل الكثير . وقد استشهد به ابن هشام في حرف الكاف ص ٢٢٧ وفي الخزانة ٢٤٥(٢) ٤٥٤-٢٠ .

(٣) جميع الهوامع ص ٢٢٥ .

(٤) المفضي ص ٢٢٧ .

(٥) اننحو الوافي ص ٢ ص ٢٥٨ .

على الله عليه وسلم " ليس من أصحابي أحدٌ إلا ولو شئت لأخذتُ عليه
 ليس أبا الدرداء " وقد قال محققُ المغنى إنه بحثَ عن هذا
 الحديث في كتب الصحاح فلم يجدْهُ .^(١) كما أنى بحث في صحيح
 مسلم عن الحديث الأول " ... ليس الخيانة والكذب فلم أجده ،
 ووجدته في إحياء علوم الدين للفراي بنصٍّ آخر هو " كل خلسة
 يُطبع عليها المؤمنُ إلا الخيانة والكذب "^(٢) . فلم يستعمل
 (ليس) .

أما ما جاء في كتب النحو مثلاً على ذلك فهو نحو " أتاني
 القومُ ليس زيدا و (لا يكون زيدا) (وقام القومُ ليس زيدا)
 و (لا يكون زيدا) "^(٣) .

وبدل على أنهما وضعاً أصلاً للنسخ بالإضافة إلى ما ذكرناه
 أن إعرابهما في أسلوب الاستثناء مطابق تماماً لإعرابهما عندما
 يكونان ناسخين . قال السيوطي في شرحه على بيت روية " وقوله
 (ليس) ، أي ليس الذهاب أي أي ، فاسمُ (ليس) مستترٌ فيهما
 وخبرها الضميرُ المتصلُ بها "^(٤) . ونجد أن هذا الإعرابَ متحققاً أيضاً
 في قولهم (قام القومُ لا يكون زيدا) فتأويلُهُ عندهم (قام القومُ
 لا يكون بعضهم زيدا)^(٥) .

(١) المغنى ص ٢٨٧ (الهامش) .

(٢) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ١٢٢ ج ١ عيسى الحلبي مصر .

(٣) انظر مثلاً سيبويه ج ١ ص ٢٧٦ وابن عقيل ج ١ ص ٦١٦ .
 والأشموني ج ٢ ص ١٢٥ .

(٤) شرح شواهد المغنى ص ١٦٧ .

(٥) هناك إعرابان آخران يذكرهما النحاة في مرجع الضمير المستكن

ولكن لماذا استخدم هذان الفعلان دون غيرهما من النواسخ في أسلوب الاستثناء ؟ والاجابة عن هذا السؤال تتضح بمسند أن نعرف معنى هذين الفعلين ، إذ إن معنييهما واحد وهو عدم الوقوع أو عدم الحدوث أو بمعنى آخر نفى الكون المطلق . ولنبيين تفصيل ذلك .

فأما الفعل الاول (يكون) فهو في أصل معناه دال على الحدوث والوقوع والثبات والإيجاب ، وهذا المعنى يتضح عندما نستعمله تاما مثل (كان الله ولا شيء معه) ومثل قوله تعالى " وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ " ^(١) . ومما يدل على الثبات والرسوخ قوله تعالى " الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ " ^(٢) . وتقول " كان عبد الله ، أي خلق عبد الله ، وقد كان الأمر أي وقع الأمر " ^(٣) .

ويتضح هذا المعنى أيضا عندما نقارن العربية بغيرها من الساميات فالفعل ܐܝܢ في العبرية يعني الرسوخ أو الوقوف فـ ܐܝܢ شبات ، وكلمة ܐܝܢ فيها بمعنى (نعم) وهي تدل على الإيجاب . كما أن في (لا يكون) (ليس) : الاول أن المرجح اسمُ الفاعلِ المأخوذ من الفعل أي قام القوم لا يكون القائم زيدا ، والثاني أن المرجح الفعلُ السابقُ العاملُ في المستثنى منه ، أي قام القوم لا يكون هو (أي القيام) قيام زيد . وواضح ما في هذين الوجهين من التكلف وانظر الهامشين السابقين .

(١) آية ٢٨٠ من سورة البقرة .

(٢) آية ٤١ من سورة الحج . والشاهد في (مكناهم) .

(٣) الكتاب ج ١ ص ٢١ .

هناك فعلين آخرين وهما **נָפַל** في السريانية و **נָפַל** في العبرية بمعنى
(كان) ويقاها في العربية هوى أو سقط أو حدث ، وهذا الرأي مبني
على أن (وقع) لها معنيان في العربية : معنى السقوط كقولك وقع
على الأرض ، ومعنى الحدوث كما في قوله تعالى "إذا وقعت
الواقعة" (١) ، (٢)

هذا عن المادة (كون) فعاداً عن (ليس) ؟ إِنَّ الاشتقاقَ التاريخي Etymology يُرينا أَنَّ الفعلَ ليس في الأصلُ مَكُونٌ مِن شقين : الأول (لا) النافية والثاني الفعل (أيس) التي تدل على الكون المطلق أو الوجود أو الحياة . وهذا الأصل يتضح كلَّ الوضوح في قول العرب " ائتنني به من حيث أيس وليس ، أي من حيث هو ولا هو " ^(٣) . وقولهم " لَا يَعْرِفُ آيَسٌ مِّنْ لَّيْسَ " ، أي لا يعرفُ ما يكون مما لا يكون ^(٤) وهذا الأصل قطن إليه الخليل بن أحمد عندما رأى أن (ليس) مكونة من لا أيس فطرحت الهمزة وأُلزمت اللام بالياء ^(٥)

ويُتَفَحُّ هذا المعنى أيضا عندما نقارن بين العربية وغيرها
من الساميات على العبرية ^٦ وهي أداة النفي لا ، ثم أُضيف إليها

(١) المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها ، والموازنة بين اللغات السامية تأليف محمد عطية الأبراشي وآخرين ص ٣٢٩ . المطبعة الأميرية بولاق .

(٢) الآية الأولى من سورة الواقعة . وهذه المعاني عرضنا لها
في كتابنا النواسخ الفعلية والحرفية ص ٤٣ . دارالمعارف
١٩٨٣ .

(٣) اللسان مادة ل ي س .

(21) W. Wright: A Grammar of Arabia Language P.96 V II

(٥) اللسان مادة ل ي س .

و (بمعنى يوجد أو يكون) ، وفي الآرامية ܐܝܢ وهي مكونة من لا (حرف نفى) وايت وهو فعل الكينونة . على أننا فـ (١)
العربية لا نستعمل الفعل (آيس) منفردا ، بل لا بد أن يكون قبله الحرف (لا) (٢) .

من هذا كله يتضح أن الأصل في (لا يكون) و (ليس) إنما هو نفى الوجود أو الكون المطلق أو الوقوع بوجه عام ، وليس هذا في العربية لحسب . بل في غيرها من الساميات . وهذا النفي العام دون تحديد للنفي هو الذي سوغ للنحاة أن يقولوا بأنها جاءت في بعض الأساليب للاستثنا .

وربما كانت هناك علاقة بين نفي الـ كون المطلق الذي يفيد أنه ليس ولا يكون وبين (نص في النفي) أو (الجحد) (٣) اللذين ذكرهما النحاة ورأوا أن (ليس) و (لا يكون) يفيدانهما ، ومن ثم جاز الوصف بهما (أي بـ ليس ولا يكون) بعكس (عدا ، خلا) اللذين لا يفيدان ذلك فلا يوصف بهما .

يقول السيرافي فيما نقل عنه السيوطي " أجازوا الوصف بـ ليس ولا يكون لأنها نص في النفي عن الشان وهو معنى الاستثنا ، وليس ذلك في عدا وخلا إلا بالتضمين ، فلم يوصف بهما ؛ لأنهما

(١) التطور النحوي لبرجستراسر ص ١١١ .

والفلسفة اللغوية والألفاظ العربية لجورجي زيدان ص ١٠٦ ط
دار الهلال ١٩٥٨ . والنواسخ الفعلية والحرفية ص ٢١٠ و ٢١١ .

(٢) الجحد بمعنى الإنكار وهناك ما يسمى بلام الجحد قبل (ما كان) مثل قوله سبحانه وتعالى " لم يكن الله ليغفر لهم " النساء ، ١٢٧ ، ١٦٨ . وانظر المغنى حرف اللام ص ٢٧٨ .

ليسا في موضعٍ جَدٍ فلا يقالُ ما اتَّنى امرأةٌ عَدَتْ هندا أو
خَلَتْ هندا ^(١) .

والى مثل ذلك ذهب ابنُ يعيشٍ في شرحه على ملل الزمخشري
حيث يقول : " قد يكون (ليس) و (لا يكون) وصفين لمسا
قبلهما من النكرات تقول اتَّنى امرأةٌ لا هندا ، فموضع
لا تكون (رفعٌ) لأنه وصف لامرأة ، وكذلك تقول في النصب والجر :
(رأيت امرأةً ليست هندا ولا تكون هندا) و (مررت بامرأة
ليست هندا ، ولا تكون هندا) .

" ولا بوصف (بخلا وعدا) كما وصف (بليس ولا يكون)
فلا تقول (اتَّنى امرأةٌ خلت هندا) وعدت جملا ، وذلك أن (ليس
ولا يكون) لفظهما جد ، فخالف ما بعدهما ما قبلهما ، فجريا
في ذلك مجرى غير ، توصف بهما كما وصف بغير ، وأما خلا وعدا
فليسا كذلك ، وإنما يستثنى بهما على التأويل ، لا لأنهما جعد ^(٢) .

ولم يختلف النحاة في أن (لا يكون) فعلٌ ، ذلك أنه متصرف
كل التصرف إلا في هذا الاستعمال الذي نحن بصدده في الاستثناء ، وأما
الخلا فكان في (ليس) : هل هي فعلٌ أو حرف ؟

وقد ورد هذا الخلاف في الإنصاف لابن الأنباري ، ولكنه لم
يبرِّد بطريقة مباشرة بل وَرَدَ بطريقة غير مباشرة تحت عنوان
" هل يجوز تقديم خبر (ليس) عليها ^(٣) " ؟ جاء في الإنصاف :

(١) همع الهوامع ج ١ ص ٢٣٤ .

(٢) المفصل ج ٢ ص ٧٨ .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ج ١ ص ١٠٣ .

" ولا يجوزُ تقديمُ خبرٍ ليس عليها والذي بَدَلُ على هذا أن (أيس) في معنى ما ، لأنَّ ليس تنطفي الحال كما أن ما تنطفي الحال ، وكما أن (ما) لا تتصف ولا يتقدم معمولها عليها فكذلك ليس ، على أن من النحويين من يغلَّبُ عليها الحرفية، ويحتج بما حكى بعضُ العرب أنه قال (ليس الطَّيِّبُ إِلَّا الْمَسْكُ) فرفع الطيب والمسك جميعا ، وبما حكى أن بعضَ العرب قد قيل له (فلان يتهددك) فقال (عليه رجلا ، ليس) فأتى بالياء وحدها من غير نون الوقاية ، ولو كانت فعلا لوجب أن يأتِيَ بها كسائر الأفعال " أ. هـ .^(١)

وانظر الى استعماله الفعل (يغلَّبُ) في قوله " ومن النحاة من يغلَّبُ عليها الحرفية " ولم يقل " يقرر أنها حرف " . إن هذا دليلٌ على أن هناك ترجيحاً بين الحرفية والفعلية ، أو أنها جمعت بين الاثنين إلا أن الحرفية قد غلبت عليها . وهذا يدل بالتالي على أنهم قد نظروا إلى أصلها عندما قالوا ذلك وعرَّفوا أنها مكونة من الحرف (لا) والفعل (أيس) .

هذا عن الكوفيين، أما البصريون فرأوا أنها فعل ، ولم يقولوا بتغليب الفعلية عليها " بدليل إلحاق الضمائر وتأنيث الساكنة بها ، وهي تعمل في الأسماء المعرفة والنكرة الظاهرة والمضمرة كالأفعال المتصورة " .^(٢)

وهناك شواهد كثيرة، غير التي ذكرها الكوفيون نجد

(١) الإنصاف ج ١ ص ١٠٣ .

(٢) الإنصاف ج ١ ص ١٠٤ .

(ليس) فيها مستعملة استعمال الحرف حتى إنك لو استبدلت بها حرفاً مثل (ما) أو (لا) لم تلحظ ذلك كالقول الذي أورده سيبويه " ليس خلق الله مثله " ^(١) . وكقول ابن عمر رضي الله عنهما : " كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون ، فيتحينون الصلاة ، ليس ينادى عليهم ، وكقول الشاعر : ^(٢)

هي الشفاء لدائ لو ظفرت بها * * * وليس منها شفاء النفس مبدول ^(٣)

وكقول أبي الطيب :

وزاشرتي كأن بها حياء * * * فليس تزور إلا في الظلام ^(٤)

وما ورد في الحماسة

تمنى لي الموت المعجل خالداً * * * ولا خير فيمن ليس يعرف حسده ^(٥)

فكل هذه الشواهد استعملت فيها ليس استعمال الحرف . ^(٦)

(١) الكتاب ١ ص ٣٥ .

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ص ١٣٩ .
تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي دار العروبة بمصر
سنة ١٩٥٨ .

(٣) الكتاب ١ ص ٣٦ و ٧٣ . وقائله هشام بن عقبة أخو ذي الرمة .

(٤) الديوان : شرح المكبري ط الحلبي ١٩٥٠ ج ٤ ص ١٤٦ .

(٥) ديوان الحماسة لأبي تمام تحقيق محمد عبد المنعم خطاجي صبيح
سنة ١٩٥٥ ج ١ ص ٢٣٢ .

(٦) عدا بين المتنبي فهو مثال وليس شاهداً .

ولكن ماذا نصنع بالأدلة التي ذكرها البصريون على أن (ليس) فعلٌ ، إذ يتمل بها الضمائر وتاء التانيث الساكنة وتعمل فـنـسـي الأسماء ... إلى آخر الأدلة التي ذكروها . ٩

الحقيقة أن اللغوي لا يستطيع أن يضع حدا جامعاً مانعاً لكل ألفاظ اللفظة ، بحيث يرفع كل لفظ تحت عنوان محدد : اسم أو فعل أو حرف ، ذلك أن الحدود اللغوية إنما وضعت بوجه عام ، ولم ترفع في الحساب وجود كلمة مثل (ليس) ، لها قدرٌ من خصائص الحروف وقدرٌ من خصائص الأفعال . ومن غير الممكن أن نضع تعريفاً جامعاً مانعاً لها ولأمثالها ، أي جامعاً لها ولأمثالها ، مانعاً غيرها من الدخول في هذا التعريف .

واكتسابها قدرًا من خصائص الحروف وقدرًا من خصائص الأفعال يرجع إلى الأصل فيها ، فهي كما ذكرنا مكونة من حرف (لا) وفعل (ليس) .

وهذا لا يمنع من القول إن الحرفية غلبت عليها . ويرى الدكتور مهدي المخزومي أن ما يربطها من الفعل بنسب (كالحقائض الضمائر وتاء التانيث الساكنة بها) إنما هو " من بقايا استعمالها القديمة التي كان ليس فيها ما للفعل من دلالة على حدثٍ واثرائٍ بالدلالة على زمنٍ ، وقد فقدت كل هذه الدلالات ، وأصبحت في الاستعمالات المتأخرة ، لا تدل إلا على ما تدل عليه (ما) فـنـسـي النفي " (١) .

(١) في النحو : نقد وتوجيه ص ٢٥٨ ط بيروت ١٩٦٤ .

دام

والفعلُ (دام) متصرفٌ وله كثيرٌ من المعاني والاشتقاقات ومضارعُ يدوم ، والمصدرُ دَوَامًا ودَوَمًا وديمومةً واستدام الشيء أي استمر دَوَامُهُ ، ودامت السماء تديم ديمًا ، أي استمر مطرها . وأرضٌ مَدِيْمَةٌ ومَدِيْمَةٌ ، أصابها الديم ، والمدام المطر السدائم و (الخمير) .

والديموم والديمومة الغلاة يدوم السير فيها لبعدها ، ودَوَم الطائر إذا تحرك في طيرانه ، وقيل دَوَم الطائر إذا سکن جناحيه كطيران الحداد ...^(١)

فها نحن نرى كثيرًا من المعاني والاشتقاقات لهذه المادة فما بال الفعل (دام) كفعل ناقص من أخوات (كان) غير متصرف ، فقد جاء في زمن الماضي ليس غير ؟ قال الله سبحانه وتعالى : " وأوصاني بالملاة والزكاة مادمت حيًّا " ^(٢) .

إن الشواهد جميعها تؤيد مجيء (دام) في زمن الماضي مسبوقًا بـ (ما) المصدريّة الظرفيّة فـ (مادمت حيًّا) أصله مدة دوامي حيًّا ، فحذف الظرف وخلفته (ما) وصلتها ، كما جاء في المصدر المريح نحو (جئتكَ صلاةَ العصر) و (آتيك قدومَ الحاج) ^(٣) .

(١) اللسان ١٥ ص ١٠٨ .

(٢) مريم : ٣١ .

(٣) المعنى ص ٤٠٠ فعل (ما) .

و(ما) هذه لها شأنٌ كبيرٌ في تفسيرِ عدمِ تصرّفِ الفعلِ (دام)،
ذلك أنّ (ما) المصدريةَ الظرفيةَ لا تدخلُ في الأغلبِ الأعمِ إلّا على
الفعلِ الماضي . قال ابنُ عقيل " ومنها - أي من الموصولات الحرفية -
(ما) وتكون مصدريةً ظرفيةً نحو (لا أصحابك مادمتَ منطلقاً) ،
أي مدةً أدوامك منطلقاً ، وغيرَ ظرفيةً نحو (عجبت مما ضربت زيدا)
وتوصل بالماضي كما مثل وبالمضارع ، نحو (لا أصحابك ما يقيمون
زيد وبالجملّة الاسمية نحو (عجبت مما زيد قائم)^(١) .

فمثل للمصدرية بالماضي والمضارع والجملّة الاسمية ، ولم
يذكر إلّا الماضي في المصدرية الظرفية ، على أنه قد ذكر ذلك
صراحةً عندما قال " وأكثرُ ما توصلُ الظرفيةُ المصدريةُ بالماضي أو
بالمضارع المنفي بلم^(٢) " نحو (لا أصحابك ما لم تضرب زيدا)
وبقل وصلها بالفعل المضارع الذي ليس منفيًا بلم نحو (لا أصحابك
ما يقوم زيد) ومنه قول الشاعر :

أَطَوَّفُ مَا أُطَوَّفْتُ ثُمَّ آوَى

إِلَى بَيْتٍ قَعِيدَتُهُ لَكَاع^(٣)

ومن شواهد دخولِ (ما) المصدريةَ الظرفيةَ على الفعلِ الماضي

(١) شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٢٩ .

(٢) وإنما كان تعيينه بالمضارع المنفي بلم ، لأنّ (لم) تنقلبُ
المضارعَ إلى زمنِ الماضي وليس بعيدا عنا قولُ النحاة : لسم
حرف نفي وجزم وقلب .

(٣) شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٢٩ والبيت ينسب إلى الحطيثة هو من
شواهد ابن عقيل رقم ٢٥ والشاهد رقم ٢٧ لابن هشام في
الشذور، وذكره أيضا في آخر باب النداء في أوضح المسالك ج ٢
ص ١٨٠ .

وهو الغالبُ كما قلنا قولُ الله سبحانه وتعالى " إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
مَا اسْتَطَعْتُ " (١) و " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ " (٢) .

وقول امرئ القيس :

أجارتنا إِنْ الْخُطُوبَ تَنْسُوبُ * * * وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ (٣) .

فسبق دام بـ (ما) المصدريّة الظرفيّة هو الذي أوقف الفعل
(دام) عند الماضي لا يتجاوزه إلى غيره من الأزمنة، حتى لو كان
المضارع مستعملاً قليلاً أو نادراً . ومن هنا لم يفرّق الصّان بين
الماضي والمضارع والمصدر في استعمالها ناقمةً ، ولعله أيضاً
نظر إلى بيت الحطيئة :

أطوفُ ما أطوفُ

عندما قال - أي الصّان - " وَلِي بِالْأَقْدَمِينَ وَمَنْ وَالْفَقَهُيمَ
أَسْوَةٌ لِعَدَمِ ظَهْرِ الْفَرْقِ بَيْنَ قَوْلِكَ : لَا أَكْلَمُكَ مَا دُمْتَ عَاصِيَا
وَقَوْلِكَ : لَا أَكْلَمُكَ مَا تَدُومُ عَاصِيَا ، بل الصحيحُ عندي أن لها
مصدرًا أيضًا ، بدليل أنهم شرطوا سبق (ما) المصدريّة الظرفيّة
عليها ، أو على دام ومن المعلوم أن (ما) المصدريّة تؤول مع ما
بعدها بمصدر ، وأن هذا المصدر مصدرٌ هــا
وقد وقع هذا المصدر في عبارات كثيرين كالشارح

(١) هود - ٨٨ .

(٢) التغابن - ١٦ .

(٣) البيت لامرئ القيس في الديوان ص ٧١ . شرح حسن السندوي ،
التجارية الكبرى سنة ١٩٥٣ .

(٤) يقيّد والقهم على أن ماضيها ومضارعها كليهما مستعملان .

عند قول المصنف كَأَعْطِ .. الخ^(١) ، فلا يقالُ إنها مع ما بعدها فهي
تأويل مصدر مقدر لا موجود ، والحكم عليهم بأن ذلك منهم اختراع
لِمَا لَمْ يَرِدْ عَنِ الْعَرَبِ جَوْزٌ وَسَوْءٌ ظَنٌّ ، فإذا قلت : أَحَبُّكَ مَسْدَةٌ
دَوَامُكَ مَالِحًا ، كان دوام مصدر الناقصة ومالحا خبره ، مثل : أَحَبُّكَ
مَا دُمْتَ مَالِحًا . والفرق تحكمٌ محضٌ فتدبرُ^(٢) .

وَالصَّبَّانُ مُصِيبٌ فِي كُلِّ مَا قَالَهُ وَلَكِنْ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ
لَيْسَ غَيْرَ ، أَمَّا مِنْ نَاحِيَةِ الشَّكْلِ ، أَقْصَدَ شَكْلَ الْإِسْتِعْمَالِ فَإِنَّهُ
اِقْتَصَرَ فِيهِ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ (دَامَ) فِي حَالَةِ الْمَاضِي فِي الْأَغْلَبِ
الْأَعْمِ ، وَنَادِرًا مَا يَسْتَعْمَلُ غَيْرَهُ .

(١) يقصد عند قول الأشموني شرحا لقول ابن مالك : كأعط مـ

دمت مصيبا درهما : أي مدة دوامك مصيبا .

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني ج ١ ص ١٨٩ .

سارال وما انفك وما فتن وما برح

ويبقى بعد ذلك من أخوات كان : زال وانفك وفتن وبرح
ويجمع بينها ثلاثة أمور :

الأول : أن تصرفها غير كامل فلم يستعمل منها الأمر أو الممدر.

الثاني : أن كلاً منها لابد أن يسبقه نفي أو شبهه لفظاً
أو تقديراً .

الثالث : أن كل هذه الأفعال تعطي معنى واحداً وهو الزوال ، أو
الذهاب أو المضي أو الترك ، فكاننا عندما ندخل عليها
حرف النفي نطبق القاعدة التي تقول " نفي النفي إثبات " ،
ومن ثم فهي تدل على الاستمرار .

فأما الفعل الأول وهو زال من الزوال وهو الذهاب والاستحالة
(١)
والاضمحلال . وزاله وانزال عنه فارقه . والزائلة كل ذي روح أو
(٢)
متحرك ، فمنهايته إلى زوال .

وأما الفعل الثاني انفك بمعنى انفصل ، تقول فككت الشيء
فانفك بمنزلة الكتاب المختوم فكك خاتمته ، كما تفك الحنكيين
تفصل بينهما ، وفك الرهن يفكه فكاً ، وكل شيء أطلقته فقد
فككته ، وفك الأسير فكاً فمعه من الأسر . قال تعالى " لم يكن الذين

(١) القاموس المحيط ج ٤ ص ٤٠٢ .

(٢) اللسان ج ١٣ ص ٣٢٢ .

كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة^(١) . أي
منتهم عن كفرهم وهو قول مجاهد ، وقال الاخفش : منفكين :
راشدين عن كفرهم^(٢) .

وأما الفعل الثالث فلهذه لغتان ما فتئت وما فتأت أذكره
بالكسر والنصب (يقعد الفتح) وما افتأت تميمية ، أي ما برحت وما
زالت وفي نوادر الأعراب : فتئت عن الأمر افتأ إذا نسيت وانقذمت^(٣).

وأما الفعل الرابع الأخير وهو بَرِحَ بَرَحاً وبُروحا أي زال ،
وبَرِحَ فلان مكانه أي زال عنه وبرح الأرض فارقتها قال تعالى " فلن
أبْرِحَ الأرض حتى يآذن لي آيس " . وقال تعالى " لن نبْرِحَ عليه
عاكفين " أي لن نزال^(٤) ، وبرح الخفاء أي زال ، والبارحة أي التي
زالت ومضت ومنه قول العرب ما أشبه الليلة بالبارحة أي بالليلة
التي مضت وزالت^(٥) .

فالأفعال الأربعة تعطى معنى الزوال والتلاشي والنسيان
والمضي والذهاب فإذا أدخلنا على هذه المعاني حرف النفي (ما)
دلت على الاستمرار والاتصال كما بينا منذ قليل .

ولقد أثبتنا هذه الأفعال في بحثنا ، لأن الأمر والمصدر
لم يستعملوا منها ، هذا أمر طبيعي يستدعيه دخول النفي قبلها ،

(١) البينة - ١ .

(٢) اللسان ج ١٢ ص ٣٦٣ .

(٣) اللسان ج ١ ص ١١٤ .

(٤) آية ٩١ سورة طه .

(٥) اللسان ج ٣ ص ٢٢١ .

فأما عن الأمر فإنّ (لا) النافية بوجه عام لا تدخل عليه ، إذ إنه حينئذ يصبح فعلا مضارعاً مجزوماً بلا النافية قبله ، نحو العـــــــبّ ولا تلعب ، وكذلك الحال في تلك الأفعال ، فالأمر من زال : زال فإذا أدخلنا (لا) قبل الأمر صار بمثابة نهى وصار الفعل بعدها مضارعاً مجزوماً بها كقول الشاعر :

صاحِ شمرّ ولا تنزلْ ذاكرَ العـــــــسوّ
ت ، فنسيانهُ ضلالٌ مبـــــــين (١) و

أو بقيتْ نافيةٌ والفعلُ بعدها يكون مضارعاً مرفوعاً كقول الشاعر :

فقلتُ يمينُ اللهِ أبرحُ قاعسداً ولو قطعوا راسي لديكِ وأوصالي (٢)
أي لا أبرحُ ، وقوله سبحانه وتعالى " تَاللّهِ تفتوّ تذكـــــــرُ يوسف " (٣) أي لا تفتوّ . وأما (ما) النافية ، فهي لا تدخل على الأمر .

ولما كان المضارع يضارعُ اسمَ الفاعل جارِ استعمالٍ اسمِ الفاعل من هذه الأفعال كقول الشاعر :

(١) غير معروفٍ قائله وهو من شواهد الأشموني : الشاهد رقم ١٧٢ .

(٢) القائل امرؤ القيس من قصيدة أولها :
أَلَا يَمُّ صَبَاحًا أَيُّهَا الظِّلُّ الْبَالِي . . . وَهَلْ يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَمْرِ الْخَالِي
وهي في الديوان ص ١٥٨ ، ومختار الشعر الجاهلي ص ٣٤ .

(٣) يوسف - ٨٥ .

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ زَائِلًا
أُحِبُّكَ حَتَّى يُغْمَضَ الْجَفْنُ مَغْمَضًا (١)

وأما المصدرُ فإنَّ استعماله ناقصا ، أي عاملاً عملَ (كان) أمرٌ
لم يجزِ الاستعمالُ به ، لأنَّ التركيبَ حينئذٍ لا يسمعُ بذلك والمعنى
لا يتأتَّى ، ففي البيتِ السابق إذا حاولنا استعمالَ المصدرِ للتعبيرِ
عن المعنى الذي قصده الشاعرُ نقول : ولا زوالَ لى فى حبِّك أو عمن
حبِّك . وواضحٌ ركازةُ التركيبِ وبعْدُ المعنى المقصودِ .

هل إن (كان) - وهى التى لا يُشترط لاستعمالها ناقصةٌ سبقُها
هنفى أو شبهه - قلما يُستعمل مصدرُها عاملاً عملَها ، وقد جاء
ذلك فى بيتٍ لم يرددِ النحاةُ غيره ولا يُعرفُ قائله وهو :

ببذلٍ وحِلْمٍ سادَ فى قومه الفتى
وكونك إياه عليك يسيّر (٢)

(١) القائل الحسين بن مطير بن مكل وهو الشاهد رقم ١٨٢ من
شواهد الأشموني .

(٢) الشاهد رقم ١٨١ من شواهد الأشموني و ٦٤ من شواهد ابن
عقيل .

الفصل الثالث

الفصل الرابع

أفعال المقاربة

وهي كاد وكَرَبَ وأوشك . فاما كاد فهو فعل شبه متصرف ، أي
أنه يأتي على صورة أخرى غير الماضي (كاد) ، وهي (يكاد) ، مع
أنَّ مِنَ النحاة مَنْ يأخذُ بيتَ كثير عزة :

أَمُوتُ أَسَى يَوْمَ الرَّجَامِ وَإِنَّنِي
يَقِينًا لِرَهْنٍ بِالَّذِي أَنَا كَاثِرٌ

(١) دليلاً على استعمال اسم الفاعل من (كاد)

وأغلب الظنَّ أنَّ (كاثد) هنا ، إنما جاءت لإقامة القافية
ولتوفيق حرف الروي ، ثم إنني يرجوعي إلى الديوان وجدت قومًا
يرون البيت منتهياً بـ (كاثد) بالباء ، معاً ينفي الشاهد على
استعمالهم اسم الفاعل من (كاد) ، بل يستعملون الماضي والمضارع ليس
غير ، على أننا لا نستطيع أن نقول إن استعمالهم الماضي أكثر من
استعمالهم المضارع ، ولا العكس أيضاً ، بل إن هناك شبه تساوي في
الاستعمالين . فقد أحصيتُ الآيات التي ورد فيها الماضي (كــاد)
فوجدتها عشر آيات^(٢) ، والآيات التي جاء فيها المضارع (يكاد)

(١) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٣٣٩ .

(٢) ديوان كثير عزة ص ٣٢٠ جمعه وشرحه د. إحسان عباس ، دار
الثقافة بيروت ١٩٧١ .

(٣) هي : من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ١١٧/التوبة ، إن
كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا ٤٣/الفرقان ، إن كانت
لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ١٠/القصص ، فذبحوها
وما كادوا يفعلون ٧١/البقرة ، إن القوم استخفوني وكادوا

أربع عشرة آية^(١) .

وقد رأى بعض النحاة أن نفي المضارع أي (يكاد) نفى^(٢) ،
ولكن نفي الماضي (كاد) إثبات^(٣) بدليل " فذبحوها وما كسبـادوا
يفعلون^(٤) " وقوله " لم يكـد يراها^(٥) " مع أنه لم يـر شيئاً

والمحبح أن إثباتها إثبات ونفيها نفى ، لأن معناها المقاربة

يقتلونني ١٥٠ / الأعراف ، وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا
إليك ٧٣ / الإسراء ، وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك
منها ٧٦ / الإسراء ، وإنه لما قام عبد الله يدعوه كـادوا
يكونون عليه لبدا ١٩ / الجن ، لولا أن ثبتناك لقد كـدت
تركن اليهم شيئاً قليلاً ٧٤ / الإسراء ، قال تالله ، إن كدت لتردين
٥٦ / الصافات .

(١) إن الساعة آتية أكاد أخفيها ١٥ / طه ، تكاد السماوات يتفطرن
منه وتنشق الأرض ٩٠ / مريم ، تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن
٥ / الشورى ، تكاد تميز من الغيظ ٨ / الملك ، يكاد البرق يخطف
أبصارهم ٢٠ / البقرة ، يتجرمه ولا يكاد يسيغه ١٧ / إبراهيم ،
يكاد ريتها يضيء ولو لم تمسسه نار ٣٥ / النور ، يكاد سنـا
برقه يذهب بالأبصار ٤٢ / النور ، أم أنا خير من هذا الذي هو
مهيـن ولا يكاد يُبين ٥٢ / الزخرف ، وإن يكاد الذين كفـروا
ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ٥١ / القلم ، فما لهؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون قولا ٩٢ / الكهف ، يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم آياتنا ٧٢ / الحج ، إذا أخرج يده لم يكـد يراها
٤٠ / النور .

(٢) من الآية ٧١ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ٤٠ من سورة النور .

فمعنى (كاد يفعل) قارب الفعل ، ومعنى (ما كاد يفعل) لم يقارب
فخبرها منفي دائما . أما إذا كانت منفية فواضح ؛ لأنه إذا
انتفت مقارنة الفعل اقتضى عقلا عدم حصوله ، وأما إذا كانت
المقاربة (منفية) ^(١) ؛ فلأن الأخبار بقرب الشيء يقتضى عرفا عدم
حصوله وإلا لم يتجه الإخبار بقربه ، فأما قوله تعالى " فذبحوها
وما كادوا يفعلون " فإنها منفية مع إثبات الفعل لهم في قوله
" فذبحوها " ^(٢) .

وربما كان في هذا ردُّ على ابن منظور عندما رأى أن (كاد)
مجردة تنبيء عن نفي الفعل، ومقرونة بالجحد تنبيء عن وقوع الفعل . ^(٣)

وذكر سيبويه أن من العرب من يقول في كاد زيد يفعل (كيد
زيد يفعل وما زيل زيد يفعل ذلك ، يريدون كاد وزال ؛ لأنهم
كسروها في فعل كما كسروها في فعلت ، حيث أسكنوا العين وحولوا
الحركة على ما قبلها ولم يرجعوا حركة الفاء إلى الأصل ^(٤) " .

وأورد ابن منظور لغة لبني عدي فهم يقولون كدت أفعل
كذا بضم الكاف . ^(٥)

وأما الفعل (أوشك) فقد رأى بعض النحاة أن اسم الفاعل
قد استعمل كقول كثير عزة :

(١) هكذا في البرهان والصحة التي يقتضيها سياق الحديث (مثبتة) .

(٢) البرهان ج ٤ ص ١٣٦ بتصريف وانظر أمالي السيد المرتضى ج ٢ ،
ص ١١ مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٧ م .

(٣) اللسان ج ٤ ص ٢٨٦ .

(٤) الكتاب ، ج ٢ آخر صفحة ٣٦٠ .

(٥) اللسان ج ٤ ص ٢٨٦ ، والكتاب ج ٢ ص ٢٦١ .

(١) لِيَاكَ مُوشِكٌ أَلَّا تَرَاهُ سَا * * * وتعدو دون غاضرة العسوادي

" وزعم الأصمعي أنه لم يُستعمل (يوشك) إلا بلفظ المضارع ولم تُستعمل أو شك بلفظ الماضي ، وليس بجيد ، بل قد حكى الخليل استعمال الماضي وقد ورد في الشعر كقوله :

ولو سُئل الناسُ الترابَ لاوشكوا * * * إذا قيلَ هاتوا أن يملّوا ويمنعوا (٢)

وقد رجعتُ إلى كتاب سيبويه في المظان المختلفة للفصل (يوشك) فلم أجدَ حكايةَ الخليل هذه ، بل إنَّ سيبويه أنشدَ الشاهد :
يوشكُ من فرٍّ من منيتي * * * لي بعضي غراته يوالقها (٣)

على أن هذا لا ينفي أن العرب استعملت صيغة الماضي
فبالإضافة إلى الشاهد السابق وجدت ابن جني يُنشد :

إذا المرءُ لم يخشَ الكريهةَ أو شكتُ
حبالُ الهوينى بالفتى أن تقطعا (٤)

(١) الديوان ص ٢٢٠ .

(٢) الشاهد رقم ٨٩ من شواهد ابن عقيل ج ١ ص ٣٢٢ والنص لـ
ج ١ ص ٣٢٨ وهو من شواهد العينى على هامش خزانة الادب ج ٢
ص ١٨٣ ولم يعزه إلى أحد وفى أمالى الزجاجي ص ١٢٦ ط القاهرة
سنة ١٣٨٢ .

(٣) الكتاب ج ١ ص ٤٧٩ والبيت من شواهد العينى ج ٢ ص ١٨٧ وقاله
أمية بن أبى العلت الثقفي من شعراء الجاهلية .

(٤) الخصائص ج ٢ ص ٥٣ وفى المفضليات القصيدة الثانية ص ٣٢
تحقيق أحمد شاکر وعبد السلام هارون ط ٤ دار المعارف ١٩٦٤ .
وقائفة الكلبة العرنى .

وإذا كان الاختلاف في (كاد) و (أوشك) يأتيهما من حيث التصريف، فإنَّ (كَرَبَ) لم يختلف فيها أحدٌ من حيث إنَّها تأتي بلفظ الماضي، اللهم إلا ما ذكره السيوطي "وحكى قومٌ اسمَ الفاعل من كَرَب" ^(١) وواضحٌ أنَّه قولٌ مبهمٌ لا يعتدُّ به، فهو لم يذكر من هؤلاء القوم ولم يأت بشاهدٍ على ذلك.

وَكَرَبَ لم تجيء إلا على هذه الصورة ليس غير، فلم يستعمل منها المضارع، كما استعمل مع (كاد) و (أوشك) وهي قليلة الاستعمال، بل إنَّها نادرة الاستعمال، والمستعمل الشائع من أفعال المقاربة (كاد)، ولم تأت شواهدٌ على (كرب) إلا شاهدان.

١ - كَرَبَ القلبُ من جواه يذوبُ

حين قال الوشاةُ هندُ غصوبُ ^(٢)

٢ - سقاها ذوو الأحلام سجلاً على الظما

وقد كَرَبَتْ أعناقُها أن تقطعاً ^(٣)

ولم ينشد سيبويه شاهداً عليها. قال "وأما (كاد) فإنهم لا يذكرون فيها (أن) وكذلك (كرب يفعل) ومعناها واحد، يقولون كرب يفعل وكاد يفعل، ولا يذكرون الأسماء في موضع هذه الأفعال، أي لا يكون خبرها مفرداً. (الكتاب ١/٤٧٨).

(١) الهمع ج ١ ص ١٢٩.

(٢) الشاهد رقم ٩١ في ابن عقيل ج ١ ص ٢٣٥، والشاهد رقم ٢٤٢ في الأشموني ج ١ ص ٥٠٩ والإمام العيني ج ٢ ص ١٨٩ وقائله رجل من طي، ويقال قائله كلحبة اليربوعي.

(٣) الشاهد رقم ٩٢ في ابن عقيل ج ١ ص ٢٣٥، ورقم ٢٤١ في الأشموني ج ١ ص ٥٠٧، والعيني ج ٢ ص ١٩٢ وقائله أبو زيد الأسلمي.

وَمَشَارُ الْعَجَبِ فِي (كرب) أَنَّ مِنْ مَعَانِيهَا الَّتِي وَرَدَتْ فِي لِسَانِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْغَمِّ وَالْحُزْنِ وَالضِّيقِ ، وَهَذِهِ الْمَعَانِي بِمَعْنَى كَلِّ الْبَعْدِ مِنَ الْمَقَارِبَةِ ، فَيُذَكَّرُ أَنَّ مَنْظُورَ أَنَّ الْكَرْبَ : الْحُزْنَ وَالْغَمَّ وَجَمْعَهُ كُرُوبٌ ، وَكَرْبُهُ الْغَمُّ اشْتَدَّ عَلَيْهِ ، فَهُوَ مَكْرُوبٌ وَكَرِيبٌ وَكَارِبٌ ، وَقَيْدٌ مَكْرُوبٌ إِذَا كَانَ ضَيِّقًا ، وَكَلٌّ شَدِيدٌ الْعَقْدُ مِنْ حَبْلِ أَوْ بِنَاءٍ لَهُوَ كَرِبٌ .

ثم يذكر أيضا أَنَّ مِنْ مَعَانِيهَا الْمَقَارِبَةُ فَيُقَالُ كَرِبَ الْأَمْرُ يَكْرِبُ كُرُوبًا : دَنَا ، وَكُلُّ شَيْءٍ دَنَا فَقَدْ كَرِبَ وَكَرِبَتِ الشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ دَنَتْ ، وَفِي الْحَدِيثِ إِذَا اسْتَغْنَى أَوْ كَرِبَ اسْتَعْلَفَ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : كَرِبَ أَيُّ دَنَا مِنْ ذَلِكَ وَقَرِبَ ، ثُمَّ يَأْتِي بِبَعْضِ الْمَعَانِي الَّتِي تَرْجِعُ إِلَى الْقَرَبِ نَحْوُ إِنَاءٍ كَرِيبَانِ إِذَا كَرِبَ ، أَيُّ قَارِبَ أَنْ يَمْتَلِئَ ، وَكَرِبُ النَّخْلِ أَيُّ أَمُولُ السَّعْفِ الْقِلَاطِ الْعَرَاضِ الَّتِي تَيْبَسَتْ ، وَاسْمُهَا كَذَلِكَ لِأَنَّهَا اسْتَغْنَتْ مِنْهَا وَقَارِبَتِ الْقَطْعَ ^(١) .

فَمَا الْعِلَاقَةُ إِذَا بَيْنَ كَرِبِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الضِّيقِ وَالشَّدَةِ وَبَيْنَهَا الدَّالَّةُ عَلَى الْقُرْبِ ؟ لَعَلَّ أَوَّلَ مَا يَجُولُ فِي خَاطِرِ الْبَاحِثِ أَنَّ الْعِلَاقَةَ تَكْمُنُ فِي اللَّفْظِ وَلَيْسَ هُنَاكَ عِلَاقَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ . فَكَلِمَةُ (قرب) هِيَ نَفْسُهَا (كرب) بَعْدَ ابْتِدَالِ الْقَافِ كَافًا . وَلَا يَمْنَعُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ هُوَ الْفِعْلُ (قَرِبَ) الْمَتَصَرِّفُ تَصَرُّفًا كَامِلًا ، ثُمَّ إِنَّهُ لِنَطْقِ مَعْيَسِنٍ أَوْ لاسْتِعْمَالِ فُرْدِيٍّ أَوْ لَجَمَاعَةٍ أَوْ لِقَبِيلَةٍ مَعِينَةٍ خَطَفُوا الْقَافَ فَصَارَتْ كَافًا ، لِأَنَّ الْحَرْفَيْنِ مِنْ مَخْرَجَيْنِ مُتَقَارِبَيْنِ ، فَمَخْرَجُ الْكَافِ مَعْيَسِنُ الْحَنْكِ الطَّرِيٍّ أَوْ الْحَنْكِ اللَّيْنِ Velar ، وَمَخْرَجُ الْقَافِ مِنَ اللَّهْجَةِ

(١) اللسان ج ٢ ص ٢٠٦ .

أي هو موت لهوى uvular نسبة الى اللهة وهو الجسسزء
المفير اللين الذي يتدلي من الحافة الخلفية للحنك اللين ، أي هو
موت خلفي طبقي postvelar^(١) .

ويدل على ذلك أيضا أن ابن سيدة ذكر^(٢) تحت عنوان القسسرب
الفعل قَرَّبَ قُرْبًا وقُرَّبَانَا ، وذكر معه أيضا الفعل كَرَبَ : كسرب
الأمر يَكْرُبُ كروبا أي دنا " .

وهذا يماثل الفعل (حرى) أيضا فالسببُ في عدم تصرفه -
كما نظن - أنه مأخوذ من الاسم (حَرِيٌّ) . وليس أصلا في وضعه .

(1) Fundamental Problems of Phonetics; by J.c; catford, p.143
Indian University Press 1982.

وانظر أيضا
A Dictionary of Theoretical Linguistics, by M.El Khuli,
p. 250 & 222 Librairie du Liban 1982.

(٢) المخصص لابن سيدة ، ج ١٢ ص ٦٠ ط بولاق ١٣١٩ هـ .

- ٥١ -

الفصل الرابع

الفصل الأول

أفعال الشرع

ومن الأفعال الناسخة غير المنصرفة أيضا أفعال الشرع ، ونلاحظ أنها كثيرة ، والمستعمل منها قليل ، فهي شرع وأنشأ وطبق وأخذ وعلق وهب وجعل وهلهل . ومن النحاة من زاد عليها (١) قام وقعد . وجميع هذه الأفعال غير متصرفة ، فهي ملازمة لصورة الماضي ، وذلك إذا استعملناها للشرع ، أما إذا استعملت لغير الشرع فهي متصرفة . (٢)

وهي - لغير الشرع - لها معانٍ متعددة ، مما يجعلنا نقول إنها استعملت للشرع نقلاً وليس ارتجالاً . وهذا القول ليس بدعماً ، فالنقل والارتجال متحققان في ظاهرتين لغويتين أخريين :

الأولى : العَلَمُ ، فهناك العلم المرتجل ، أي الذي وضع أصلاً ، وفي أول أمره علماً ، ولم يَسْبِقْ له أن استعمل استعمالاً آخر غير العَلَمِيَّةِ مثل عثمان وسعاد وعطفان . وهناك العَلَمُ المنقول عن شيء سبق استعماله فيه قبل العلمية ، وذلك المنقول عنه قد يكون مصدراً مثل (فضل) أو اسم عين مثل (أسد) ... (٣)

(١) همع الهوامع ج١ ص ١٢٨ .

(٢) السابق ج١ ص ١٢٩ وقد نقل السيوطي عن بعض النحاة (حكاياتهم) عن استعمال صور أخرى لهذه الأفعال كاستعمال المضارع من (طبق) ومن (جعل) ، وهي نقول لا يعتد بها لعدم اقترانها بشواهد . وانظر شرح ابن عقيل ج١ ص ٢٤١ .

(٣) انظر شرح الاشموني ج١ ص ١٢٧ وشرح التصريح على التوضيح ج١ ص ١١٥ وجمع الهوامع ج١ ص ٧١ .

الثانية : أسماء الأفعال ، فمنها المرتجلة مثل أميين
وهيهات وشتان ، ومنها المنقولة عن أحرف الجر مثل إليك وعليك أو
عن الظروف نحو أمامك وبعذك .^(١)

هذان هما النقل والارتجال في العلم وفي أسماء الأفعال
فماذا عنهما في هذه الأفعال ؟ إن لكل فعل من هذه الأفعال
استعمالات كثيرة تدل على أنه قد وُضع أصلاً لها ، ثم إنه قد نُقل
بعد ذلك لكي يُستعمل للشروع . يدل على ذلك أن شواهد استعمال
هذه الأفعال للشروع نادرة ، بل إنها معدومة بالنسبة لبعضها
بعكس الشواهد التي تدل على معان أخرى .

فالفعل (جعل) مثلاً يُدْخِلُهُ النُّحَاةُ في باب (ظن وأخواتها) التي
تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر ، فهو من أفعال القلوب
سواء أكانت تدل على اليقين والقطع أم تدل على الرجحان ، كقوله
تعالى : " وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا " وهو أيضاً
من أفعال التحويل أو التفسير كقوله تعالى : " الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً " ، هذا إلى استعماله فعلاً بمعنى أوجد
أو خلق كقوله تعالى " تبارك الذي جعل في السماء بروجاً " .^(٢)

وقد جاء له الزركشي بسبعة معان هي :

(١) همع الهوامع ج ٢ ص ١٠٥ ، ولم نتعرض لهاتين الظاهرتين (العلم
وأسماء الأفعال) بالتفصيل لانهما ليستا موضوع بحثنا ،
وكل ما نريده أن نستدل بهما على القول بأن أفعال الشروع
منقولة .

(٢) آية ١٩ من سورة الزخرف .

(٣) آية ٢٢ من سورة البقرة .

(٤) آية ٦١ من سورة الفرقان .

- ١ - بمعنى (سمى) كقوله تعالى "الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِشِينَ" ^(١).
- ٢ - بمعنى الخلق والاختراع كقوله تعالى: "وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ" ^(٢).
- ٣ - "المقاربة" ولم يأت الزركشي بشاهد بل قال "نحو جعل - يفعل كذا" .
- ٤ - بمعنى النقل من حال إلى حال ، وللتصيير كقوله تعالى :
"جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا" ^(٤) ، "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا" ^(٥) .
- ٥ - بمعنى الاعتقاد كقوله تعالى "وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ" ^(٦) .
- ٦ - بمعنى الحكم بالشئ على الشئ، يكون في الحق والباطل فالحق كقوله :
"إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" ^(٧) والباطل كقوله : "وَجَعَلُوا لِلَّهِ يَمًا دَرَاءً مِنَ الْحَرِّ" ^(٨) .

-
- (١) آية ٩١ من سورة الحجر .
 - (٢) الآية الأولى من سورة الأنعام .
 - (٣) يقصد بالمقاربة (الشروع) ، لأن من النحاة من يفتح المقاربة والرجاء والشروع تحت عنوان واحد وهو (المقاربة) .
 - (٤) آية ١ من سورة فاطر .
 - (٥) آية ١٩ من سورة نوح .
 - (٦) آية ١٠٠ من سورة الأنعام .
 - (٧) آية ٧ من سورة القصص .
 - (٨) آية ١٣٦ من سورة الأنعام .

٧ - بمعنى (ألقى) كقوله تعالى " ويجعل الخبيث بعضه على بعضي " (١) وقوله تعالى : " وألقى فيها روائى " ، أي ألقى (٢) بدليل قوله في الآية الأخرى التي عللَ فيها المراد بخلق الجبال وإبان إنعامه فقال " وألقى في الأرض روائى أن تميد بكم " (٣) ، (٤)

فإذا ما انتقلنا إلى استعمال هذا الفعل للشروع وجدناه مقصوراً على الماضي ليس غير ، وجدناه أيضاً - وهذا ما يدعمو للعجب - لا شاهد له إلا ما ذكره ابن هشام في الشذور وفي أوضح المسالك وكذلك الأشموني في شرحه على الألفية (٥) .

وَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا قُمْتُ يَتَلَفَّنِي

ثوبي فأنهض نهض الشارب السكير (٦)

وكذلك ما ذكره الشيخ محمد محيي الدين في تحقيقه على

شرح الأشموني :

وقد جعلت إذا ما حاجة عرّفت

بباب دارك أدلّوها بالقوام (٧)

(١) آية ٢٧ من سورة الأنفال .

(٢) آية ٣ من سورة الرعد .

(٣) آية ١٥ من سورة النحل

(٤) البرهان في علوم القرآن صفحات ١٢٩ - ١٣٤ بتصرف . ج ٤ .

(٥) أوضح المسالك ، الشاهد رقم ١٢٠ ص ٤٨ تحقيق محمد محيي الدين . ط السعادة ١٩٤٩ وشرح الأشموني ج ١ ص ٢٤٥ مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٢ .

(٦) شرح الأشموني هامش ص ٥١٥ من الجزء الأول .

بالإضافة إلى أن البيت الأول فيه اختلاف في الرواية ، فمن النحاة
من يرويه :

وقد جعلت إذا ما قمت يوجعني

ظهري فقامت قيام الشارب السكر

وفيه أيضا اختلاف في نسبه إلى قائله ، فمنهم من ينسبه
إلى أبي حية النمري ومعه بيت آخر ليس غير ، ومنهم ينسبه إلى
عمرو بن أحمر الباهلي ومعه أربعة أبيات آخر^(١) .

هذه الاختلافات تثير الشك في هذا البيت ، وليس معنى ذلك
أننا ننفي استعمال الفعل (جعل) للشروع ، بل نقول إن استعماله
قليل بل نادر .

وقد ذكر ناظم الألفية هذا الفعل وغيره من أفعال الشروع
دون شاهد قال :

" كأنشأ السائق يحدو وطفسق

كذا جعلت وأخذت وعلسق "

ولم يأت ابن عقيل بهذا الشاهد ولا بغيره ، بل قال " وذلك
نحو أنشأ السائق يحدو ، وطفق زيد يدعو ، وجعل يتكلم ، وأخذ
ينظم وعلق بفعل كذا^(٢) " .

(١) الشيخ محمد محيي الدين في تحقيقه شرح الأشموني على الألفية
هـ ص ٥١٣ من الجزء الأول .

(٢) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٣٣٧ .

وسبويه أيها لم يأت بشاهد على (جعل) عندما ذكر أن خبرها لابد أن يكون جملة فعلية دون (أن) . قال " ومثله - أي مثل كاد وكرب ... (جعل يقول) لا تذكر الاسم هنا ومثله أخذ يقول .. " ^(١) .

وقد ذكر الزركشى شواهد لكل استعمالات (جعل) عدا استعماله كفعلي من أفعال الشروع ^(٢) .

أفلا يحق لنا بعد ذلك أن نقول إن استعمال جعل كفعل من أفعال الشروع إنما كان نقلاً وليس ارتجالاً ؛ أي أن الشروع لم يكن أصلاً في استعمالها ، بل نقلت هي إليه ، يقوي هذا القول أن الزركشى يعدّها من أمهات الأحداث فيقول عنها :

" ومن ذلك (جعل) وهي أحد الأفعال المشتركة التي هي أمهات الأحداث وهي فعل وعمل وجعل وطلق وأنشأ وأقبل " ^(٣) .

وما قلناه في (جعل) نقوله في (أخذ) فهو كفعلي غير متصرف مستعمل للشروع - منقول عن الفعل (أخذ) المتصرف ذي المعاني العديدة فمن معانيه :

١ - عاقب : كقوله تعالى : " وكَذَلِكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقِسْرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ " ^(٤) .

(١) الكتاب ج ١ ص ٤٧٨ .

(٢) البهرهان في علوم القرآن ج ٤ ص ١٢٨ .

(٣) السابق ج ٤ ص ١٢٨ .

(٤) آية ١٠٢ من سورة هود .

٢ - اعمل : كقوله تعالى " خذوا ما آتيناكم بقوة " (١) .

٣ - وتجيء قبل القسم نحو " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ " (١) (٢) .

ويذكر الزركشي أنها تأتي للمقاربة أيضا ، ولا يذكر شاهداً
على ذلك، بل يقول " أخذ يفعل كذا " .
(٤) (٥)

وإذا كنا قد تلمّسنا شاهداً أو اثنين على الفعل (جعل) فإننا لم نجد شواهداً للفعل (أخذ) كفعلٍ من أفعال الشروع، إلا ما أنشده الشيخ محمد محيي الدين :

فَأَخَذْتُ أَسْأَلُ وَالرَّسُومُ تُجِيبُنِي ۖ إِلَّا أَعْتَبَارَ إِبْرَاهِيمَ وَسُلَٰلِ

مع ملاحظة أن الاستعمال الحديث قد هجر كل أفعال الشروع عدا هذا الفعل .

وما قلناه في جعل وأخذ ، نقوله في باقى الأفعال عدا
 طلق . ولولا الإطالة لتناولنا باقى الأفعال فعلا فعلا وبيننا معانيها
 ثم نقلها إلى معنى الشروع . على أنه لا بد أن نذكر أن (علق) لها
 شاهد واحد هو :

أَرَأَيْكَ عَلِمْتَ تَظْلِمُ مِنْ أَجْرِنَا * * * وَظَلَمُ الْجَارِ الدَّالُّ الْمَجِيرُ (٦)

(١) آية ٦٣ من سورة البقرة .

(٢) آية ١٨٢ من سورة آل عمران .

(۳) البرهان ج۴ ص ۱۶۳ و ۱۶۴ بتصرف .

(٤) بية مد بالمقاربة : الرجاء والشروع والمقاربة كما بينا من قبل .

(٥) البهرهان ج ٤ ص ١٦٤ . (٦) شرح الأشموني ج ١ ص ٥١٠ .

ومع ذلك فهو مشكوك فيه ، وَلَمْ يَنْسِبْهُ أَحَدٌ إِلَى قَاتِلِ مَعْيَسٍ
وكذلك الفعل (هـب) له شاهد واحد ، هو :

هَبَبْتُ الْيَوْمَ الْقَلْبَ فِي طَاعَةِ الْهَوَى * * * فَلَجَّ كَانِي كُنْتُ بِاللَّوْمِ مَغْرَمًا^(١)
وهذا البيت أيضا لم ينسبه أحدٌ إلى قاتلٍ معين .

وشاهدُ الفعل (هلهل) كفعل من أفعال الشروع
وَيَطِئُنَا دِيَارَ الْمُعْتَدِينَ لِهَلْهَلَسْتُ * * * نَفُوسُهُمْ قَبْلَ الْإِمَاتَةِ تَزْهَتَقُ^(٢)
(وأنشأ) لها شاهد واحد أيضا :

لَمَّا تَبَيَّنَ مَيْلُ الْكَاشِحِينَ لَكُمْ * * * أَنْشَأْتُ أَعْرَبُ مِمَّا كَانَ مَكْتُوبًا^(٣)

كلُّ ذلك يُرينا أَنَّ أفعالَ الشروعِ هذه لَمْ تكن موضوعةً أصلاً
لهذا الاستعمال ، بل إِنَّ لها من المعاني الكثيرة الأخرى المدعَّمة
بالشواهد ما يقوي الظنَّ عندنا أَنَّ استعمالَها للشروع كان نقلاً
وليس أصلاً ، ثم إنها عندما استُعملت للشروع لزمَت صيغةً واحدةً
لا تتعداها ، بعد أن كانت متصرفةً في الاستعمالات الأخرى .
إنَّ الفعل (علق) مثلاً الذي أوردنا له منذ قليل شاهداً واحداً على
استعماله للشروع - هذا الفعل مع مشتقاته قد شغل من لسان
العرب ما يزيد على أربع صفحاتٍ تشمل استعمالاته المختلفة

(١) شرح الأشموني . هامش ص ٥١١ من الجزء الأول .

(٢) همع الهوامع ج ١ ص ١٢٨ .

(٣) شرح الأشموني هامش ص ٥١١ من الجزء الأول .

وشواهدها . ونحن نوردُ بعضَ هذه الاستعمالاتِ ملخصةً لنُثبتَ أنَّها الأصلُ وأنَّ الشروعَ إنما كان نقلاً بعد ذلك .

عَلِقَ بالشئِ عَلَقًا وَعَلَقَهُ نَشَبَ وهو عالق به، وعَلِقَ الصيدَ فليس حبالته أي نَشَبَ ، يقال للصائدِ أَعْلَقَتْ فادركُ ، أي علقَ الصيدُ فليس حبالته ، وعَلِقَتْ مراسي الأبلِ ، أي اطمأنت وقرتْ عيونُها بالمرتفع . وعَلِقَ قلبُه أي أحبَّ . وتعلق بها . وانه لدو عَلِقَ بفلانة ؛ أي ذو شغف بها . والعَلَقُ ما فيه هُلْفَةٌ من الطعام إلى وقت الغداء وعُلُقَةٌ من طعامهم أي بقيتُه ومنه ليس المتعلق كالمتأنق ؛ ليس من عيشه قلبل يتعلق به كمن عيشه كثير . والعَلَقُ أكلُ البهائم ورق الشجر . والصبي يعلُقُ يمه أصابعه وعَلَقَتْ الدابةُ إذا شربت الماء .^(١)

فإذا ما أتينا إلى استعماله كفعل من أفعال الشروع لم نجد لهذا الاستعمال إلاَّ شاهدًا واحدًا غيرَ معروف القائل أنشده الأشموني :

أراك علقت تظلم من أجرونا ^(٢) وظلم الجار الدلال المجير

أما الفعل (طلق) فله ميزة خاصة به ، فقد ورد في القرآن الكريم كفعل من أفعال الشروع دون باقي الأفعال ، وقد ورد موتين، وفي كليتهما كان بصيغة الماضي لم يتجاوزها :-

(١) لسان العرب مادة علق ج ١٢ ص ١٣٣ ، بتلخيص .

(٢) الشاهد رقم ٢٤٣ في شرح الأشموني ج ١ ص ٥١٠ .

الأولى في قوله تعالى : " وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ^(١) " .

الثانية : في قوله تعالى : " فَطَفِقَ مَسْحًا بِالُسُوقِ وَالْأَعْنَاقِ ^(٢) " .

فأما الأولى فواضح فيها أَنَّ طَفِقَ من أفعال الشروع وخبره جملة (يخصفان) ، وأما الثانية فخيرها مفردٌ وهو (مسحاً) . ومن النحاة من جعله مصدرًا في موضع الحال أي طفق مسحاً ، ومنهم من جعل التقدير (بمسح مسحاً) ، أي أن هذا المصدر مفعول مطلق للفعل محذوف ، بذلك تستقيم الجملة الفعلية المقدرة خبراً لطفق ^(٣) .

ومعنى (طَفِقَ) في المعجم (لَزِمَ) ، وطفق يفعل كذا أي لزم يفعل كذا . ونلاحظ أن الفعل (لزم) يعطى المعنى نفسه الذي يعطيه طفق ، كفعل من أفعال الشروع ، وليس هناك استعمالات أخرى جوهرية للفعل طفق عدا ما ذكره صاحبُ اللسان : طفق بفلان أي ظفرَ به ^(٤) . من أجل هذا نستطيع أن نقولَ إِنَّ (طفق) هي للشروع ارتجالاً وليس نقلاً .

وإذا كانت باقى الأفعال ليست مرتجلة أصلاً للشروع ، بل منقولة إليه ، فإنَّ هناك شيئاً يستحق الذكر ، ذلك أننا نستطيع أن نتلصق مبرراً لهذا النقل في معاني بعض هذه الأفعال . فالفعل (شرع) بمعنى اتخذ منهاجاً كما في الآيات الكريمة : " شرع لكم

(١) آية ١٢١ من سورة طه وآية ٢٢ من سورة الأعراف .

(٢) آية ٢٣ من سورة ص .

(٣) إعراب القرآن للعكبري على هامش حاشية الجلالين ج ٤ ص ٢١٤ .

(٤) اللسان مادة طفق ص ٩٥ .

من الدين ما وصّى به نوحاً^(١) و " أم لهم شركاءُ شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله^(٢) " و " ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتَّبِعْهَا^(٣) " . ومن هنا يأتى الشروع فى الشيء أى البدء ، أو اتخاذ المنهج فيه .

ومادة (علق) تدل فى بعض استعمالاتها على البداية أيضاً ، يقول الله سبحانه وتعالى " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ^(٤) " ، والعلق القطعة اليسيرة من الدم الغليظ الذى أصله المنى فينتقل طورا بعد طوره فيصير دما غليظا متجمدا ، ثم ينتقل طورا آخر فيصير لحما وهو الممضة .. " . أى أنه بداية الخلق والتكوين والفعل (هب) فى قولنا (هبت الريح) يدل على أن الريح كانت ساكنة ثم بدأت الهبوب .

وبعد ، فهل نستطيع أن نقول بعد هذا العرض لمعانى تلك الأفعال إنَّ استعمالاتها للشروع كان نقلا وليس ارتجالا أو أصلا ، وإنها من أجل ذلك لزمّت صيغة واحدة لا تتعداها عندما تستعمل منقولة .

(١) آية ١٢ من سورة الشورى .

(٢) آية ٢١ من سورة الشورى .

(٣) آية ١٨ من سورة الجاثية .

(٤) آية ٢ من سورة العلق .

(٥) حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ٥٦٠ .

الفصل الخامس

أعمال الرجاء

أفعال الرجاء

وهذا قسم آخر من أقسام الأفعال الناسخة تتميز بعدم التصرف، ويتكون من الأفعال عسى وجرى واخْلُوق .

أما عسى فأمرها عجيب ، ذلك أنني باطلاعي على هذه المادة في معاجم اللفظ لم أجد معنى من تلك المعاني يطابق الرجاء أو يدل عليه أو يقاربه أو يشابهه ، ففي اللسان والقاموس المحيط^(١) عَسَا الشَيْخُ يَعْسُو عَسْوًا وَعُسْوًا وَعُسِيًّا وَعَسَاءً أَي كَبِرَ مِثْلَ عَتِيَّتِي ، يُقَالُ لِلشَّيْخِ إِذَا وَلَّى وَكَبِرَ عَتَا يَعْتَوُ عُتِيًّا ، وَعَسَا يَعْسُو مِثْلَهُ . وَعَسَا النَّبَاتُ عَسَاءً وَعُسْوًا غُلُظٌ وَيَبَسَ . وَالْعَاسِي النَّخْلُ . وَعَسَى اللَّيْلُ اشْتَدَّتْ ظُلُمَتُهُ .

هذا بالإضافة إلى ذكرهم عسى كفعل من أفعال المقاربة^(٢) فما العلاقة بين تلك المعاني وبين معنى الرجاء في عسى ؟ الواقع أننا أمام أحد احتمالين للإجابة عن هذا السؤال :

الأول : أن نتلصق العلاقة بشيء من التلطف وحسن المنعنة ذلك أن عسا الشيخ وعسى عسى بمعنى كبر ، أي بلغ النهاية ، أو قاربها .

والفعل نفسه مسنداً إلى النبات يكون بمعنى غُلُظٌ وَيَبَسَ أي بلغ النهاية أو قاربها ، وبالنسبة لليل ؛ أي اشتدت الظلمة أي

(١) اللسان ج ١٩ ص ٢٨٢ القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٦٤ .

(٢) يُطلق القدماء على أفعال المقاربة والرجاء والشروع جميعاً : أفعال المقاربة .

بلغ الذروة بعد أن انتهى النهار . فهل معنى هذا أن (عسا) أو (عسى) تعنى بلوغ الغاية أو قربها ؟ ويكون فى ذلك شبهة بالرجاء ، وهو أيضا يدل على بلوغ الغاية أو مقاربة بلوغها .

ولو أننا نملك من أدوات البحث ما يمكننا من معرفة الاستعمالات المختلفة لهذا الفعل وتطورها وترتيبها التاريخي أقول ، لو أننا نملك ذلك لقطعنا بصحة هذا الاحتمال ، ولقلنا إن هذه الاستعمالات تعزو إلى الاشتقاق التاريخي لهذه الكلمة من حيث المعنى .

هذا هو الاحتمال الأول ، أما الثانى فإن تكون هذه الكلمة (عسا) أو (عسى) اختصارا لكلمة أكبر كانت تستعمل لتلك المعاني جميعا ومنها الرجاء ، ثم اختصرت أو اختزلت على مر العصور حتى أصبحت على صورتها ، يؤيد ذلك نتيجة بحث اللغويين فى تطور بنية الكلمة ، فقد وجدوا أن الاتجاه فى تطور البنية للكلمات نحو الاختصار والاختزال ، لا نحو التكثير أو التضخم ، أي أنه سم شاهدوا أن اللغات فى أقدم صورها المعروفة لنا كانت تتفهم من كلمات كثيرة الحروف طويلة البنية متعددة المقاطع ، وأن هذه الكلمات بتوالى العصور قد أصبحت قصيرة البنية قليلة المقاطع ، وقد تم نتيجة الميل العام لدى الإنسان - فى كل شئونه الاجتماعية ومنها اللغة - نحو أيسر السبل وبذل أقل مجهود . فيقول جيمرسن " ليس هناك أدنى شك فى أن الاتجاه العام لجميع اللغات هو نحو تقصير الصيغ للكلمات (١) وقد برهن على صحة قولـــــــــــــــــه

(3) Language, its nature development and Origin. P. 330 London 1964.

بمقارنة صيغ الكلمات في اللغات الهندية الأوروبية القديمة
كالسنسكريتية واليونانية واللاتينية بنظائرها في اللغات الأوروبية
الحديثة^(١) .

إذن فإن الاحتمال الثاني هذا ليس بعيداً، ويؤيده بعض أمثلة
أخرى في اللغة فإن (سوف) مثلاً يُقال فيها (سوف) بحذف الوسط^(٢)
و (سو) يحذف الأخير و (س) يحذفه وقلب الوسط ياء^(٣) .
وربما كانت (كي) اسماً مختصراً من (كيف)^(٤) .

وبعد أخذنا بواحد من هذين الاحتمالين لكي نعرف أصل
(عسى) كفعل من أفعال الرجاء، نجد أن هناك كلمات كثيرة مشتقة
من هذا الفعل وتدل على رجاء أيضاً وذلك نحو "المُعَسَّة كمُعَسنة
وهي الناقة يُشَكُّ أنها كَيْنٌ أولاً والمُعَسَّاةُ الجارية المراهقة التي يظن
من رآها أنها توفات"^(٤) .

(١) من مقال للدكتور إبراهيم أنيس في مجلة مجمع اللغة العربية
باعتوان : تطور البنية في الكلمة العربية ج ١١ ص ١٦٨ . وقد
راجعت أصل النص الانجليزي لجبرسن . وهناك طائفة أخرى من
اللغويين يروون العكس ، أي أن الجذر الأصلي لكل الكلمات القديمة
في نشأتها كان أحادي المقطع ، وأنه تطور بتوالي العصور إلى
ثنائي المقطع وثلاثي المقطع حتى صارت الكلمات على النحو
المألوف لنا الآن . المقال نفسه ص ١٦٦ وقد أورد السيوطي
أمثلة كثيرة تطبيقاً لهذا الرأي ، فذكر أن الفعل (تق) أميت
والحق بالرباعي فأصبح تفتق ، وأميت (شع) وأصبح شعشع ،
وأميت (هط وطه) وأصبح طهطاه ، وأميت (فع) وأصبح فعضع .
المزهر ج ٢ ص ٤٧ .

(٢) المغني ج ١ ص ١٨٥ .

(٣) المغني ج ١ ص ٢٤١ .

(٤) اللسان ج ١٩ ص ٢٨٣ .

فالناسقة يُرجى لِسْنُهَا ، والفتاة يُرجى طَهْرُهَا .

تأتى بعد ذلك الى إسناد الضمائر الى هذا الفعل ، فنجد " أنَّ أهلَ الحجاز يُلزمونَ (عسى) حالتى الإفراد والتذكير سواءٌ أُسندتْ إلى مؤنثٍ أم إلى مذكرٍ، وسواءٌ أكان ذلك الاسمُ المتقدمُ عليها مفرداً أم مثنى أم جمعاً. فيقال زيد عسى أن يقوم، والزيدان عسى أن يقوما، والزيدون عسى أن يقوموا ، وهند عسى أن تقوم والهندان عسى أن تقوموا، والهندات عسى أن يقمن ، أما بنو تميم فهم يُضَيَّرُون (عسى) بتغيير الاسم قبلها ، فتؤنثُ إنَّ كان مؤنثاً وتثنى إنَّ كان مثنى وتُجمعُ إن كان جمعاً، وتُفردُ إنَّ كان مفرداً فيقال مثلاً زيد عسى أن يقوم ، والزيدان عسيّاً أن يقوما والزيدون عسوا أن يقوموا وهند عست أن تقوم والهندان عستا أن تقوموا والهندات عسيّن أن يقمن ، وجاء التنزيل بإفراد عسى إلا آيتين أسندت (عسى) فيهما إلى ضمير رفع ، لأنه قد فصل بين اسميهما وخبرها بجملة طويلة . والآيتان هما " قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ^(١) " و " فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض ^(٢)، ^(٣) " .

ونظن أن لغة بنى تميم هي الأقدم ، فإسناد الفعل إلى ضمير يرجع إلى المسند إليه أمر منطقي ويتمشى مع استعمال الأفعال الأخرى نحوه الزيدان ضربا والهندات ضربن ، إلا أن عدم تصرف هذا الفعل ولزومه صيغة واحدة ، وهى صيغة الماضى ، قد جعله

(١) من الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ٢٢ من سورة محمد .

(٣) اللغة والنحو للدكتور حسن عون ص ٢١٦ بتصرف .

عند تطور الاستعمال بعد ذلك يتخلص من تلك الفعائر ، وكانسه
قد ثبت على صورة واحدة - وهي (عسى) - لا يتعداها .

وهناك صورة أخرى لهذا التبسيط في الاستعمال خلال التطور
اللغوي تتمثل في لغة أكلوني البراغيث نحو قاما المحمدان وقاموا
المحمدون ، فإنه بتطور الاستعمال أفرد الفعل المتقدم سواءً أكان
الفاعل مفرداً أم مثنى أم جمعا .

وبعد هذا تطبيقاً لقول اللغويين المحدثين إن عملية
التيسير في ظواهر اللغة غير مقصورة على بنية الكلمات بسبل
تتناول أموراً كثيرة بعضها يرجع إلى الأصوات وبعضها يرجع إلى
القواعد وطرق الإسناد ، فالأفعال تتجه في تطورها نحو التخلص
من علامات التعبير عن الشخص (كالتكلم والمخاطب والغائب)
ومن علامات تشير إلى الأفراد والتذكير أو الجمع ومن علامات
التأنيث والتذكير ^(١) .

وتذكرنا (عسى) في التقابل اللغوي له فائدته ، وذلك
أن في اللغة الانجليزية أفعالاً يطلق عليها Defective verbs
أي الأفعال الناقصة Can, could, shall, should, will, would, may,
might, must, ought to. والفعل الناقص هو فعل لا تتوفر له الصيغ
التي تتوفر لمعظم الأفعال . ويقابل الفعل الناقص الفعل

-
- (١) ألقد الإشارة إلى التخلص من الفعائر عند الإسناد إلى عسى
وكذلك التخلص من الفعائر الموجودة في لغة أكلوني البراغيث
(٢) من مقال الدكتور إبراهيم أنيس " تطور البنية في كلمات
اللغة العربية مجلة المجمع اللغوي ج ١١ ص ١٦٨ .

(1) full verb. التمام

واختلف النحاة في (عسى) هل هي فعل أو حرف كـمــــــــــــا
اختلفوا في (ليس) وقد بينا ذلك من قبل . وما قلناه في (ليس)
تقوله في (عسى) مع اختلاف الأسباب . فكلمة ليس - كما بينا -
ليست أصلا في وضعها ، بل جاءت عن طريق النحت من لا وأيـــــــــــــس
ومن ثمّ جاء اختلافُ النحاةِ في فعليتها أو حرفيتها . أمّا (عسى)
فعدمُ معرفة أصلها - إلّا على واحد من الاحتمالين اللذين ذكرتهما
منذ قليل - وعدمُ تصرفها آدبياً إلى اختلاف النحاة في كونها فعلاً
أو حرفاً . غير أن هناك شيئاً مهماً جداً ، ذلك أن اختلاف النحاة
في (عسى) لا محلّ له ولا موضع ، فبعض استعملاتها من واقعــــــــــــع
النصوص اللغوية الموثوق بها تؤيد أنها فعل ، وبعض استعملاتها
تؤيد أنها حرف . والسبب في ذلك - كما قلت - عدم معرفــــــــــــة
أصلها على وجه اليقين .

فَمَنْ اسْتَعْمَلَهَا حَرْفًا مَا نَصَّ عَلَيْهِ سَيَبُويْه " وَأَمَّا قَوْلُهُمْ
(عساک) فَالْكَافُ مَنْصُوبَةٌ . قَالَ الرَّاجِزُ وَهُوَ رُؤْيَا :

يَا أَبَتَا عَلٍّ أَوْ عَسَاكَ

والد والدليل على أنها منصوبة أنك إذا عنيت نفسك كانت علامتك
في : قال عمران بن حطان :

وَلِي نَفْسٍ أَقُولُ لَهَا إِذَا مَا تَنَزَّاعُنِي لَعَلِّي أَوْ عَسَانِي

4) A dictionary of Theoretical Linguistics. M.El Kholi.
Librairie du Liban. 1982

فلو كانت الكافُ مجرورةً لقال (عساي) ولكنهم جعلوها بمنزلة
لعل في هذا الموضع . فهذان الحرفان لهما في الإضمار هذه الحال^(١) .

وقد نصّ ابنُ هشامٍ على ذلك في المغنى حيث قال " يقسمال:
عساي وعسك وعسياه وهو قليل وفيه ثلاثة مذاهب^(٢) " .

ثم يذكرُ المذهبَ الأولَ " أنها أجريت مجرى لعل في نصب
الاسم ورفع الخبر ، كما أجريت لعل مجراها في اقتران خبرها
بان^(٣) " ثم يأتى بيت صخر بن جعد :

لَقُلْتُ عَسَاهَا نَارُ كَاسٍ وَعَلَّهَا * * * تَشَكَّى فَاتَى نَحْوَهَا فَاَعُودُهَا
دليلاً على أن خبرها مفردٌ مرفوعٌ وليس جملةً^(٤) .

ومن استعمالاتها فعلاً قولُ الله سبحانه وتعالى " قَالَ هَلْ
عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا^(٥) " وقوله سبحانه
" قَهْلُ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ^(٦) " .
ومن هذا الاستعمال أيضاً مجيء خبرها مفرداً وليس جملةً
كما في قولهم " عسى الغوثُ أبوساً " قال سيبويه
فهذا مثل من أمثال العرب أجروا فيه (عسى) مجرى (كان)^(٧) .
وكذلك قول الراجز :

(١) الكتاب ٢٨٨/١ و ٢٨٩ .

(٢) المغنى ص ٢٠٣ .

(٣) المغنى ص ٢٠٣ .

(٤) المغنى ص ٢٠٤ .

(٥) من الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٦) من الآية ٢٢ من سورة محمد

(٧) الكتاب ٤٧٨/١ .

أَكْثَرَتْ فِي أَلْوَمٍ مُلَحًّا دَائِمًا ۞ لَا تُكْثِرُنَّ إِنِّي عَسِيْتُ صَائِمًا^(١)
 وَقَدْ مَدَّ ابْنُ جَنِي اجْرَاءً (عسى) مجرى (كان) شاذًّا فليس
 الاستعمال مطردا في القياس^(٢) . فأما الاطراد في القياس فراجع
 إلى أن (كان) كذلك وقد قاسوا (عسى) عليها ، وأما الشذوذ
 في الاستعمال فلأن ما ورد في كتب النحو واللغة شاهداً على ذلك
 لا يتعدى المثل والبيت .

أما ما حكاه شعلب (عسى زيد قائم) وما بناه عليه
 أن (عسى) ناقصة ، وأن اسمها ضمير الشأن ، والجملة الاسمية
 الخبر^(٣) ، فلا يعتد به ، لأن شعلباً لم يأت بشاهد على ذلك ، وأيضاً
 مما يقوي عدم الاعتداد بقول شعلب أن القرآن الكريم لم يستعملها
 على نمط المثال الذي أتى به شعلب ، بل إن استعمال القرآن لها
 جاء على وجهين :^(٤)

أحدهما : أن ترفع اسماً صريحاً ، ويؤتي بعده بخبر ويلزم
 كونه مضارعاً نحو " فعسى الله أن يأتي بالفتح " .^(٥)

(١) المغنى ص ٢٠٢ وينسب إلى روية وانظر خزانة الادب للبغدادى
 ج ٤ ص ٧٧ بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

(٢) الخصائص ج ١ ص ٩٦ .

(٣) المغنى ص ٢٠٤ .

(٤) البرهان في علوم القرآن للإمام محمد بن عبد الله الزركشى ج ٤
 ص ١٦٠ تحقيق محمد أبى الفضل ، دار احياء الكتب العربية
 . ١٩٥٩

(٥) المائدة : ٥٣ .

الثاني : أن يكون المرفوعُ بها (أن والفعل) ومنه قولُه
تعالى " عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً " ^(١).

كان هذا كله عن (عسى) . فماذا عن اخلولق ؟ إن هذا
الفعلَ غيرُ متصرفٍ ، ليس ذلك لحسب ، بل إنَّه أيضاً قليلُ الاستعمالِ
بل نادره ، حتى ليخيل إلى أنه مصنوع .

وليس ببعيد عنا ما يذكره ابنُ جنى في مواضع كثيرة من
كتبه " كيف تبني من كذا على مثال كذا ؟ " .

" من ذلك بناؤك مثل فعلول من طويت ، فهذا لابد أن يكون
طَوِيَّوِيٍّ ، فإن بدأت بالتغيير من الأول ، فإنك أبدلت الواو الأولى
ياءً لوقوع الياء بعدها ... " ^(٢).

" ومثال ذلك (أيضاً) قولك في مثال (أي في وزن) أوزة
من أويت : أياًة ، وأملها أئوية ، فابدأل الهمزة التي هي فاء
واجب ... " ^(٣).

" ومن ذلك قولُه في مثال جعفر من الوار أوى وأملها... " ^(٤).

فبناءُ فعل (أو كلمة بوجه عام) على وزن من الأوزان
معروف عند العرب حتى لو كانت هذه الكلمة المستحدثة غير مستعملة
عندهم .

(١) الإسراء ، ٧٩ .

(٢) الخصائص ج ٣ ص ٧ .

(٣) الخصائص ج ٣ ص ٩ .

(٤) الخصائص ج ٣ ص ٩ .

ومن ثمّ جار لنا أن نقول إن الفعلَ (أُخْلِقَ) بمعنى بلى، بَنَوْا منه على مثال (افْعول) فكان الفعلُ اخلولق، ونتذكرُ في هذا العدد الفعلَ (أعشب) وبناءً الفعول منه فيكون اعشوشب ومثله الغدودن.

والذي يقوى الظنُّ في أن هذا الفعل مصنوع شيثان :

الأول : أن كتبَ الصرف عندما تتعرض للفعل الثلاثي المزيـد بثلاثة أحرفٍ على وزن (افْعول) تأتي بمثال عليه الفعل (الغدودن) كإغدودن الشعر إذا طال ، والفعل اعشوشب كاعشوشب المكان إذا كثر ^(١) عشب .

يقول سيبويه " ولا يفصل بين العيينين (يعتمد عين الكلمة عندما تتكرر) إلّا في هذا الموضع ولا يكون الفصل إلّا هواو " ^(٢) ثم يأتي بمثال على ذلك فيقول " وذلك قولك اغدودن ومفسـدودن واحلولى ومحلولى " ^(٣) ولم يأت باخلولق ، مع أن سيبويه معـروف باستقصائه الواح .

الثاني : أننى لم أجد - فيما اطلعت عليه من كتب النحـو واللفـة - شاهداً على استعمال اخلولق فعلاً من أفعال الرجـاء ^(٤)

(١) المزهر ج ٢ ص ٤١ وشذا العرف ص ٢٩ وشرح ابن عقيل ج ٢ ص ٥٩٨ والنحو الوالى ج ٤ ص ٥٦٦ .

(٢) الكتاب ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٣) الكتاب ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٤) انظر مثلاً الكتاب ج ١ ص ٤٧٧ وحاشية الصبان على الأشمونى ج ١ ص ٢٠٩ والمكتبة التجارية بمصر وهمع الهوامع ج ١ ص ١٢٨ وشرح التصريح ج ١ ص ٢٠٦ . وشرح ابن عقيل ج ١ ص ٢٨٤ وشرح الكافية للرضى الاسترأبادي ج ٢ ص ٣٠٤ نظارة المعارف باستنبول .

بل إنَّ المِثَالَ الوحيدَ المكرَّرَ في كلِّ ما اطلعت عليه هو (اخلولق
السَّاءُ أن تمطر) .

ويبدو أنَّ هذا المِثَالَ له علاقةٌ بالمِثَال الذي ورد في لسان
العرب ^(١) (اخلولق السحاب) ، أي استوى وارتقت جوانبه وصار خليقا
بالمطر ، وربما كان هذا المِثَالُ مفسرا لاستعماله عند النحاة
وليس عند عامة العرب كفعل من أفعال الرجاء ، ذلك أنَّ (اخلولق
السحاب) يدلُّ على أنَّ المطرَ آتٍ ، والماء كما هو معلوم معقود
الرجاء عند العرب ومبعث الأمل فيهم .

والفعل (حوى) مثل الفعل اخلولق ، غير مستعمل وربما
كان ذلك سبب عدم تصرفه ، فنحن نستعمل أخرى كما نستعمل
أخلق وقد ورد الاثنان معا في قول شوقي :

^(٢)
يا نيلُ أنتَ بطيب ما نَعَتَ الهدى * * * وبميدحة التوراة أخرى أخلق

وورد (اخلق) أيضا في قوله :

^(٣)
أما العتابُ فبالأخبةِ أخلق * * * والحبُّ يُعلِّح بالعتاب ويصدقُ

(١) اللسان ج ١ ص ٨٨ .

(٢) الشوقيات ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) الشوقيات ج ١ ص ١٦١ .

وقد ورد في اللسان أيضا " الحَرَّى : الخليق وتثنى وتُجمع
 رُتُونَةٌ فيقال حَرَّتَانِ وحَرَّتُونَ وحَرَّتَانِ وحَرَّتَات ، ومن (آخر به)
 اشتق التَّحَرَّى في الأشياء ونحوها ، وهو طلب ما هو أحمَرُّ
 بالاستعمال أي أولى وأجدُر وأحقُّ ، ومنه قولُ الله سبحانه
 وتعالى : " فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا " ^(١) قال ثعلب : حَرَّى
 أن يَسَالَ الخَيْرَ كُلَّهُ ^(٢).

وقد بحثت عن شاهدٍ يؤيد قولَ ثعلب بأن (حرى) فعل ماضٍ
 غير متصرف ، فلم أجد إلا بيتا منسوبا للأعشى ميمون .

إِنْ يُقَالُ هُنَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ * فَحَرَّى أَنْ يَكُونَ ذَاكَ وَكَانَا
 وهذا الشاهد لم يأت به أحدٌ إلا ابنُ هشام ^(٣) ، ولكنني لم
 أجده في ديوان الأعشى . هذا بالإضافة إلى أن محقق شذور
 الذهب الشيخ محمد محيي الدين يقول تعليقا على هذا البيت " وأيضاً
 لمبعد تسليم ثبوته لا يكون نصاً فيما زعمه المؤلف لـجـوـان
 أن يكون حَرَّى اسماً منوناً أيضاً ، وهو خبر مقدم و(أن يكون)
 في تأويل مصدر وهو مبتدأ مؤخر ... والحاصل أن النفس غيسرُ
 مطمئنة إلى الاستدلال بهذا البيت " ^(٤).

(١) من الآية ١٤ من سورة الجن .

(٢) اللسان ج ١٠ ص ١٨٧ .

(٣) شذور الذهب ص ٢٦٨ . المطبعة التجارية الكبرى ١٩٠٦ م .

(٤) ديوان الأعشى تحقيق د. محمد حسين ط بيروت ١٩٦٨ .

(٥) شذور الذهب هامش ص ٢٦٩ ونلاحظ أن المرحوم الشيخ محمد
 محيي الدين قد التبس عليه الأمر حين جور أن تكون (حَرَّى)
 بالتنوين ذلك أن البيت في هذه الحالة ينكسر عروضياً
 ولا يستقيم له البحر الخفيف ، إلا أن كان نطقها عنده حَرَّى .

ونقل صاحب اللسان عن ابن بَرِي أَنَّهُ أوردَ شاهدًا آخرَ

على (حَرَى) قول لبيد :

من حياة قد سئمتا طولها * * * وَحَرَىَّ طَوْلُ عَيْشٍ أَنْ يُمْلَـ

ولكن (حَرَى) هنا لابد أن تكون اسما منونا (حَرَىَّ) حتى

يستقيم البيت على بحر الرمل . ومما يؤيد هذا أنا وجدنا

البيت في الديوان وقد استبدلت كلمة (جدير) بكلمة (حَرَى) .

من حياة قد سئمتا طولها * * * وجديرٌ طَوْلُ عَيْشٍ أَنْ يُقَمَّلَ^(١)

وبعد هذا كله من (اخلولق) و (حَرَى) نُفِيضُ أَنْ الْقِرَآنَ

الكریم لم يَسْتَعْمَلْ هذين الفعلين إطلاقاً ، بالرغم من استعماله

الفعل (عس) كثيراً ، وبالرغم من استعماله مادة (خلق) أكثر ،

وبالرغم من ورود الآية الكريمة " فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً"^(٢) .

كل ذلك يقوي الظنَّ بأن هذين الفعلين نادرا الاستعمال

إن لم يكونا منعدمين تماماً ، وإن (اخلولق) بُنِيَتْ من أخلق

كما بُنِيَتْ (اعشوشب) من أعشب وأن الفعل (حَرَى) قد نقل عن الاسم

حَرَىَّ وقد نص صاحب اللسان على أن هذا الاسم (حَرَىَّ) غيــــــــــــــــر

متصرف أيضاً ، فهو ملازمٌ للإفرايد والتذكير . قال " فمن قال

حَرَىَّ " لم يغيره عن لفظه فيما زاد عن الواحد وسوى هـــــــــــــــــن

الجنسين "^(٣) .

(١) الديوان بتحقيق الدكتور إحسان عباس ص ١٢٩ ط الكويت .

(٢) الآية ١٤ من سورة الجن .

(٣) اللسان ج ١٨ ص ١٨٢ .

الفصل السادس

~~الفصل السابع~~

تَعَلَّمَ رَهَسَبَ

هذان الفعلان غير متصرفين ، وهما من أفعال القلوب ، فأمَّا الأول فوضعه النحاة مع الأفعال التي تدل على اليقين وهي : علم ورأى ووجد ودرى وأظن وجعل و (تَعَلَّمَ) ، وأما الثاني فوضعه النحاة مع الأفعال التي تدل على الرجحان وهي : ظن ، وخال وحسب وزعم وعد وحجا وجعل و (هَبَّ) ، وإنما سُميت هذه الأفعال بالقلبية ، لأن معانيها قائمة بالقلب^(١) وليس من هذه المعاني الفرح والحزن كما ذكر صاحب النحو الوافي^(٢) فيما ذكر من باقى المعانسي التي سماها الأمور النفسية إذ إنَّ الفرح والحزن وباقى المشاعر النفسية من يأس وكَمَدٍ ولوعة موطنها الكِبْدُ في الأغلب الاعم عند العرب، فمن ذلك قول الشاعر:

وَكَبِدًا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِيدِي * * * وَفَتَقْتُهَا لَوَاعِجُ الْكَمَسِيدِ^(٣)

وقال :

وَلِي كَبِدٌ مَفْرُوحَةٌ مَن يَبِيعُنِي * * * بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوجِ
أَبَى النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ لَا يَشْتَرُونَهَا * * * وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِمَحِيحِ^(٤)

(١) شرح التصريح على التوضيح ج ١ ص ٢٤٧ وشرح الأشموني ج ٢ ص ٣ .

(٢) النحو الوافي ج ٢ ص ٤ هـ ٤ .

(٣) مطلع قصيدة لابن عبد ربه الاندلسي في رثاء والده . العقسد الفريد ج ٢ ص ٢٠٨ ط دار الكتب العلمية ببيروت .

(٤) غير معروف القائل وقد غنتها جارية من المدينة . السابق

ج ٧ ص ٧٦ .

وقال تعالى " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ^(١) " من باب طرب...
فهو أكْبَدُ إذا وَجَّهَ كَبِدَهُ وانتفخت ، فاتَّسعَ ليه حتى اسْتعملَ في
كل تعب ومشقة ، ومنه اشتقتِ المكابدة ^(٢) ومنها أيضا مكابدة اي
معاناة الأوجاع والأحزان والصبر على الفراء .

ولكنَّ المعاني القاشمة بالقلب عند العرب هي المعاني العقلية
التي لا دخل للحن فيها ، كالهم والظن واليقين والرجحان والتفكير
والاعتقاد ، وكلها مذكورها بالقلب عند العرب، فمن ذلك قول اللّـه
سبحانه وتعالى : " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ^(٣) "
وقال تعالى : " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ
قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَسْمَآءٌ ^(٤)
لَا يَسْمَعُونَ بِهَا " .

وقال تعالى: " إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى
السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ^(٥) " .

وقد فطن إلى ذلك المستشرق Martimer Howell عندما
ترجم فعل القلب إلى Mental verb ، أي الفعل العقلي ، إذ إنَّ
الكلمة mental هي الـ adj. من mind ولم ينسبها في

(١) البلد - ٤ .

(٢) الكشف ج ١ ص ٥٤٥ .

(٣) محمد - ٢٤ .

(٤) الامراف - ١٧٩ .

(٥) ق - ٣٧ .

(١) الترجمة إلى القلب . (مقدمة الكتاب) .

ويخصنا من كل الأفعال القلبية الفعلان تَعَلَّمَ وَهَسَبَ ، لأنَّ
أفعالَ هذا الباب كَلَّهَا تتصرف إلا (هب) و (تعلم) فانهما جامدان
(يلقد غير متصرفين) ، ولم يُستعمل منهما سوى الأمر ، لا ماضٍ
ولا مضارع ولا وصف ولا أمر باللام .^(٢)

فإنَّ الفعلَ الأولُ وهو (تعلم) فإنه غير متصرف ويبقى نفسى
صيغة الأمر بشرط أن يكون معناه (اعلم) وعلى ذلك فقد ورد قبول
زهير :

قُلْتُ : تَعَلَّمَ أَنَّ لِلصَّيْدِ فِيسْرَةً ^(٣) وَإِلَّا تُفَيِّعَهَا فَإِنَّكَ قَاتِلُهُ

وقد وَرَدَ في كتب النحو كثيرٌ من الشواهد على ذلك ^(٤) .
وتَعَلَّمَ هنا بمعنى أعلم ، " فإذا ليل لك تَعَلَّمَ أَنَّ الأمر كذا فلا
تقل تَعَلَّمْتُ بل عَلِمْتُ " ^(٥) والفرق بين تَعَلَّمَ وَعَلِمَ أن الأولى بمعنى

(١) النواسخ الفعلية والعرفية ص ١٢٠ وكتاب المستشرق

هو A grammar of Classical Arabic Language. India 1883

(٢) المطالع السعيدة للسيوطي ص ٢٤٢ تحقيق د. طاهر حموده - الدار
الجامعية اسكندرية ١٩٨٢ .

(٣) شرح ديوان زهير . صنفه ابي العباس بن يحيى ثعلب ص ١٣٤ .
دار الكتب سنة ١٩٤٤ .

(٤) راجع شرح الاشعوني باب (ظن واخواتها) .

(٥) شرح الكافية ج ٢ ص ٢٧٧ .

(١) تكلف العلم ، والفعْلان تعلَّم واعْلَمُ يدخلان في دائرة الأَمـــــــور العقلية التي تحدثنا عنها منذ قليل ، ويبدو أن بعض القبايل العربية كانت تستعمل فعل الأمر تعلم مكان أعلم ولا يزال السعوديون يقولون : أَعْلَمُكَ ، ولا يقصدون بها التعليم أو التدريس مثلا بل يقصدون معنى أعرَفك أو أَعْلَمُكَ .

وأما الفعل الثاني وهو (هَبَّ) ، فمقصود استعماله على الأمر أيضا ، على أن يكون معناه (ظَنَّ) .

وقال الأصمعي : تقول العرب هبني ذلك ، أي احسبني واعدوني . وقال : ولا يقال هب في الواجب (الماضي) قد وهبتك ، كما يقال ذرني ودعني ولا يقال قد وذرتك .

على أن ابن الأعرابي قد حكى الماضي من هذا الفعل فقال وهبني الله فداك أي جعلني ، وَوَهَبْتُ فداك أي جَعَلْتُ فداك . (٢)

ولا يعتدُّ بحكاية ابن الأعرابي ، وقد وضع الأشموني هذه الحكاية شاهداً على أن (وهب) من أفعال التمييز : جعل واتخذ وتخذ ووهب وترك ... (٣)

أما فعل الأمر (هَبَّ) بمعنى أَعْطِ أو أَنْعَمْ فهو متصرف يستعمل ماضيه ومضارع قال تعالى " وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ " . (٤)

وقال " يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِ اشَاءَ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ " (٥) وقال " وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً " (٦)

(١) شرح الكافية ج ٢ ص ٢٧٧ بتصرف . (٤) الانعام ٨٤ .

(٢) اللسان مادة وهب ج ٢ ص ٢٠٥ . (٥) الشورى ٤٩ .

(٣) شرح الأشموني ج ٢ ص ٢٢ . (٦) آل عمران ٨ .

الفصل السابع

العمال المسجونين والسجناء

(١) نَعْمَ وَبُئْسَ

استعمل العربُ (ما الفعل) و (أعل به) كصفتين
للتعجب، واستعملوا للمدح نعم وحبذا، وللذم بُئس ولا حبذا وهذه
ليست صيغاً يُقاس عليها ، كما هو الحال في التعجب ، بل هي
كلمات بعينها لا تتغير .

وأول ما يلفت نظرَ الباحث أن المعاني التي تدور حولها
مادة (نعم) تدلُّ على الجمال والدعة والنعمة والترف، وكلُّ هذه
المعاني موافقةٌ لاستعمالها كاسلوب للمدح .

كذلك الحالُ في (بئس)، تدور معانيها حول البؤس والشدة
والضيق والعذاب ، وكلُّها معاني متوالفة مع الدم .

فأما نَعْمَ فقد ورد في اللسان :

" النعيمُ والنعمَى والنعماءُ والنعمة كله الخفضُ والدعةُ والصال،
وهو ضد البأساءِ والبؤسِ . قال تعالى ، ثم لتُسألنَّ يومئذ عَمِّن
النعيم " (١) أي تسألون يوم القيامة عن كل ما استمتعتم به في
الدنيا . وقال جلَّ شأنه " وأسبغَ عليكم نعمة " (٢) ومنها نعمةُ
العيش ونعماته وجميعها نعمات ونعائم ونِعَام . والنعمة كذلك اليدُ
البيضاءُ العالحةُ ، والصنيعة والمنة ، وما أُنعم به عليك . وتَسْلَمُ
نَعْمَ ونَاعِمٌ " (٣)

(١) آية ٨ من سورة التكاثر .

(٢) آية ٢٠ من سورة لقمان .

(٣) اللسان مادة نعم ج ١٦ ص ٥٧ بتعرف وتلخيص .

(١) هذه هي المعاني السائدة لمادة (ن ع م) .

وأما (بئس) فقد ورد في اللسان :

"البَّاسُ : العذابُ والشَّدةُ في الحربِ، والبأساءُ اسمُ الحربِ والمشقةِ والحربِ . قال ابنُ سيده : البَّاسُ الحربُ ثم كثرَ حتى قيلَ لا بأسَ عليك أي لا خوفَ . والبؤسُ الشَّدةُ والفقرُ . وبئسَ الرجلُ يَبَّاسٌ بؤساً وبأساً إذا افتقرَ واشتدَّتْ حاجتُه فهو بئسُ أي فقيرٌ وقوله تعالى : " فَاخْذُنَا مِنْهُمُ بِالْبَاسِ وَالْفَرَأِ " (٢) . قال الزجاج البأساءُ الجوعُ ، والفراءُ في الأموال والأَنْفُسِ . وبؤسُ يَبْؤُسُ بَأْساً إذا كان شديدَ البأسِ شجاعاً فهو بئسٌ وبئيسٌ ، ومنه قولُــه تعالى " سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ " (٣) ، (٤) .

لها نحن نرى أنَّ مادةَ (ن ع م) تدور كلُّها حولَ النعيمِ والدعةِ وسعةِ العيشِ ومادةَ (ب أ س) تدور حولَ الشدةِ والضيقِ والفقرِ والعذابِ ، وفي هذا مبررٌ كافٍ لأنَّ نقولَ إِنَّ نعمَ وبئسَ منقولانِ من الفعلين (نَعِمَ) و (بَئَسَ) وهذا النقلُ هو سببُ عدمِ التصرفِ في نعمَ وبئسَ وبقائهما على صورةِ واحدةٍ . يقول صاحبُ اللسانِ في نصِّه يدلُّ على ملكته اللغوية الممتازة :

(١) ورد في اللسان من المعاني القليلة الاستعمال لكلمة (نعمة) أنها تطلقُ أيضاً على الجلدة التي تغطي الدماغ ، والنعامة من الفرس دماغه ، والنعامة باطن القدم ، والنعامة أيضاً جماعسة قوم، وتطلق على الطريق .

(٢) ٤٢ - الأنعام .

(٣) ١٦ - الفتح .

(٤) اللسان مادة ب أ س ج ٧ ص ٣١٧ .

" . وبِئْسَ كلمة دمٌ ونعم كلمة مدح نقول بِئْسَ الرجلُ زيدٌ ، وبِئْسَتِ المرأةُ هذٌ وهما فعلاّن ماضيان لا يتصرفان لأنهما أزبلا عن موضوعهما فنعم منقول من قولك (نعم فلان) إذا أصاب نعمه ، وبِئْسَ منقول من (بِئْسَ فلان) إذا أصاب رؤسا ، فنقلنا إلى المدح والذم لشابها الحروف فلم يتصرفا " .^(١)

وأما ما ذكره خالد الأزهري أنّ عدمَ تصرفيهما راجعٌ إلى خروجهما عن طريق الأفعال من الدلالة على الحدث والزمان^(٢) ، فمدفوع بأن من الأفعال الناسخة ما هو متصرف نحو (كان وأصبح) ، مع أنّها خرجت عن طريق الأفعال من الدلالة على الحدث والزمان ، إذ إنّها تدلُّ على الزمن ليس غير .

ولابد أن يختلف البصريون والكوفيون في نعم وبئس : هل هما اسمان أو فعلاّن ، ويبدو أن مرادّ هذا الاختلاف هو عدمُ التصرف فقد اختلفوا - كما رأينا من قبل - في (ليس) وفي (عسى) وقسود نص صاحب اللسان كما - رأينا منذ قليل - على أنّهما فعلاّن ماضيان وهو في ذلك يوافق البصريين .

أما الكوفيون فقد رأوا أنّهما اسمان مبتدءان بدليل :

١ - أن حرف الجرّ يدخلُ عليهما ، تقول ما زيدٌ بنعم الرجل - وحكى بعض الفصحاء " نعم السَّيرُ على بِئْسَ العَيرُ " وقسأل أعرابيٌّ بَشْرَ بمولودة " والله ما هي بنعم المولودةُ نعرتها بكاءً ، وبَرُّها سرقةٌ " .

(١) اللسان ج ٧ ص ٢١٧

(٢) شرح التصريح على التوضيح ج ٢ ص ٩٢

٢ - وأنهما يقبلان النداء في قولهم " يا نعم المولى ونعم النصير " .

٣ - وأنه لا يحسن اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال فلا تقول " نعم الرجل أمس " ولا ببش الرجل غدًا " .

٤ - وأنهما لا يتصرفان ، والمتصرف من خصائص الأفعال . وكان احتجاج البصريين على أنهما فعلان :

١ - بأن الضمير المرفوع يتصل بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف ، فتقول " نعمنا رجلين ، ونعموا رجالا " .

٢ - وبأنهما رفعاً المظهر شأنهما في ذلك شأن الفعل المتصرف ، فنقول نعم الرجل وبش الغلام ، وكذلك رفعاً المضمر ، مثل : نعم رجلا زيد .

٣ - وبأن تاء التانيث الساكنة التي تختص بالفعل الماضي تتصل بهما في قولك (نعمت المرأة) و (ببست الجارية) .

٤ - وبأنهما يَبْنِيَانِ على الفتح ، ولو كانا اسمين لَمَّا كان لبنائهما وجهًا ، إذ لا صلة هنا توجب بناءها^(١) .

ويستطيع أن تقرأ جدلاً طويلاً في هدم البصريين أدلة الكوفيين وفي رد الكوفيين عليهم ، مما لا علاقة له إطلاقاً بواقع اللغوية ولا بأصول هاتين الكلمتين (نعم وبش) .

ومن الأمور التي لاشك فيها أن أهل البصرة وأهل الكوفة

(١) الإنصاف ج١ ص ٦٦ بتصرف وتلخيص وأنظر أيضاً همع الهوامع

كانوا يعرفون أن هاتين الكلمتين منقولتان من الفعلين نعم وبش،
وانهما من أجل هذا النقل لزما صورةً واحدةً لا يتعديانهما ،
واكتسبا في الوقت نفسه شيئاً من خصائص الاسمية التي تظهر في دلائل
الكوفيين وشيئاً من خصائص الفعلية التي تظهر في دلائل البصريين
فهما (أي الكلمتان) ليستا اسمين خالصين ولا فعلين خالصين ،
إلا أن غلبة الفعلية واضحة عليهما . يعرف البصريون ذلك وكذلك
الكوفيون ، ولكنها الخلافات المدرسية ورغبة كل فريق في أن يلبس
شوباً مختلفاً عن الآخر وأن يكتسب صفات خاصة به ، كل ذلك على
حساب الدرس اللغوي والدرس النحوي .

ولم يكن الاختلاف مقصوراً على اسمية (نعم) و (بش) أو
فعليتهما ، بل شمل أيضاً إعراب الاسم الذي بعدهما عندما يكون
نكرة ، ففي نحو (نعم قوماً معشره) الإعراب الواضح السهل
لـ (قوماً) أنه تمييز وبه فسر الضمير المستتر في (نعم) ، والذي
يعربُ فاعلاً ، ومفسره مبتدأً مؤخرًا^(١) ، وخبره الجملة الفعلية قبله :
(نعم) والضمير المستتر فيها . هذا هو الإعراب السهل الواضح ،
بدليل أن الضمير في (نعم) مستتر وجوباً ، لأن التمييز بعده يفسره
.. ومع ذلك فإن قوماً زعموا أن مفسره مرفوع بنعم وهو الفاعل
ولا ضمير فيها ، وقال بعض هؤلاء : إن قوماً حال ، وبعضهم إنسه
تمييز ..^(٢)

واختلاف ثالث يتعلق بالجمع بين التمييز والفاعل الظاهر في
(نعم) نحو (نعم الرجل رجلاً زيداً) فهناك من أجازه ، وهناك من

(١) أي : مفسره يُعرب ...

(٢) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٦٢ .

مَنْعَهُ ، وهناك من ألقى بأن التمييز إن أفاد فائدة زيادة على
الفاعل جاز الجمع بينهما نحو (نعم الرجل فارساً زيداً) وإلا فلا ،
نحو (نعم الرجل رجلاً زيداً)^(١) ... فهذا يمنع وذاك يجيز وثالث
يقف موقفاً وسطاً ، وكان الأمر قضية شخصية ، مع أن ابن عقيل
نفسه يورد هيتين لجريز في هذا الموضع يشهدان على جواز الجمع
بين التمييز والفاعل الظاهر ، فالأول هو /

والتَّغْلِيْبِيُّونَ يَخْسُ الْفَحْلُ فَحْلَهُمْ * فَحْلًا وَأُمُّهُمْ زَلَّاءٌ مِنْطَبِيقٌ^(٢)

والثاني هـسو :

تَزُوْدُ مِثْلَ زَادٍ أَبَيْسَكَ زَادًا * فَيَنْعَمُ الزَّادُ زَادُ أُبَيْكَ زَادًا^(٣)

وما بعد نعم وبئس على ثلاثة أقسام .

١ - اسم محلى بالالف واللام ويعرب فاعلاً لهما ثم يأتي المخصوص
بالممدح أو المذم ، ويعرب مبتدأً مؤخرًا والجملة الفعلية
قبله خبره نحو (نعم الرجل زيداً) .

٢ - مضاف إلى ما فيه ال مثل (نعم عقبسى الكرماً) .

(١) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ١٦٢ .

(٢) شرح ديوان جرير . الشارح محمد اسماعيل المياوي ص ٣٩٥ .
ط ١ التجارية دون تاريخ .

(٣) شرح ديوان جرير ص ١٣٥ .

٣ - مضمرة مفسر بنكرة بعده منصوبة على التمييز نحسو (نعم
قوماً معشره)^(١) .

والذي نود أن نقوله هنا إنَّ القرآن الكريم قد استعمل
الأساليب الثلاثة ، فالأول كقوله تعالى : " ثُمَّ اضْطَرَّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ " ^(٢) . و " مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْضِ نِعَمَ الثَّسْوَابِ
وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا " ^(٣) والثاني كقوله تعالى : " فَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ " ^(٤)
و " فَنِعَمَ عَقَبَى الدَّارِ " ^(٥) والثالث كقوله تعالى : " بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ
بَدَلًا " ^(٦) ولكنَّ المخصوص بالمدح أو الذم لم يُذكر في القرآن الكريم
إلا في آية واحدة هي " بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ " ^(٧) ، فالفسوق
هو المخصوص بالذم ، على أن من المفسرين من أعربَهُ بدلاً من (الاسم) ،
لإفادة أنه نسق لتكرره ، وعلى هذا فالمخصوص بالذم محذوف تقديره
(هو) " ^(٨) .

(١) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ١٦٢ .

(٢) البقرة آية ١٢٦ .

(٣) الكهف آية ٣١ .

(٤) آل عمران آية ١٣٦ .

(٥) الرعد آية ٢٤ .

(٦) الكهف آية ٥٠ .

(٧) الحجرات آية ١١ .

(٨) حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ١٨٢ المكتبة التجارية

سنة ١٩٣٣ م .

حبذا ولا حبذا

كان هذا عن نَعَمَ وبِشْمَ . فماداً عن شَبِيهَتَيْهِمَا حبذا ولا حبذا .
 من الواضح أن (حَبَّذاً) مَكُونَةٌ من الفعل حَبَّ واسم الإشارة
 (ذا) . وهذا الفعل غير متصرف في هذا الموضع ليس غير ، فلا
 يقال حبذا ويحبذا واحببذا مثلاً . ولكن جاء متصرفاً في مواضع
 أخرى . يقول ابن منظور : حَبَّ إِلَى هذا الشيءُ يَحَبُّ . قال ساعدة :
 هَجَرْتُ غُضُوبٌ وَحَبَّ مَنْ يَتَجَنَّبُ * وَعَدْتُ عَرَادٍ دُونَ وَلِيِّكَ تَشْعَبُ^(١)

وكثير من النحاة على أن (حَبَّ) الأصل فيها حَبُّ بضـم
 الباء ، ثم سكنت وأدغمت في الثانية^(٢) .

ونلاحظ أن (أَحَبَّ) الماضي الرباعي أكثر استعمالاً من الثلاثي
 فيقال أَحَبَّ وَيَحَبُّ وَمُحِبٌّ ، إلّا أن اسم المفعول من الثلاثي (حَبِبَ)
 وهو محبوب مستعمل بكثرة أيضاً . وقد ورد في اللسان " وبنسأوه
 للمجهول حَبَّ الشيء (بضم الحاء) فهو محبوب . قال سيبويه^(٣) " فإذا
 قلت محزون ومحبوب جاء على غير أحببت^(٤) . وقد قال بعضهم
 حَبَبْتُ فجاء به على القياس^(٥) " .

(١) اللسان مادة حَبِبَ ج١ ص ٢٨١ .

(٢) اللسان مادة حَبِبَ ج١ ص ٢٨١ .

(٣) السابق .

(٤) يقدم أنهما جاءا على الثلاثي حَزَنَ وَحَبَبَ وليس من الرباعي
 أَحَبَّ .

(٥) الكتاب ج٢ ص ٢٢٨ أسفل الصفحة .

والمادة كُلُّها تدل على كلِّ ما هو مُستحبٌّ خير لا شر فيه ،
 فالإحبابُ في الأهل كالجران في الخيل ، وهو أن يَبْرَكَ فلا يثور ،
 والإحبابُ أيضا البرءُ من كل مرض ، والحبُّ الزرع صغيرا كسان أم
 كبيرا واحدته حَبَّةٌ . ويقال للبردِ حَبُّ الغمامِ وحَبُّ المزنِ وحَبُّ قر .
 وحَبَّةُ القلبِ ثمرته وسَوْبِدَاؤه . وقال الأزهري هي العَلَقَةُ السوداءُ
 التي تكون داخل القلب ، ويقال أصابت فلانةُ حبةَ قلبِ فلان إذا
 سَعَتْ قلبه حُبُّها ، وحَبَبُ اللحم ما يَتَجَنَّبُ من بياض الريق على
 الأسنان ، وحَبَبُ الماء طرائقه ونفخاته ولقائعه التي تطفو
 كأنها القوارير . والمَحَبَّةُ والمحبوبة من أسماء مدينة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ^(١) .

ومن ثم جاء التركيب (حبذا) للمدح والإطراء ، وكان
 متوافقين مع تلك المعاني، و (حبذا) لا يتغير واحد من جزأيهما ،
 فالفعل (حب) لا تتغير صورته في هذا التركيب ، كذلك اسمُ الإشارة
 ملازمٌ للأفراد والتذكير. وفي ذلك يقول سيبويه " وزعم الخليل
 أن حبذا بمعنى حب الشيء ، ولكن إذا وحب بمنزلة كلمة واحدة نحو
 (لولا) وهو اسم مرفوع ، كما تقول يا ابن عم ، فالعم مجرور، ألا
 ترى أنك تقول للمؤنث حبذا ولا تقول حبذة ، لأنه صار مع حب على
 ما ذكرت لك وصار المذكر هو اللازم ، لأنه كالمثل ^(٢) " .

وفي ذلك يقول جرير غير مفرِّق بين مذكر أو مؤنث ولا بين
 ملردٍ أو تشنيةٍ أو جمع :

(١) اللسان مادة حبب .

(٢) الكتاب ج١ ص ٣٠٢ .

يَا حَبْدَا جِبْلَ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ * * * وَحَبْدَا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَ
وَحَبْدَا نَفَحَاتُ مِنْ يَمَانِيبَةٍ * * * تَاتِيكَ مِنْ قَبْلِ الرِّيَّانِ أَحْيَانًا^(١)

وفي ذلك أيضا تقول كنزة :

أَلَا حَبْدَا أَهْلُ الْعَلَا ، فَيَرَّ أَنَّهُ * * * إِذَا ذُكِرْتُ مَنِّي فَلَا حَبْدَا هَيَّا^(٢)

فهذا مصداق لقول سيبويه ان (ذا) تستعمل للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع ، إِلَّا أَنَّ قَوْلَ سَيَّبُوِيَه لِي حَبْدَا غَيْرُ وَاضِحٍ ، هَلْ يَعْدُهَا كَلِمَةً وَاحِدَةً أَوْ كَلِمَتَيْنِ وَهَلْ (ذَا) هِيَ التَّشْيِيسُ يَقْصِدُهَا عِنْدَمَا قَالَ " وَهُوَ اسْمٌ مَرْفُوعٌ " ؟ أَوْ أَنَّهُ يَقْصِدُ (حَبْدَا) كُلَّهَا . إِنَّمَا بِقِرَاءَتِنَا لِذَلِكَ النِّصْنِ نَمِيلُ إِلَى أَنَّهُ يَقْصِدُ أَنَّ (حَبْدَا) كُلَّهَا بِمَنْزِلَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهُوَ يَقْصِدُهَا أَيْضًا عِنْدَمَا قَالَ " وَهُوَ اسْمٌ مَرْفُوعٌ " ثُمَّ إِنَّهُ يَقُولُ " وَزَعَمَ الْخَلِيلُ أَنَّ (حَبْدَا) بِمَعْنَى حُبِّ الشَّيْءِ (أَيْ أَنَّهُمَا كَلِمَتَانِ) وَلَكِنْ .. " فَاسْتَعْمَلَ سَيَّبُوِيَه الْحَرْفَ (لِكْسَن) لِيَسْتَدْرِكَ ، أَوْ لِيَجْمَعَ زَعَمَ الْخَلِيلِ ، فَقَدْ أَكْمَلَ بَعْدَ ذَلِكَ قَائِلًا .. وَلَكِنْ ذَا وَحِبُّ بِمَنْزِلَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ " .^(٣)

وبذلك نجد تعارضًا مع ما فهمناه من ذلك النص وبين ما

(١) شرح ديوان جرير ص ٥٩٦ .

(٢) قائلته كنزة أم شملة المستقرى في مية صاحبة ذي الرمة .
ديوان الحماسة لأبي تمام ج ٢ ص ٢٤٩ تحقيق محمد عبده المنعم .

(٣) الكتاب ج ٢ ص ٣٠٢ .

أورده ابن عقيل في شرحه على الفية ابن مالك عندما قال :

" واختلف في إعرابها - أي إعراب هذا - فذهب أبو علي
الفارسي في البغداديات وابن برهان وابن خروف - وزعم أنسبه
مذهب سيبويه ، وأن من نقل عنه غيره فقد أخطأ عليه واختاره
المصنف إلى أن (حب) فعل ماضٍ و (ذا) فاعله ، وأما المخصوص
فجوز أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبره ، وجوز أن يكون خبراً
لمبتدأ محذوف وتقديره (هو زيد) أي الممدوح أو المذموم زييد ،
واختاره المصنف " ^(١)

(٢)

وعلى أية حال فالنحاة في إعراب مثل (هذا زيد) وجوه :

- ١ - حب فعل وذا فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر مقدم (لزيد)
الذي هو مبتدأ .
- ٢ - حب فعل وذا فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر، وزيد
خبر لمبتدأ محذوف أي (هو زيد) .
- ٣ - (هذا) اسم وهو مبتدأ و (زيد) خبر .
- ٤ - (هذا) اسم وهو خبر مقدم و (زيد) مبتدأ مؤخر .
- ٥ - (هذا) كَلَّمَهَا فعلٌ وزيد فاعل. وهذا أفعال الوجوه .
- ٦ - حب فعل وذا فاعل وزيد بدل منها .

(١) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٠ .

(٢) انظر همع الهوامع ج٢ ص ٨٨ الكتاب ج١ ص ٣٠٢ ، شرح التصريح

ج٢ ص ١٠٠ ، المعنى ص ٧٢٥ ، شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٧٠ .

٧ - حب فعل ، إذا فاعل وزيد ، مطلق بيان .

والذي نظنه صحيحاً ما آره سيبويه أو ما فهمناه من نص سيبويه أنها كلمة واحدة ، وهي اسم في محل رفع بالابتداء ، والذي يقوى هذا الظن :

١ - أن الكلمتين (حب وإذا) جاءتتا متصلتين في الكتابة وكان في الإمكان أن يفصل بينهما هكذا حب إذا .

٢ - أن هذا التعليل يتوافق مع كون الفعل (حب) غير متصرف في هذا الموضع ليس غير ، ومع كون (إذا) لا يتغير بتغير ما بعده تانيثاً أو تشنيعاً أو جمعاً .

واختلف في النكرة الواقعة بعد المخصوص بالمدح ، فقليل إنها تمييز ، وقليل إنها حال ، على أن هناك من النحاة من وضع تعريفًا ضابطاً لكل من الإعرابين ، فإن كانت النكرة مشتقة فهي حال نحو (حبذا زيدٌ ركباً) ، وإن كانت جامدة فهي تمييز نحو (حبذا الصبرُ شيمَةً) وهي في هذه الحالة تقبل دخول (من) عليها فنقول (حبذا الصبرُ من شيمَةٍ) ^(١) .

ولقد وردت المادة (حب) في القرآن الكريم مصافة في أشكال متعددة :

١ - حب : ولكنَّ اللَّهَ خَبَّ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ
٧/ الحجرات

(١) مع الهوامع ج٢ ص ٨٨ و ٨٩ .

(٢) الهمع ج٢ ص ٨٩ .

- ٢ - أَحَبَبْتُ : إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ .
٥٦ / القصص
- ٣ - أَحَبَّ : قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِيلِينَ
٧٦ / الأنعام
- ٣ - يُحِبُّ : إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠ / البقرة
- ٥ - يُحِبُّكُمْ : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
٣١ / آل عمران
- ٦ - اسْتَحِبُوا : لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَأَخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا
الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ٢٢ / التوبة
- ٧ - يَسْتَحِبُّونَ: الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ .
٣ / إبراهيم
- ٨ - يُحِبُّ : وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كَحُبِّ اللَّهِ . ١٦٥ / البقرة
- ٩ - أَحَبَّ : قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ ٣٤ / التوبة
- ١٠ - أَحِبَّاهُ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاهُ
١٨ / المائدة
- ١١ - مَحَبَّةٌ : وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي .
٣٩ / طه
- ١٢ - حَبَّ : إِنْ اللَّهَ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى .
٩٥ / الأنعام

١٢ - حبة : مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ .
٢٦١ / البقرة

القرآن إذا لم يستعمل حبدا ، فإذا أضفنا إلى ذلك نتيجة
بحثنا في المعلقات السبع ^(١) وعرفنا أن أصحاب المعلقات لم يستعملوا
(حبدا) استطعنا القول بأن حبدا ولا حبدا لم يستعملوا حتى العصر
الإسلامي مروراً بالعصر الجاهلي ، أو على الأقل كان استعمالهم
نادرا ، وربما كانت هناك نصوص لم نقرأها استعملت فيها حبدا
أو لا حبدا . ونستطيع القول أيضا بأن كلاً من الفعل نَعَمَ والفعل
يُشَسِّأُ قدم في الاستعمال من حبدا ولا حبدا

يبقى بعد ذلك من أساليب المدح والذم التي تُستعمل فيها
الأفعال غير المتصرفة أسلوبان : الأول بناء الفعل الماضي على
فعل الشانى كلمة ساء .

(١) شرح المعلقات السبع للزوزى صبيح سنة ١٩٦٨ وشرح القماء
السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري تحقيق الأستاذ عيسى
السلام هارون . دار المعارف سنة ١٩٨٠ .

١ - فَعُلَ

فاما الأول وهو بناء الماضي على فَعُلَ فنلاحظ أن الفعلَ الماضي لا يجيء أبداً على هذه الصورة ويكون متصرفاً إلا للدلالة على غريزة أو طبيعة أو ما أشبه ذلك نحو جَدَرَ فلان بالأمر وخطَرَ قَدْرُهُ ^(١) . وهناك صيغتان أخريان له : الأولى فَعَلَ بفتح العين كضَرَبَ والثانية فَعِلَ بكسرها كشرِبَ ، غير أن هاتين الصيغتين إذا حولتا إلى (فَعُلَ) بضم العين كانتا للمدح أو الذم نحو " قَضَوْا الرجل وَعُلِمَ - بضم الضاد واللام - بمعنى ما أقضاه وما أعلمته " ^(٢) ويبدو أن هذا البناء هو الذي جعل الفعلَ غير متصرفٍ إذ إنه ليس صيغته الأصلية يتصرف ، فالفعلان (كبر) و(حسن) مثلاً متصرفان ولكنهما إذا بنيا على صيغة (فَعُلَ) منعا من التصرف وخصما معنويا للمدح أو الذم ، فمن ذلك قوله تعالى " نِعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مَرْتَقَا ^(٣) " و " كَبُرَتْ ^(٤) كلمةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ " .

ومن النحاة من ألحق هذه الصيغة بنعم وبئس كصاحب الالطية حيث يقول :

وَأَجْعَلُ كِبَيْسَ سَاءً وَأَجْعَلُ فَعُلًا * * * من ذي ثلاثة كِنَعَمَ مُسَجَّلًا ^(٥)

(١) شرح الكافية ج٢ ص ٣٠٨ وانظر أيضا تكملة في تصريف الأفعال حررها الشيخ محيي الدين بعد تحقيقه شرح ابن عقيل ج٢ ص ٥٩٩ .

(٢) شرح ابن عقيل ج٢ ص ٥٥٩ (تكملة الشيخ محيي الدين) .

(٣) الكهف آية ٣١ .

(٤) الكهف آية ٥ .

(٥) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٦٨ .

وتَبَيَّنَهُ فِي ذَلِكَ شَارِحُ الْأَلْفِيدَةِ ابْنُ عَقِيلٍ فِي قَوْلِهِ " وَأَشَارَ
بِقَوْلِهِ " وَاجْعَلْ لَعْلًا " إِلَى أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ ثَلَاثِيٍّ يَجُوزُ أَنْ يُبْنَى مِنْهُ
فِعْلٌ عَلَى فَعْلٍ بِقَمَدِ الْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ (١) .

وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا فِي أَسْلُوبِ التَّعَجُّبِ كصاحب شرح التصريح على
التوضيح حيث يقول " وَزَادَ بَعْضُهُمْ فِي التَّعَجُّبِ صِغَةً ثَالِثَةً وَهِيَ
فَعْلٌ بِضَمِّ الْعَيْنِ نَحْوُ " كَبُرَتْ كَلِمَةٌ " (٢) ، وَكَذَلِكَ ابْنُ جَنَى السَّيِّ
عَدَّ هَذِهِ الصِّغَةَ (فَعْلًا) هِيَ الْأَصْلُ لَصِغَةِ التَّعَجُّبِ (مَا أَفْعَلَهُ) يَقُولُ :

" وَكَذَلِكَ نَعْتَقِدُ نَحْنُ أَيْضًا فِي الْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ مِنْهُ فِعْلُ التَّعَجُّبِ
أَنَّهُ قَدْ نُقِلَ مِنْ فَعْلٍ وَفِعْلٍ إِلَى فَعْلٍ ، حَتَّى صَارَتْ لَهُ صِغَةُ التَّمَكُّنِ
وَالْتَقَدُّمِ ، ثُمَّ بُنِيَ مِنْهُ الْفِعْلُ ، فَقِيلَ (مَا أَفْعَلَهُ) نَحْوُ (مَا أَشْعَرَهُ) ،
إِنَّمَا هُوَ مِنْ شَعَرَ ، قَدْ حَكَاهَا أَيْضًا أَبُو زَيْدٍ ، وَكَذَلِكَ مَا أَقْتَلَهُ
وَمَا أَكْفَرَهُ هُوَ مِنْدَنَا مِنْ قَتْلٍ وَكُفْرٍ تَقْدِيرًا ، وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ فِى
اللُّغَةِ اسْتِعْمَالًا (٣) .

وَقَدْ نَقَلَ شَارِحُ الْكَافِيَةِ هَذَا الْمَعْنَى عَنْ ابْنِ جَنَى بِنُصْ أَخْصَرِ
وَبُضِيفَ إِلَيْهِ تَعْلِيلًا حَسَنًا حَيْثُ يَقُولُ :

" قِيلَ لَا يُبْنَى فِعْلُ التَّعَجُّبِ إِلَّا مِنْ (فَعْلٍ) مَضْمُومِ الْعَيْنِ فِى
أَصْلِ الْوَضْعِ أَوْ مِنَ الْمُنْقُولِ إِلَى (فَعْلٍ) إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِهِ نَحْوُ (مَا

(١) السابق ج٢ ص ٢٦٨ .

(٢) شرح التصريح ج٢ ص ٨٩ والاية هي الخامسة من سورة الكهف .

(٣) الخصائص ج٢ ص ٢٢٥ .

أضرب) و (ما أَقْتَلَ) ليدلّ بذلك على أن المتعجب منه مـ
كالفريزة ، لأن بابَ فَعَلَ موضوعٌ لهذا المعنى " (١) .

وإذا أمعنا النظر في المسألة وجدنا ألا فرق بين جعلها
للمدح أو للذم وبين جعلها للتعجب ، إذ إنها تفيد المدح والتعجب منه
في آنٍ واحدٍ أو تفيد الذم والتعجب منه في الوقت نفسه ، للمبالغة
فيه .

وما بعد (فعل) ينصب على التمييز ، وهناك من يرفعه على
الفاعلية . يدلّ على ذلك ما أورده الطبري في الآية الكريمة " كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ " (٢) قال " (كلمة) تنصب على البيان ، أي كَبُرَتْ
تلك الكلمة كلمة ، وقرأ الحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر وابن أبي
إسحق (كلمة) بالرفع ، أي عظمت كلمة ، يعنى قولهم (اتخذ الله
ولدا) ، وعلى هذه القراءة فلا حاجة إلى إضمار . (٣)

وهو في هذا تابع القول الفراء " (وقوله) كبرت كلمة تخرج
من أفواههم) نصبها أصحاب عبد الله ورفعها الحسن وبعض أهل
المدينة ، فمن نصب أضمر في (كبرت) : كبرت تلك الكلمة كلمة ،
ومن رفع لم يضم شيئا ، كما تقول عظم قولك وكبر كلامك " . (٤)

(١) شرح الكافية ج ٢ ص ٢٠٨ .

(٢) الكهف / ٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للطبري ج ١٠ ص ٣٠٣ . دار الكتب بمصر
١٩٤٠ م .

(٤) معاني القرآن لأبي زكريا الفراء ج ٢ ص ١٢٤ . تحقيق الأستاذ
محمد علي النجار . دار المصرية للتأليف والترجمة دون تاريخ .

وأما الثاني فهو استعمالُ ساء كـ فعلٍ ماضٍ غيرٍ متممٍ تصرف
كأسلوبٍ للذم، إذ إنه في غير هذا الأسلوب يتصرف . فتقول " ساءَ
بِسَوْءِهِ سَوْءًا وَسَوْءًا وَسَوْءًا سَوَاءً سَوَاءً " . واستاء فلان في الشيء . ويقال
عندي ساء وناء وبسوءه وبسوءه وأسأت الظن ^(١) .

وقد استعمل القرآن الكريم كثيرًا من اشتقاقات هذه
المادة قال تعالى :

- " إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا " ^(٢) .
و " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَكُمُ
تَسْؤُكُمْ " ^(٣) .
و " وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيبًا بِيَمٍ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا " ^(٤) .
و " فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنْ اللَّهِ وَفُضِّلَ لَهُمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ " ^(٥) .
و " ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَاىَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ " ^(٦) .
و " كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا " ^(٧) .

(١) اللسان مادة سوء .

(٢) الاسراء - ٧ .

(٣) المائدة - ١٠١ .

(٤) العنكبوت - ٣٣ .

(٥) آل عمران - ١٧٤ .

(٦) الروم - ١٠ .

(٧) الاسراء - ٢٨ .

" وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ " ^(١) .

واستعمل أيضا (ساء) غير المتصرفة كثيرا :

قال تعالى :

و " مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ " ^(٢) .

و " فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ، إِنَّهُمْ سَاءٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " ^(٣) .

و " وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا " ^(٤) .

و " وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ " ^(٥) .

وساء هذه التى لا تتصرف إلا فى أسلوب الذم تشبیه فى الاستعمال
الفعل المنفى (لا يكون) فهو متصرف فى كل أحواله ، إلا أنه
إذا استعمل للاستثناء ظل باقيا على صورة المضارع المنفى بلا ،
لا يتغير .

وقد نص كثير من المفسرين والمعربين على عدم تصرفها ،
يقول العكبري فى الآية " ومن يكن الشيطان له قرينًا فساء
قرينًا " ^(٦) أي فساء هو ، والضمير عائد على من أو على

(١) فاطر - ٤٣ .

(٢) المائدة - ٦٦ .

(٣) التوبة - ٩ .

(٤) الإسراء - ٣٢ .

(٥) الشعراء - ١٧٣ .

(٦) النساء - ٣٨ .

الشيطان ، و(قربنا) تمييز . وساء هنا منقولة إلى باب (نعم) وبئس (ففاعلها والمخصوص بعدها بالذم مثل فاعل بئس ومخصوصها ، والنقدير فساء الشيطان ^(١) " .

ويقول أبو عبيدة في الآية نفسها " فساء قربنا ، أي فساء الشيطان قربنا ، على هذا نصه ^(٢) " .

وقال الطبري " وإنما نصبَ القربين لأن في (ساء) ذكرًا للشيطان كما قال جل ثناؤه " بئسَ للظَّالِمِينَ بَدَلًا ^(٣) " وكذلك تفعل العرب في (ساء) ونظائرها ^(٤) " .

وقد ذكر محققا التفسير أن أبا جعفر لم يبين معناها ، ولم يذكر أن أصحاب العربية يعدونها فعلا (جامدا) ^(٥) يجري مجرى نعم وبئس ، وإن كان تفسيره قد تضمن ذلك ^(٦) .

على أن القرطبي قد ساوى ساء ببئس صراحة في تفسيره للآية الكريمة عندما قال : " فساء قربنا أي ببئس الشيطان قربنا ، وهو نصب على التمييز ^(٧) " .

(١) إملأ ما مَنَّ به الرحمن على هامش شرح الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق فؤاد سركيس الخانجي ١٩٥٤ .

(٣) الكهف - ٥٢ .

(٤) جامع البيان من تأويل آي القرآن للطبري ج ٨ ص ٣٥٨ تحقيق محمد شاکر وأحمد شاکر - دار المعارف دون تاريخ .

(٥) الأنسب أن يُقال غير متصرف كما بينا في بداية البحث .

(٦) السابق ج ٨ ص ١٣٨ و ١٣٩ (هامش) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ج ٥ ص ١٩٤ دار الكتب ١٩٢٧ .

ولم يَجِءْ في لسان العرب ولا في القاموس المحيط ذكرٌ للفعل
(سأ) غير متصرفٍ ، فقد تناول القاموسان سأ وتصرفهما
واستعمالاتها وشواهد هذه الاستعمالات ولكنهما أغفلا (سأ) فعلاً
غير متصرف .

ونرى أن (سأ) في هذه الآية وما شابهها من آياتٍ أخسر
وأساليب غير متصرفية ، فلم يرد مثلاً فسوء ما ... ، بل إنَّ الأسلوبَ
مقصودٌ على الماضي (سأ) ، ويدلُّ على ذلك أيضاً شيءٌ آخرٌ
واضحٌ ويسيرٌ وهو اقترانها بالفاء عندما تقع جواباً للشرط كما
في الآية الكريمة التي نحن بصددِها " ومن يكن الشيطان له قريناً
فسأ قريناً " ومعروفٌ أن الفاءَ تقترن بجواب الشرط إن كان فعلاً
ماضيّاً غير متصرف (١) .

(١) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٣٧٥ .

الفصل الثامن

ميفستيسا التعجب

صيفتا التعجب

تَكَادُ تُجْمَعُ الرواياتُ التي اعتمدَ عليها مؤرخو النحو على أَنَّ
ابنةَ أبي الأسود الدؤلي قالت له : ما أحسنُ السماءِ (بضم النون) ،
فقال : أي بنية نجومها . فقالت : إني لم أرد أيَّ شيءٍ منها
أحسن ، وإنما تعجبت من حسنها ، فقال : إذن فقولى ما
أحسنَ السماءِ (بفتح النون) فحينئذ وضع كتاباً^(١) .

وقيل إنَّ ابنةَ أبي الأسود قالت له : يا أبتِ ما أشدُّ الحرَّ
(بضم الدال) ، في يوم شديد الحر ، فقال لها : إذا كانت
المقعاء من فوقك ، والرمضاء من تحتك ، فقالت : إنما أردتُ أنَّ الحرَّ
شديدٌ . فقال لها فقولى إذن ما أشدُّ الحر (بفتح الدال)
والمقعاء الشمس " ^(٢) .

فإذا عَرَفْنَا أنَّ وفاةَ أبي الأسود كانت سنة تسع وستين من
الهجرة ، أدركنا أنَّ أسلوبَي التعجبِ أسلوبان قديمان ، وأنهما
كانا محلَّ دراسة القدماء منذ نشأة النحو ووضع قواعده .

وللتعجب صيغتان : ما أَفْعَلُهُ وَأَفْعِلْ بِهِ ، وهاتان الصيغتان
هما المشهورتان اللتان يأتى ذكرهما في باب التعجب في كتب النحو ،
غير أنَّ هناك صيغاً أخرى سماعيةً وقياسيةً ، فمن الأولى (للهِ دَرُّه لارساً)

(١) أنباء الرواة على أنباء النحاة للوزير جمال الدين القفطسي
تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ج١ ص ١٥ دار الكتب المصرية
سنة ١٩٥٠ م ونزهة الألباء ص ١٢ .

(٢) أنباء الرواة ج١ ص ١٥ .

و (سبحانَ اللَّهِ) و (اللَّهُ أنتَ) و (بالله) و (لله) ، وقوله تعالى
 " كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ " ^(١) . وقوله تعالى : " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ " ^(٢) وقولُسه
 تعالى : " الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ " ^(٣) . وأنشد سيبويه :

لِلَّهِ يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ دَوَّ حَيِّدٍ * بِمُشْخِرٍ بِهِ الظِّيَّانُ وَالْأَسَى ^(٤)

ونجد معنى التعجب موجوداً في قولنا " جَلَّ اللَّهُ وَعَزَّ اللَّهُ " على معنى ما أجل الله وما أعزه، لا على الخبر بأنه صار خليلاً ولا بأنه صار عزيزاً، وهكذا عظم شأنك ، وعلت منزلتك ، إذا لم ترد الخبر ^(٥) .

والثانية بناءُ الثلاثي على (فعل) بضم العين للمدح أو السدح
 وفي الوقت نفسه للتعجب ^(٦) ومن ذلك قولُ اللَّهِ سبحانه وتعالى
 " كَبُرَتْ كَلِمَةً ... " ^(٧) " وَكَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
 تَفْعَلُونَ " ^(٨) .

(١) البقرة آية ٢٨ .

(٢) النبا آية ١ .

(٣) الحاقة آية ٣ .

(٤) الكتاب ج ٢ ص ١٤٤ .

(٥) الأشباه والنظائر للسيوطي ج ٣ ص ١٤٤ ط حيدر اباد سنة ١٣٥٩هـ

(٦) انظر مثلاً شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٦٨ وجمع الهوامع ج ٢ ص ٩٢
 وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الازهري ج ٢ ص ٨٣ و ٨٤ .

(٧) الكهف آية ٥ .

(٨) الصف آية ٣ وقد بينا وزن (فعل) في الفصل السابق .

وأجار الكوفيون استعمال (أفعل) دون (ما) فيقولون
(أحسنـت رجلاً) و (أكرمـت رجلاً) بمعنى (ما أحسك) (وما أكرمك) ^(١) .

وللنحاة رأى حسن في تعريف التعجب من الساحة النفسية ،
فهم يَرَوْنَ " أن التعجب استعظامٌ زيادةٍ في وصف الفاعل ، خفى
سببها وخرج بها المتعجب منه عن نظائره أو قُلْ نظيره " ^(٢) .

فإذا قلنا " ما أجمل السماء " كان قولنا تعجباً من الفاعل
الذي جعل السماء على هذه الصورة من الجمال .

ويرى بعضهم بأنه انفعال يحدث في النفس عند الشعور بامر
خفى سببه ، ولذا يقال إذا ظهر السبب بطل العجب " ^(٣) .

ويترتب على ذلك شيان :

الأول خفاءُ أمرِ الفاعل بالنسبة للمتعجب (بكسر الجيم)
فكيف تفسر - على ذلك - قوله سبحانه وتعالى : " لما أَمْرُهُمْ
على النار " ^(٤) .

يقول النحاة في الرد على ذلك " ولا يُطلق على الله أنـه
متعجبٌ ، إذ لا يخفى عليه شيء . وما وقع مما ظاهره ذلك فـي
القرآن فمصرف إلى المخاطب أي أن حالهم في ذلك اليوم ينبغي لك
أبها المخاطب أن تتعجب منها " ^(٥) .

(١) شرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ٨٩ .

(٢) شرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ٨٦ .

(٣) السابق ج٢ ص ٨٦ .

(٤) البقرة آية ١٧٥ .

(٥) شرح التصريح ج٢ ص ٨٢ .

الثاني : أن هناك فاعلا جعل الله عظيمما في قولنا (مسا أعظم الله) أي " شيء عظيم جعله عظيمما ، وهذا لا يليق بمقام الله سبحانه وتعالى ، وقد ردّ ابن الأنباري على ذلك بقوله " معنى قولهم شيء أعظم الله أي وصفه بالعظمة ، كما يقول الرجل ، إذا سمع الأذان : كبرت كبيرا وعظمت تعظيمما ، أي وصفته بالكبرياء والعظمة لاصيرته كبيرا عظيما " ^(١) .

وكعادة البصريين والكوفيين لا بد أن يختلفوا في الصيغة الأولى من التعجب (ما أفعله) هل هي اسم أو فعل ؟

ولقد ذهب الكوفيون إلى أن (ما أفعله) اسم بدليل :

١ - أنه لا يتصرف ولو كان فعلا لوجب أن يتصرف لأن التصرف من خصائص الأفعال .

٢ - أنه يدخله التمجيز قال الشاعر :

يَا مَ أُمَيْلَحُ غَزَلْنَا كَدْنًا لَنَا * * * * * مِنْ هَاؤُ لِيَاثِكُنِ الْفَالِ وَالسَمْرِ ^(٢)

٣ - أن عينه تصح في نحو " ما أقوم وما أبيع " كما تصح العين في الاسم في " هذا أقوم منك وأبيع منك " .

ولو أنه فعل لوجب أن تُعَلَّ عَيْنُهُ بقلبها ألفا كما قلبت من الفعل في نحو قام وباع .

(١) الإنصاف ج١ ص ٩٤ .

(٢) ينسب هذا البيت إلى العرجي أو لكامل المنتقضي ، وهو مسنن شواهد المغني ص ٨٩٤ ، ومن شواهد السيوطي في شرحه علسي شواهد المغني ص ٣٢٤ وفي شرح المفصل ج٥ ص ١٣ وفي خزانة الأدب ج١ ص ٤٥ وفي الإنصاف ج١ ص ٨١ .

وأورد البصريون دلائل فعليته وهي :

١ - دخول نون الوقاية عليه إذا وصل بياء الضمير نحو مــــا
أحسننى عندك .

٢ - أنه ينصب المعارف والنكرات ، وأفعل إذا كان اسماً
لا ينصب إلا النكرات خاصة على التمييز نحو قولك (زيد أكبر
منك سنًا) ولو قلت (زيد أكبر منك سنًا) لم يَجُزَّ ، ولما
جار ما أكبر السن له دل على أنه فعل .

٣ - أنه مفتوح الآخر ولولا أنه فعل ماضٍ لم يكن لبنائه على
الفتح وجه ، إذ لو كان اسماً لارتفع لكونه خبراً لـ (ما)
على كلا المذهبين .^(١)

وتستطيع أن تقرأ في الإنصاف أدلة أخرى كثيرة كــــما
تستطيع أن تقرأ معارضة لكل دليل من هذه الأدلة .

والذي يدعو إلى العجب أن النحاة الذين أوردوا هذه الدلائل
على اسمية (ما أفعله) أو فعليتها هم أنفسهم الذين عللوا عدم
التصرف في (ما أفعله وأفعل به) " لكونه - أي لكون التعجب -
غير محتاج إلى التمرير للزومه طريقة واحدة " .^(٢)

وعلى ذلك فإن أسلوب التعجب له صيغة خاصة لا هي بالفعل ولا هي
بالاسم ، بل إنها جمعت من خصائص الاثنين ، وتركت أيضاً خصائص
هما من خصائص الاثنين .

(١) الإنصاف ج١ ص ٨١ وما بعدها بتصرف .

(٢) همع الهوامع ج٢ ص ٩٠ .

والدكتور تمام حسان كان على حق حينما قدّ هذا الأسلوب وما شابهه من أساليب تسمّى خاصاً من أقسام الكلام اسماء (١)
(٢) (الخالفة) .

وبغض النظر عن هذا الاصطلاح (الخالفة) فإن ما أفعله والفعل به لا يدخلان تحت جنس الاسم ولا تحت جنس الفعل ، بل هما كـمما قلت يجمعان خصائص من خصائص الاثنين ، ويتركان أيضاً خصائص من خصائص الاثنين ، فاستحقا أن يكونا قسماً منفرداً بنفسه من أقسام الكلام .

وإذا كان النحاة قد اختلفوا في اسمية ما أفعله أو فعليتها ، فإنهم قد " أجمعوا على فعلية أفعل به ، لأنه على صيغة لا تكون إلا للفعل ، ولفظه الأمر ومعناه الخبر " (٣) .

إلا أنهم لابد أن يصلوا إلى أصل أفعل به ، فيروّنان أصله فعلٌ ماضي صيغته على صيغة أفعِل بفتح العين وهمزته للصيغة ضرورة بمعنى صار ذا كذا . فأصل (أحسن يزيد) أحسن زيدٌ ، أي صار ذا حسن ... ثم غيرت الصيغة الماضية إلى الصيغة الأمرية ، فعار أحسن

(١) مثل أسلوب المدح والذم .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١١٣ - ١١١ . الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣ وانظر أيضاً أقسام الكلام العربي من حيث الشكّل والوظيفة للدكتور فاضل مصطفى الساقى ص ٢٥٣ - ٢٥٥ ط .
الخانجي بمصر ١٩٧٧ غنّده أورد في هذه الصفحات معيّنات الخوائف التي تبرر أفرادها بقسم خاص من أقسام الكلام .

(٣) شرح التصريح ج ٢ ص ٨٨ .

زيد بالرفع ، فقبح إسناد لفظ صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر ، لأن صيغة الأمر لا ترفع الاسم الظاهر ، فزیدت الباء في الفاعل ليصير على صورة المفعول به المجرور بالباء كما مرر بزيد ، ولذلك القبح التزمت زيادتها مونا للفظ عن الاستلحاق ، بخلاف زيادة الباء في فاعل الفعل الماضي نحو (كفى بالله شهيدا) فيجوز تركها ^(١) .

وهذا كله من تصورات النحويين التي لا علاقة لها بالواقع اللغوي ، فالعربي عندما نطق بأسلوب التعجب (أحسن بزيدي) أو عندما قرأ الآية الكريمة (أسمع بهم وأبصر) ^(٢) لم يكن يسدري أن أمله كذا ثم تحول إلى كذا ثم زيدت الباء حتى لا يكون المرفوع بكلمة (أفعل) اسما ظاهرا ...

ولعل في هذا تذكيرا بالنحو التحويلي الذي يفترض بنيسة أساسية يُرجع إليها لكل تعبير تنطق به أو نسمعه ^(٣) .

أما عدم التصرف في أسلوب التعجب فقد أبدينا منذ قليل تأييدنا لتعليل النحاة " لكونه غير محتاج إلى التصرف للزومه طريقة واحدة ، إذ معنى التعجب لا يختلف باختلاف الأزمنة " ^(٤) .

(١) يقصد أنها ترفع المضمّر نحو اكتب ، واقرأ ، والفاعل ليس كليهما ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت .

(٢) شرح التصريح ج٢ ص ٨ .

(٣) آية ٣٥ من سورة مريم .

(٤) انظر كتابنا " في علم اللغة التقابلي ، دراسة تطبيقية " ص ٣٧ وما بعدها دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٤ .

(٥) الهمع ج٢ ص ٩٠ .

على أن هناك تعليلاً آخر مقبولاً لعدم التصرف فقد قالوا
 "إنهم كما لم يفعلوا للتعجب حرفاً يدلُّ عليه جعلوا له صيغةً
 لا تختلف" (١).

ويقول الشيخ خالد في هذا المعنى "وعلة جمودهم" (٢)
 تفميينهما معنى حرف التعجب الذي كان يستحق الوقع ولم يوضع" (٣).

وهو يقدم أن الحرف (على) مثلاً بمعنى الاستعلاء والمصاحبة
 والمجاورة والتعليل... والحرف (في) بمعنى الظرفية والمصاحبة
 والاستعلاء.... إلى آخر ما ذكر ابن هشام في المعنى في الجسزء
 الأول (٤) ولكن ليس هناك حرف يدل على ما يدل عليه أسلوب: (ما
 أفعل) و (أفعل به) ، لذلك لزمنا صيغة واحدة لا يتعديانها ،
 كالحرف تماماً .

وقد تكلمنا عن ليس وعسى عن حيث عدم تصرفيهما ، إلا أنهما
 يفترقان عن أسلوب التعجب في بعض نقاط أوردها صاحب الانصاف في
 مجال آخر . هذه النقاط هي :

أولاً : أن (ليس) و (عسى) يرفعان الظاهر والمضمــــر ،
 و (أفعل) في التعجب إنما يرفع المضمــــر دون الظاهر .

ثانياً : أن (ليس) و (عسى) وصلاً بـمباشرة المتكلميــــن

(١) الانصاف ج١ ص ٨٧ .

(٢) يقدم عدم تصرفيهما .

(٣) شرح التصريح ج٢ ص ٨٨ .

(٤) انظر معنى اللبيب حرف (في) ص ٢٢٣ ، حرف على ص ١٨٩ .

والمخاطبين والغائبين مثل لست ولستم وليسوا وعسيت وعسيتم
وعسوا ، و (أفعل) في التعجب ألزم ضمير الغيبة لا غير .

ثالثا : أن ليس وعسى لا مصدر لهما من لفظهما ، بخلاف
(أفعل) في التعجب فإن له مصدرا من لفظه .

وقد نقلنا هذه النقاط بتصرف عن صاحب الإنصاف ، هي تدل
على نظر شاقب في استعمال ليس وعسى من ناحية واستعمال سيفتسي
التعجب من ناحية أخرى ، بالرغم من ورود هذه النقاط في مجال
أقرب إلى السفسطة اللغوية منه إلى الواقع اللغوي ^(١) .

وعدم تصرف ما أفعله وأفعل به له علاقة وثيقة باستعمال
(كان) بين (ما) و (أفعل) ، التي قال عنها النحاة إنها زائدة ،
وهي زائدة من ناحية الإعراب ، ولكنها ليست زائدة من حيث
المعنى ^(٢) ، ذلك أن سيفتسي التعجب بعدم تعرفهما ولزومهما صورة
واحدة لا يدلان على زمن معين ، أو قل إن الدلالة فيهما على
الزمن دلالة باهتة غير واضحة مما أدى إلى اختلاف النحاة فيهما ^(٣) ،

(١) هذا المجال هو الرد على الكوفيين في استنادهم إلى أن (ما
أفعله) اسم بدليل تمغيرها في بيت الشعر

بما أُميلح غزلاننا ... السابق روايته منذ قليل .

وعندي أن الضرورة الشعرية هي التي ألجأت الشاعر إلى تصغير
أفعل حتى يستقيم البيت على البحر البسيط (الإنصاف ١ : ٩١)

(٢) قد يبدو هذا غريباً ، لأن المعنى يؤثر في الإعراب ،
ولا ينفصلان ولكن النحاة يقولون عن (كان) في مثل " ما
كان أحسن زيدا " كان فعل ماضٍ زائد ، أي أنه يدل على
المضى ولكن الزيادة من حيث عدم وجود اسم أو خبر له .

(٣) الهمع ج ٢ ص ٩١ .

فمنهم من يرى أن صيغتي التعجب تدلان على الماضي المتصل بالحال،
ومنهم من يرى أنهما تدلان على الحال دون الماضي ، ومنهم من
يجمع بين الأزمنة الثلاثة فيرى أنهما بدلان على الحال والماضي
والاستقبال . من أجل هذا استعملوا (كان) وكلمات أخرى لتحديد
الزمن .^(١) فإذا أُريدَ الماضي المنقطع أتى بكان وأمسى ، وإذا أُريدَ
الحال أتى بالآن ، وإذا أُريدَ الاستقبال أتى سيكون ونحوه
من الظروف المستقبلية كقوله تعالى :

" أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا " .^(٢)

لقد وضع النحاة شروطاً للفعل الذي يصاغ على (ما أفعله) أو
(أفعل به) وهي شروط مبنية على استقرار ورود هاتين الصيغتين
في كلام العرب والرجوع إلى الأفعال التي بنيت عليها هاتان
الصيغتان .

فلا بد أن يكون الفعل ثلاثياً متصرفاً تاماً مثبتاً مبنياً
للمعلوم ليس الوصف منه على أفعل^(٣)

أما كونهما لا يجيئان إلا من الثلاثي ، فهذا وضع من أوضاع
اللغة لا تعليل له إلا بعدم إمكان أن تأتي بصيغتي التعجب من
الرباعي أو الخماسي أو السداسي فلا تقول (ما انطلق أو انطلق
به) لأن كلاً من (ما أفعله) و (أفعل به) إنما يتكون من الفاء

(١) السابق ج ٢ ص ٩١ .

(٢) آية ٣٨ من سورة مريم .

(٣) انظر مثلاً شرح ابن عقيل ج ٢ ص ١٥٤ ، وشرح التصريح ج ٢ ص ٩١
وإذا العرف ص ٨٠ ، وهي الشروط نفسها لصياغة الفعل على اسم
(أفعل) للتفصيل .

والعين واللام ليس غير ، فلا يجيء على صيغتهما إلا ما كان ثلاثياً ،
ولا يجوز التعجب هنا إلا بزيادة ، مثل ما أكثر انطلاق زيد .

ولا بدّ أن يكون هذا الثلاثي متصرفاً حتى يتشكل على هاتين
الصيغتين : ما أفعله ، وأفعل به ، إذ لو كان غير متصرف للزم
صورة واحدة لا يتعداها .

وأما كون هذا الثلاثي المتصرف مبنياً للمعلوم فيرجع إلى
سبب دقيق يذكره السيوطي في الأشباه والنظائر عندما يسأل :
كيف تتعجب من فُرب زيد (بضم الضاد) ، فيجيب : ما أكثر ما فُرب
زيد ، فإذا قيل : ولماذا كم يُتَعَجَّب من المفعول (وهو زيد) بلا
وسادة ، (ويقصد بالوسادة زيادة كلمة أو أكثر) ، كما جاز
التعجب من الفاعل بلا زيادة في مثل قولنا : قام زيد ؟ كان
الجواب : لأن التعجب يكون الفعل فيه لازماً ، فإذا قيل أخرجهُ إلى
باب التعجب جعلنا الفاعل مفعولاً به ، كما تقول قام زيد ،
وما أقوم زيداً . فإذا جئنا إلى ما لم يُسمَّ فاعله لم يجز أن
نتعجب منه حتى نزيد في الكلام ، لأنه لا فاعل فيه ^(١) ، ولا نستطيع
أن نتعجب من المفعول ، لأننا بذلك نجعل المفعول قبل التعجب
مفعولاً بعده ^(٢) .

وقد أورد ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك تعليلاً
آخر لذلك . يقول : " السابع (أي السابع من هذه الشروط) ألا يكون
مبنياً للمفعول نحو (فُرب زيد) بضم الضاد ، فلا تقول ما أفسرُرب

(١) في الأشباه والنظائر "لأنه فاعل فيه" والصحيح ما اشتهرنا
وهو الذي يوافق السياق . والظاهر أن (لا) سقطت سهواً عند
الطبع .

(٢) الأشباه والنظائر ج ٣ ص ١٢٨ بتلخيص وتصرف .

زيداً " تريد التعجب من قَرَبِ أَوْقَعَ بِهِ ، لثلاً يلتبس بالتعجب من
أرب أوقعه هو " (١)

" أما قولهم في التعجب من (جَنَّ زيد) (ما أجَنَّهُ) فهو محمولٌ
إلى المعنى لما استجاوزا فيه ما استجازوا فيما حُلَّ عليه ، ألا ترى
أنَّ (جَنَّ زيد) فهو مجنونٌ داخلٌ في خير الأوصاف التي لا تَكُون
أعمالاً وإنما تكونُ خصالاً في الموصوفين بغير اختيار مثل كرم فهو
كريم ولو لم فهو لئيم ، خصال لا يفعلها الموصوف ، فهكذا جَنَّ زيد
فهو مجنون وإنما هي خصلة في الموصوف لا اختيار له فيها " (٢)

أما عدمُ تعجبهم من الأفعال الدالة على الألوان بلا زيادة
فيقول الخليل معللاً لذلك " لم يقولوا ما أحمر زيدا وما أشبهه ؟
لأنه صار عندهم بمنزلة اليد والرجل ، لأنك لا تقول (ما أبيضاه)
ولا (ما أرجله) وخالف باب الثلاثي لهذه العلة " (٣)

وأما عدم ورود هاتين الصيغتين لما لا يقبل المفاضلة مثل
(مات) و(فنى) ونحوهما ، فراجع إلى عدم وجود مزية فيهما
لشيء على شيء " (٤)

لم يبق إلا النفي، ومن الأمور الواضحة أن الانسان لا يتعجب
من شيء منفي لم يحدث .

وصيغة (أفعل به) جاءت على صورة الأمر ومقصود بهما

(١) شرح عقيل ج٢ ص ١٥٤ .

(٢) الاشباه والنظائر ج٢ ص ١٤٥ و ١٤٦ .

(٣) السابق ج٢ ص ١٤٠ .

(٤) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٥٤ .

التعجب . وقد أورد السيوطي في الأشباه والنظائر القاعدة التي تقول :

" الأصل مطابقة المعنى للفظ " وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْكُوفِيُّونَ : إِنْ
معنى أفعل به في التعجب أمرٌ كلفظه . وأما البصريون فقالوا إِنْ
معناه التعجب لا الأمر . وأجابوا عن القاعدة بأن هذا الأصل قد
ترك في مواضع عديدة ، فليكن متروكاً هنا .

والتمس ابن النحاس مبرراً لترك هذا الأصل فقال : إِنْ اللفظ
إذا احتيج في فهم معناه إلى إعمال فكرٍ كان أبلغ وأكد ممّا
إذا لم يكن كذلك ، لأنّ النفس حينئذٍ تحتاج في فهم معناه إلى
فكرٍ وتعجب فتكون به أكثرَ كلفاً وضناً مما إذا لم تتعب في
تحصيله ، وباب التعجب موضعُ المبالغة فكان في مخالفة المعنى للفظ
من المبالغة ما لا يحصل باتفاقهما ^(١) .

ونكادُ نشكُّ في هذه الرواية التي أوردها السيوطي، فما نحسب
أبداً ولا نتوقع من الكوفيين أن يكونوا على هذا النمط من التفكير
الذي يجعلهم يَقْرُونَ أَنَّ صِغَةَ (أفعل به) مراد بها الأَمْرُ
لا التعجب ، لا سيما أَنَّ قاعدةَ اتفاق المعنى للفظ متروكة في مواضع
بلاغية كثيرة وأن الحامل أو السبب لترك هذه القاعدة لم يأت به
واحدٌ من البصريين ، بل أتى به " بهاء الدين بن النحاس المتوفي
عام ثمانية وتسعين وستمئة ويُعد من نحاة مصر " ^(٢) . ثم إننا
نسال هل كان الكسائي والفراء وشعلب وأبو بكر الأنباري وغيرهم
من أعلام الكوفة جاهلين أَنَّ هذه القاعدة قد تُكسر في أحيان كثيرة
لأسباب بلاغية .

(١) الأشباه والنظائر ج ١ ص ٦٣ و ٦٤ بتصرف وتلخيص .

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ٦ ط الخانجي

سنة ١٣٢٦ هـ .

الفصل التاسع

أعمال الاستثناء

أدوات الاستثناء

سمينا هذا الفصل (أدوات الاستثناء) مع معرفتنا أن كلمة (أدوات) غير دقيقة ، وكان يجب أن نقول (أفعال الاستثناء) أو حروفها ، لكن النحاة على خلاف في ذلك بالنسبة للكلمة (حاشا) كما سبق في هذا الفصل ، لذلك آثرنا الإصلاح (أدوات) ، لأنه يستوعب الأفعال والحروف والأسماء أيضا .

والأدوات التي نقصدها وتدخل في نطاق بحثنا هي — (١) — وخلا وحاشا ، وجميعها تستعمل كأفعال للاستثناء ، وهي فـسـ هذا الاستعمال — ليس غير — تعدُّ أفعالا غير متصرفة ، ولن نتعرض لقواعد الاستثناء بها تفصيلا ، فهذا ليس موضوع بحثنا ، ولكننا قد نتعرض لهذه القواعد عندما يكون لها طلة باستعمال هذه الأدوات كأفعال غير متصرفة أو كحروف ، على أنه ينبغي أن نقول إن هناك فعلين آخرين يستعملان للاستثناء ، هما (ليس) و (لا يكون) وقد ذكرناهما في باب (كان وأخواتها) حيث إن هذا الباب هو الأصل في استعمالهما .

فأما الفعل الأول وهو (عدا) فنجد له اشتقاقا عدة ومعاني مختلفة . فالعدو الحضر ، وعدا الرجل والفرس وغيره يعدو عدوا وعدوا وعدوانا وتعدا ، ويقال للخيل المغيرة عادية . قال الله تعالى : " والعاديات ضبحا " (٢) . ويعادي الميّد : يلحقه ، وتعداى القوم : تباروا في العدو . وقد عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا

(١) لا علاقة لبحثنا بغيرها ، مثل إلا وسوى وغير .

(٢) الآية الأولى من سورة العاديات .

وَعَدَاءٌ ، أي ظلمَ ظُلْمًا جَاوَزَ الْعُدْرَ . والعادي الظالم ، أصله مِنْ
تجاوز الحد في الشيء . وَعَدَا الْأَمْرَ يَعُدُّهُ ، أي تجاوز الحد فيه
قال تعالى " ومن يتعدَّ حدودَ اللَّهِ " ^(١) ، أي يتجاوزها
وَتَعَادَى ما بينهم ، أي تَبَاعَدَ . قال الأعشى :

وَتَعَادَى عَنْهُ النَّهَارُ فَمَا تَعُدُّ * * * جُوهٍ إِلَّا عَفَافَةٌ أَوْ فُؤَادٌ ^(٢)

والعدوى اسمٌ من أَعْدَى يُعَدِّي فهو مُعَدٍّ ومعنى أَعْدَى جَاوَزَ
الجَرَبَ الذي به إلى غيره . ^(٣)

فهذه المعانى والاشتقاقات تدلُّ على أن هذا الفعل متصرفٌ كلَّ
التصرف ، إلا أنه في أسلوب الاستثناء يبقى في حالة الماضي لا
يتجاوزُه ، إلى زمنٍ آخر أو إلى صيغة أخرى ويكون فاعله في هذه
الحالة مستترًا كقول الشاعر :

تَمَلُّ النَّدَامَى مَا عَدَانِي فَيَانَنِي * * * بَكْلٌ الَّذِي يَهْوَى نَدِيمِي مَوْلَسٌ ^(٤)

فـ (عدا) هنا ملازمةٌ لزمنٍ الماضي لا تتجاوزُه ، إلى زمنٍ
المضارع أو إلى صيغة أخرى كاسم الفاعل مثلاً :

(١) الآية الأولى من سورة الطلاق .

(٢) القصيدة الثانية والثلاثون . تحقيق المرحوم الدكتور محمد
حسين وأول البيت في الديوان : ما تعادى عنه

(٣) كل هذه المعانى والاشتقاقات نقلناه من لسان العرب مادة
عدا ج ١٩ ص ٢٥٧ ومن القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٦٢ .

(٤) من شواهد الأشموني على الألفية رقم ٤٦٣ .

ولكن ما العلاقة بين ما تدل عليه (عدا) في أسلوب الاستثناء وما تدل عليه من المعاني التي أوردناها منذ قليل ؟ الجواب بيسر واضح ، فهذه المعاني كلها إنما تدل على البعد أو المجاوزة ، والاستثناء باستعمال (عدا) يدل على هذا المعنى بهينه . فإذا قلت : قام القوم ما عدا زيدا ، فكأنك قلت : قام القوم مجاوزين زيدا ، أو بعيدين عن زيد . وقد فطن النحاة إلى ذلك عندما أولوا (ما) مع الفعل بعدها (عدا) فقالوا : " إن موضع الموصول مع صلته نصب : إما على الظرفية على حذف مضاف ، أو على الحالية على التأويل باسم الفاعل فمعنى قاموا ما عدا زيدا : قاموا وقت مجاوزتهم زيدا ، أو مجاوزين زيدا " ^(١) .

وما قلناه في (عدا) نقوله في (خلا) من حيث إنه غير متصرف في أسلوب الاستثناء ليس غير ، وإن معانيه المختلفة لها اتصال بمعنى الاستثناء . فقد جاء في اللسان ^(٢) : " خلا المكان خلوا وخلاء ، وأخلى إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه . وخلالك الشيء وأخلى بمعنى فرغ . وفي المثل : وَيَلُّ لِلْخَلَى مِنَ الشَّيْءِ . فالخلى الذي لا هم له ، الفارغ ، وتخلّى عن الأمر : تركه ، وامسأرة خلّى ، أي لا زوج لها . وخلأ الشيء خلوا أي مضى ، ومنه قولك تعالى : " وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ " ^(٣) أي مضى ، والقبرون الخالية أي الماضية " .

(١) من كلام الشيخ محمد محيي الدين عند تعليقه على شرح الأشموني ج ٢ هامش ص ٤٦٤ .

(٢) مادة خلا ج ١٨ ص ٢٦٠ .

(٣) آية ٢٤ من سورة فاطر .

وهذه المعاني كلها تدلُّ على النفي والسلب والمُضَيِّ والفـسـراحِ
والترُك. وكلُّها تتفق مع الاستثناء ، فلي قولنا : جاءوني خلا زيدا ،
أي جاءوني خلا بعضهم زيدا ، أي فرغ بعضهم من زيد ، أو جاءوني
تاركين زيدا . وقد قدر ابن هشام مثل ذلك حيث قال :
" فمعنى (قاموا ما خلا زيدا) على الأول ^(١) : قاموا خاليين عن
زيد ، وعلى الثاني : قاموا وقت خلوصهم عن زيد ^(٢) و ^(٣) فلا فرق
أذن بين معانيها تلك وبين معناها في الاستثناء إلا أنها فـسـح
الاستثناء باقية في حالة المضي .

وهاتان الكلمتان (عدا وخلا) تسبقهما (ما) فتشبتان على
الفعلية وقد تغيثان دونهما فتكونان فعلين أو حرفين " ذلك لأن
(ما) مصدرية ، فدخولها يُعَيِّنُ الفعلية ^(٤) ؛ لأنها لا تدخل إلا على
الأفعال ^(٥) .

ومن استعمال (خلا) كحرف جر قول الشاعر :

خلا الله لا أرجو سواك وإنما + + أعد عيالي شعبة من عيالك ^(٦)

-
- (١) وهو أن يكون موضع ما خلا نصبا على الحال .
 - (٢) وهو أن يكون موضع ما خلا نصبا على الظرف لأن ما وصاتها
خلا تنويبان من الوقت .
 - (٣) المغنى ص ١٢٩ .
 - (٤) من تعليق الشيخ محمد محيي الدين على شرح الأشموني على
الألفية ج ٢ ص ٤٦٣ .
 - (٥) السابق ص ١٢٩ .
 - (٦) من شواهد الأشموني ج ٢ رقم ٤٦١ ولم أقف له على قائل معين .

وتول الآخر :

أَبَخْنَا حَيْثَهُمْ قَتَلًا وَأَسْرًا * * * عَدَا الشُّمَطَاءُ وَالطُّفْلُ الْمَغِيرُ

على أَنَّ من النحاة من يرى أَنَّ (عدا) تكونُ حرفَ جُـسْرٍ وإنْ سُبقتْ بـ (ما) كما سبق في قول الشاعر :

تَمَلَّ النَّدَامَى مَا عَدَانِي فِرَانِي * * * يَهْوَى نَدِيمِي مُوَلَعٌ

وواضحٌ أَنَّ (عدا) هنا فعلٌ بدليل اتصاله بنون الوقاية التي تدخل على الفعل لِتَقِيَهُ الْجُرَّ إِذَا اتصل بياء المتكلم ، ولسبقها بما المصدرية .

إِلَّا أَنَّ هؤلاء النحاة يَرَوْنَ أَنَّ (ما) في هذا البيت وما جاء نحوه زائدة ، ودخول النون لا يتعين معه أَنَّ تكون الكلمة فعلا ؛ لأنها تلحق ببعض الحروف ، نحو منى وعش^(١) .

وقد ردَّ ابنُ هشام على رأيهم هذا بقوله : " فإن قالوا ذلك بالقياس ففساد ، لأن (ما) لا تزددان قبل الجار ، بل بعده نحسو^(٢) عما قليل^(٣) " و " فيما رحمة^(٤) " ، وإن قالوا بالسمع فهو من الشذوذ بحيث لا يُقاس عليه^(٥) . هذا إلى أَنَّ " إَجْرَاءَ

(١) شرح الأشموني ج٢ هامش ص ٤٦٥ للمرحوم الشيخ محمد محيي الدين .

(٢) المؤمنون آية ٤٠ .

(٣) آل عمران آية ١٥٩ .

(٤) المغنى ص ١٧٦ .

الكلام على المختلف فيه مع إمكان الجادة لا يجوز^(١).

وإذا كان الفعلان (عدا) و (خلا) يُسبقان أحيانا ب (ما) وأحيانا أخرى يجيبان متجريدين منها ، فإن استعمال (حاشا) جاء دون سبقها ب (ما) ، لذلك عدّها سيبويه حرفاً عندما قال : "واما (حاشا) فليس باسم^(٢) ، ولكنه حرف يجر ما بعده ، كما تجر حتى ما بعدها ، وفيه معنى الاستثنا ، وبعض العرب يقول : ما أتاني القوم خلا عبد الله ، فجعلوا خلا بمنزلة حاشا (يقصد بمنزلتها في الجر) ... ألا ترى أنك لو قلت : آتوني ما حاشا زيدا لم يكن كلاما ... " ^(٣).

وربما كان قول سيبويه هذا تعبيرا عن الشائع الراجح في (ما حاشا) فهناك شاهد على استعمال ما حاشا وهو :

رأيت الناس ما حاشا قريشاً * فإننا نحن أفضلهم فعلاً^(٤)

(١) شرح الأشموني ج٢ هامش ص ٤٦٦ للمرحوم الشيخ محمد محيي الدين .

(٢) يقصد أنها لا تؤول مع (ما) قبلها باسم كما هو الحال مع (خلا) و (عدا) .

(٣) الكتاب ١/ ٣٧ .

(٤) هذا البيت هو الشاهد رقم ١٧٨ في ابن عليل ورقم ٤٦٦ في الأشموني و ١٩٩ في المغنى (حرف الحاء) ، وينسب إلى الأختل ، إلا أنني بحثت في ديوانه "شعر الأختل" تعليق الأب انطوان مالحان اليسوعي المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩١ فوجدت في ١٦٤ بيتين من الوافر ومن الروي نفسه والفقائية نفسها ولم أجدهما هذا البيت .

كما أن هناك شاهدين على استعمال (حاشا) فعلا ناصباً

لما بعده فالأول قول الشاعر :

(١) حاشا قريشاً فإنَّ اللهَ فَفَلَّهَمْ *** على البرية بالإسلام والدين

وأما الثانى قول الطماح الأسدي :

(٢) حاشا أبا ثوبانٍ إنَّ أبا *** ثوبانٍ ليس بِبَكْمَةٍ قَسِيْدِمِ

هذا بالإضافة إلى ما حكاه أبو عثمان المازني عن أبي زيد ،

قال : سمعت أعرابياً يقول : " اللهم اغفر لى ولمن سمع حاشا
الشيطانَ وأبا الاصبغ " (٣) .

وإذا نظرنا إلى (خلا) و (عدا) و (حاشا) وجدنا أن الفعل

(خلا) لا فرق بين كونه للاستثناء ، وكونه فعلاً متصرفاً ، وذلك من
حيثُ النطقُ أو الكتابةُ ، وكذلك الشأن فى الفعل (عدا) .

ولكنَّ الأمرَ يختلف فى (حاشا) فيوجد فرق بين كونه للاستثناء

(١) الشاهد رقم ٤٦٤ من شرح الأشموني ، وقد نسبه محققه الشيخ
محيى الدين إلى الفرزدق ولم أجده فى ديوانه " لقافية النسور
من ص ٨٦٤ . تحقيق عبد الله الصاوي . التحاريرية الكبرى ١٩٢٦ .

(٢) المفضليات القصيدة ١٠٩ ص ٣٦٧ . تحقيق أحمد شاكر وهارون .
دار المعارف ١٩٦٤ وقد رواه ابن الأنباري فى الإنصاف :
حاشى أبى ثوبانٍ إنَّ به فَنَّا على الملحاة والشتيم
المسألة ٢٨ ص ١٧٩ .

(٣) شرح الأشموني ج ٢ ص ٤٦٩ وشرح المفصل ج ٢ ص ٨٥ لابن يعيش وقد
أورد (ابن الأصبع) بدلا من (أبا الأصبغ) .

وكونه فعلاً متصرفاً ، فهو في الحالة الثانية يكتب حاشي ومضارعـه
يحاشي ، وشاهد قول النابغة :

ولا أرى قاعلاً في الناس يشبهه * * ولا أحاشي من الأقوام من أحدٍ

وعدم التطابق هذا هو الذي أوجد - في رأيي - شيئين :

الأول : كثرة اللغات في (حاشا) ففي الآية الكريمة " حاشا
لله^(١) " يُقرأ بالفتحة وهو الأصل ، ويُقرأ بغير ألف وهما قراءتان
سبعيتان^(٢) . وقرأت فرقة (حش الله) على وزن رمي ، وقسراً
الحسن (حاشي) بسكون الشين وصلاً ووقفاً^(٣) وذكر ابن عقيـل
أن (حاشا) يقال فيها حاش وحشا . ولا يتأتى ذلك في (عدا)
و (خلا) فلم يرد فيهما إلا هذان اللفظان .

الثاني : الاختلاف في كونها فعلاً بالنظر إلى الأصل
المشتقة منه أو المأخوذة عنه^(٤) ، أو حرفاً يجر
ما بعدهما - كما قال سيبويه - بالنظر إلى أن (حاشا)
الاستثنائية كلمة ، وحاشي الفعل المتصرف الذي مضارعـه يحاشي

(١) شرح الأشموني الشاهد رقم ٤٦٧ وفي الديوان ص ٢٨ . تحقيق
عبد الرحمن سلام . ط المصباح بيروت ١٩٦٩ .

(٢) يوسف آية ٥١ .

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ٤٥٠/٢ وبهامشه إعراب القسـران
للعكبري ٤١٢/٣ .

(٤) البحر المحيط لأبي عيان ج ٥ ص ٣٠١ - ٣٠٣ بتصريف مطبعة السعادة
بمصر سنة ١٣٢٨ .

(٥) الفصل حاشي يحاشي مأخوذ من الحاشية وهي الجانب ، وحاشيتـها
الثوب جانباه اللذان لا هدب فيهما تقول تحاشيت أي اتخذت
جانباً وبهدت ، و(حاشيت من القوم فلاناً) أي جنبته أو جعلته
جانب ، أي استثنيت (اللسان ج ١٦ ص ١٩٦) .

كلمة أخرى لا علاقة لها بالأولى ^(١) . وربما كان هذا سبب التباين في رواية الشواهد التي ذكرناها عند قليل ، فهناك من يروونها بنصب ما بعد حاشا وهناك من يروونها بجر ما بعدها . ولا ينتأى هذا الاختلاف في (خلا) و (عدا) ، أو قل إنه غير مشهور ، فسيبويه مثلا قد ذكر النصب ليس غير في الاسم الذي بعد (عدا) ، أما (خلا) فقد ذكر النصب أيضا ، وذكر أن الجر بها في بعض اللغات ، وشرح ذلك في سطر واحد أو في جزء من سطر حيث يقول " وبعض العسرب يقول ما أتاني خلا عبد الله ، فجعلوا (خلا) بمنزلة (حاشا) فإذا قلت (ما خلا) فليس فيه إلا النصب " ^(٢) .

-
- (١) هذا هو رأي سبب الخلاف ، وهناك كثير من الدلائل التي أوردها نحاة البصرة والكوفة في هذا الموضوع (انظر المسألة ٢٨ ص ١٧٨) .
- (٢) الكتاب ٣٥٩/١ .
- (٣) الكتاب ٣٧٧/١ .

العمل العاشر الأخير

العمل متفرقة

الفعال متصرفية

في هذا الفصل نحاول أن نجمع من كتب اللغة والأدب الأفعال غير المتصرفية التي لم يجمعها باب واحد من أبواب النحو ، وهذه هي السمة المميزة لأفعال هذا الفصل ، ومن ثم جمعناها معاً ، فهي ليست من النواسخ مثلاً حتى نجد لها مجتمعة في باب واحد شأن عسى وليس وكاد وكرب ... أو من الاستثناء كخلا وعسدا وحاشيبا أو من أفعال الدم والمدح كنعم وبئس وحبذا وساء . على أن ببعض النحاة قد أتى ببعض هذه الأفعال مجتمعة عندما تحدث عن تقسيم الفعل إلى متصرف و (جامد) ؛ أي غير متصرف ، فالسيوطي مثلاً قبيل أن يتحدث عن نعم وبئس وحبذا ولا حبذا ، ألم ببعض هذه الأفعال غير المتصرفية فقال " الفعل متصرف وهو ما اختلفت أبنيته لاختلاف زمانه ، وهو كثير ، وجامد بخلافه وهو محدود ، ومنه غير ما مر في النواسخ والاستثناء : قلّ للنفس المحض فترفع الفاعل مثلوا بصفة ومنه تبارك من البركة وهذك من رجل وسقط في يده ... وكذب في الإغراء ويهيط أي يصيح ... " (١)

ولقد ذكر السيوطي أيضاً بعض هذه الأفعال في المزهـر (٢) نقلاً عن التسهيل لابن مالك ، قال : ابن مالك : " منعت التصرف أفعال منها المثبتة في نواسخ الابتداء وباب الاستثناء والتعجب وما يليه ، ومنها (قلّ) النافية ، و (تبارك) و (سقط في يده) و (هذك من رجل) و (عمرتك الله) و (كذب) في الإغراء ، و (ينبغي) (١)

(١) الجمع ج ٢ ص ٨٢ ، ومكان النقط شرح لبعض أحكام هذه الأفعال وستعرض لها بالتفصيل بعد قليل .

(٢) المزهـر ج ٢ ص ٤٥ .

و (يهبط) و (أَهْلَمَ) و (أَهَامَ) بمعنى أخذ و (أَعطى) و (هَلَسَمَ) التيميمية و (هَأَ) و (هَاءِ) بمعنى خَذَ و (يَمُ صَاحَا) و (تَعَلَّسَمَ) بمعنى اعلم ، وفي زجر الخيل اقدم واقدم وهب وارحب وهجد ، وليست أصواتا ولا أسماء أفعال لرفعها الفمائر البارزة ، واستغنى غالبا بترك عن (وَدَرَ) و (وَدَعَ) وبالتَّرك عن الوَدَرِ والوَدَعِ ، وربما قيل وَدَعَ وَوَدَعَ وَوَدَّرَ^(١) .

ونحن في بحثنا هذا نحاولُ درسَ هذه الأفعال مبهينين استعمالاتها وشواهدَها وآراءَ النحويين في كلٍّ منها . والتتبعُ التاريخي لاستعمال هذه الأفعال أمرٌ بالغُ المعوِّبة ، " ذلك أن العقلَ ينسى خطواتَ التطورِ المعنوي التي مرَّت بها ، ونقول ينساها إذا افترضنا أنه عَرَفَهَا في يومٍ من الأيام ، فللكلمات دائماً قيمة حاضرة *actuelle* ، يعني أنها محدودة بال لحظة التي تستعمل فيها ، ومفردة بمعنى أنها خاص بالاستعمال الوقتي الذي تستعمل خلاله^(٢) " .

ومع ذلك فسنحاول قدرَ جهدنا القاءَ الضوء على التتبع التاريخي لاستعمال هذه الأفعال أو بعضها .

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ص ٢٤٦ و ٢٤٧ تحقيق

محمد كامل بركات دار الكتاب بمصر سنة ١٩٦٧ م .

(٢) اللغة : فندريس ص ٢٢٦ بتصرف .

وذر - ودع

من هذه الأفعال الفعلان وَدَعَ وَوَذَرَ فالمستعمل منهما الأمرُ دَعَّ وَذَرَّ والمضارع يَدَعُ وَيَذَرُ . أما وَدَعَ وَوَذَرَ الماضيان فلـم يستعملا ، ونستطيع أن نقول إنَّ هذين الفعلين شبيهان متصرفين من ناحية الاستعمال ليس غير ؛ إذ إنَّ القياس لا يَأْتِي مجيء الماضي أيضاً ، كما هو الحالُ في وَزَنَ يَزِنُ وَزَنًا . يُوهِدُ ذلك ما قاله ابنُ درستويه " واستعمالُ ما أهملوا من هذا جائزٌ صوابٌ ، وهو الأصلُ بل هو في القياس الوجهُ ، وهو في الشعر ————— أحسنُ منه في الكلام لقلَّةِ اعتياده ، لأنَّ الشعرَ أيضاً أقلُّ استعمالاً من الكلام " (١) .

ويرى بعضُ اللغويين أنَّ استعمالَ وَذَرَ وَوَدَعَ ثَقِيلٌ لا بدتاهما بالواو ، وهو حرفٌ مُسْتَثْقَلٌ فَاسْتُغْنِيَ عَنْهُمَا بما خلا منه وهـو تَرَكَ (٢) .

وربما كان في هذا تعليلٌ لاستعمال وزن مع أن أولهـا واو ؛ إذ لا نجد بديلاً لها كما وجدنا بديلاً للفعلين وذر وودع وهو ترك .

وقد عوّل الشيخُ خالد الأزهرى على أن الفعلين وذر وودع بديلاً وهو ترك — عوّل على ذلك في تعليقه لعدم تصرفهما . قال ... والثاني يكون بمجرد الاستغناء عن تصرفه بتصرف غيره

(١) المزهر ج٢ ص ٤٦ .

(٢) المزهر ج٢ ص ٤٦ .

وإنَّ كَانَ بَاقِيًا عَلَى أَصْلِهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَدَثِ وَالزَّمَانِ، كَيَذُرُ وَيَسُحُ
حَيْثُ اسْتُغْنِيَ عَنْ مَا فِيهِمَا بِمَا فِي تَرْكِهِ " (شرح التصريح ٩٢/٢) .

وهذا خطأ لأن الفعلين متصرفان كما بينا ، إلاَّ أن الاستعمال
هو الذي هجر الماضي منهما ، وبقي المضارع والأمر . وفي ذلك
يقول ابن جنى " فإنَّ كَانَ الشَّيْءُ شَادًّا فِي السَّمَاعِ مَطْرِدًا فِي الْقِيَاسِ
تَحَامَيْتَ مَا تَحَامَتِ الْعَرَبُ مِنْ ذَلِكَ وَجَرَّيْتَ فِي نَظِيرِهِ عَلَى الْوَاجِبِ
فِي أَمْثَالِهِ . مِنْ ذَلِكَ امْتِنَاعُكَ مِنْ وَذَرٍ وَوَدَعٍ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا
وَلَا غَرَّوْا عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ نَظِيرَهُمَا نَحْوَ وَزَنٍ وَوَعَدَ لَوْ لَمْ تَسْمَعْهُمَا .
فَأَمَّا قَوْلُ أَبِي الْأَسْوَدِ :

كَتَبْتُ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي * * * عَالَهُ فِي الْحَبِّ حَتَّى وَدَعَاهُ ^(١)
فشادٌّ ، وكذلك قراءة بعضهم (مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَسَ)
بتخفيف الدال فأما قولهم : ودع الشيء يَدْعُ - إذا سكن - فاتدع
مسموع متبع ، وعليه أنشد بيت الفرزدق :

وَعَفَّ زَمَانٌ يَا ابْنَ مِرْوَانَ لَمْ يَدْعُ * * * مِنَ الْمَالِ إِلَّا مَسَحَتْ أَوْ مَجَلَفٌ ^(٢)
فمعنى لم يدع - بكسر الدال ، أي لم يَدْعُ ولم يَشْبُهْ ^(٣)
والاستغناء عن الشيء بالشيء نص عليه سيبويه في مواضع من

(١) سنحلق هذا البيت بعد قليل .

(٢) شرح ديوان الفرزدق . عبد الله إبراهيم الصاوي ص ٥٥٦ التجارية
بمصر سنة ١٩٣٦ م .

(٣) الخصائص ج ١ ص ٩٩ .

كتابه فيقول " فقد يستغنون عن الشيء بالشيء ، وقد يستعملون فيه
(١)
جميع ما يكون في بابه " .

ويقول " هذا باب يستغنى فيه عن (ما أفعله) ب (ما
أفعل فعله) وعن (أفعل منه) بقولهم (هو أفعل منه فعلا) ، كما
(٢)
استغنى بتركت عن ودعت " .

ويقول " كما أن يدع على ودعت ، ويدر على وذرت وإن
(٣)
لم يستعملا ، استغنى عنهما بتركت " .

على أن بيت أبي الأسود :

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا لَدِّي * * * غَالَهُ فِي الْحَبِّ حَتَّى وَدَعَسَهُ (٤)

(١) الكتاب ج٢ ص ١٩١ .

(٢) الكتاب ج٢ ص ٢٥١ .

(٣) الكتاب ج٢ ص ٢٣٨ .

(٤) هذا البيت أنشده ابن جنى في خصائصه ج١ ص ٩٩ كما سبق ، ولم يحققه الأستاذ النجار محقق الخصائص في هذا الموضع ، غير أنه عاد وذكر في ص ٢٦٦ من الجزء نفسه أن نسبة هذا البيت لأبي الأسود خطأ ، وإنما قائله هو أنس بن زعيم الليثي في عبيد الله بن زياد بن أبيه ، وكذلك عدل في روايته بأن جعله :
سَلَّ أَمِيرِي مَا لَدِّي غَيْرَهُ * * * عَنْ وَصَالِي الْيَوْمِ حَتَّى وَدَعَسَهُ
وقد بحثت في الكتب التي ترجمت لأبي الأسود على أجد الحقيقة في هذا البيت ، لأنني سأبني عليه حكما ، فبحثت في الأغاني للأصفهاني ج١٢ ص ٢٠١ . دار الثقافة ببيروت ١٩٧٤ ، وأشد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، نسخة قديمة دون ذكر للناسخ أو تاريخ النشر ، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري : تحقيق إبراهيم السامرائي ص ١ ، دار المعارف ببغداد ١٩٥٩ ،

له دلالة "كبيرة" من حيث التتبع التاريخي لاستعمال الفعل (ودع) ،
ذلك أننا إذا أضفنا إلى هذا البيت قراءة الآية الكريمة " مَا
وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ^(١) " بتخفيف الدال وهي قراءة عروة بن الزبير
وابننسه هشام وابن ابى عبلة ^(٢) وأضفنا أيضا ما ورد

ومراتب النحويين لأبى الطيب اللغوي ص ٦ نهضة مصر ١٩٥٥ ، فلم
أجد ذكراً لهذا البيت فى كل هذه المراجع التى ترجمت لحياة
أبى الاسود . ثم بحثت فى بُغية الوعاة فى طبقات اللغويين
والنحاة للسيوطي ص ٢٢ تحقيق محمد إبراهيم طبعة عيسى
الخطيب ١٩٦٤ ، فلم أجد هذا البيت فيه ، إلا أننى وجدت
بيتين آخرين من نفس البحر (الرمل) والقافية :

لَا يَكُنْ بَرْقُكَ بَرْقًا خَلْبًا * * * إِنْ خَيْرَ الْبَرْقِ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ
لَا تَهْنَى بَعْدَ إِكْرَامِكَ لى * * * فَشَدِيدُ عَادَةٍ مُنْتَزَعَةٍ
وقد ورد هذا البيت فى اللسان إلا أن فيه رواية أخرى ونائلاً
آخر غير أبى الاسود . يقول صاحب اللسان " وهذا البيت ، روى
الزهري عن ابن اخى الأصمعى أن عمه أنشده لأنس بن زبيد
الليثي :

كَلِمَتِ شَعْرِي عَنْ أَمِيرِي مَا الَّذِي * * * غَالَهُ فِي الْحَبِّ حَتَّى وَدَّعَسَهُ
لَا يَكُنْ بَرْقُكَ بَرْقًا خَلْبًا * * * أَنْ خَيْرَ الْبَرْقِ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ
وإذا عرفنا أن أنساً هذا قد قال البيت فى عبيد الله بن زياد
بن أبيه الملقب بابن مرجانة ، وعرفنا أيضا أن عبيد الله
تولى سنة ٦٧ هـ ، وأن أبى الاسود تولى سنة ٦٩ هـ - إذا عرفنا
كل ذلك فلا يهمنى من قائل البيت بقدر ما يهمنى الفترة التى
قيل فيها وهى الستينات من القرن الاول .

(١) الآية الثالثة من سورة الضحى .

(٢) اللسان ج ١٠ ص ٢٦٣ .

في اللسان وفي حديث ابن عباس أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
" لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدَعِهِمُ الْجَمْعَاتِ أَوْ لَيُخْتَمَنَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ " أي
عن تركهم إياها ^(١) " استنتجنا أن هذا الفعل (ودع) بصيغته الماضية
وكذلك المصدر (ودعاً) لم يكونا مهجورين في فترة نزول القرآن الكريم
وعلى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستمرَّ استعمالُهما حتَّى
السنين الأولى من النصف الثاني من القرن الأول ، وبعد ذلك هُجِرَ
استعمالُهما ولم يبقَ مستعملاً إلا المضارعُ والأمرُ .

(١) اللسان ج ١٠ ص ٢٦٢ .

كَذَّبَ عَلَيْكَ

أما الفعل (كَذَّبَ) فَمِنْ عَنِ الْقَوْلِ أَنَّهُ مَتَصَرِفٌ : كَذَّبَ يَكْذِبُ
كَذَبًا وَكَذَابًا وَكَذَابًا فَهُوَ كَاذِبٌ وَكَذَّابٌ وَكَذُوبٌ .^(١)

وأما (عليك) فهو جار ومجرور ، هذه هي النظرة الأولى لهذا
الأسلوب ولكنهم يعدونه من أساليب الإغراء ، وقد جاء على هذا
النمط أو هذه الصورة دون تغيير ، وتكون الكلمة (كذب) في هذه
الحالة فعلاً غير متصرف ، لزم صورة واحدة وهي الماضي ، و (عليك)
يشبهونها بتلك التي تستعمل في الإغراء ، كما في قوله تعالى :
" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ " ^(٢) فعليك هنا اسمٌ فعلى
منقولٌ عن الجار والمجرور بمعنى الزم أو احفظ .

وربما استعمل الفعل (كذب) غير متعدي بالحرف ، بل يجيء بعده
المفعول به مباشرة فيقال (كذبك) وذلك كقول عمر بن الخطاب حين
جاءه رجل يشكو النقرس " كَذَّبَتْكَ الظَّهَائِرُ " أي بالمشي فيهم ،
والظواهر جمع ظهيرة وهي شدة الحر ^(٣) .

أما شواهد (كَذَّبَ عَلَيْكَ) فقول عمر أيضا حين شكاه إليه عمرو
ابن معد يكرب المعص (التواء عصب القدم) فقال له : كَذَّبَ عَلَيْكَ
العسل . يريد القسطن وهي مشى الذئب ، أي عليك بسرعة المشي ، وقوله
أيضا : " كَذَّبَ عَلَيْكَ العمرة " كذب عليكم الحج ، شلاشة أسفاس


(١) اللسان مادة ك ذ ب .

(٢) المائدة آية ١٠٥ .

(٣) اللسان مادة ك ذ ب ج ٢ ص ٢٠٤ .

كذبهم عليكم قال ابن السكيت : بمعنى عليكم به ، كلمة نادرة جاءت على غير القياس . وقال " الأخفش الحج مرفوع به ومعناه نصب ، لأنه يريد الأمر به كقولهم أمكنك الصيد ، يريد أزمه " (١) ، أي أن المفرد به كان حقه النصب ، ولكنه جاء بالرفع شاذاً على غير قياس . يقول الأصمعي في ذلك " معنى (كذب عليكم) معنى الإغراء أي : عليكم به ، وكان الأصل في هذا أن يكون نصبا ، ولكنه جاء عنهم بالرفع شاذاً على غير قياس . (٢)

ونستطيع القول بأن هذا الأسلوب قد هجر الآن ، ولم يُعتمد مستعملاً التوبة ، وجميع شواهد - كما سيتضح بعد قليل - لم يتعد زمنها زمن الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين من بعده ، يدل على ذلك أن سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ قد أورد في كتابه كلمة (كَذَبَ) - من حيث تعلقها بأحكام نحوية أو لغوية - مرتين : الأولى ، عندما أنشد بيت الأخطي : (٣)

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ  غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خَيْالاً (٤)

(١) النهاية في غريب الحديث لأبي السعادات بن محمد الجتازي المعروف بابن الأثير ج٤ ص ١٣ المطبعة الخيرية بمصر - دون تاريخ .

(٢) الهمع ج٢ ص ٨٢ .

(٣) اللسان مادة كذب ج٢ ص ٢٠٥ .

(٤) عرفت ذلك من فهرس كتاب سيبويه الذي صنعه عبد السلام هارون ج٥ ص ١٦٩ . الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٧ م .

(٥) الكتاب ج١ ص ٤٨٤ .

ولقد استشهد بهذا البيت على إتيان الشاعر بأم منقطة بعد
الخبر (١) .

والثانية : عندما أنشد بيت خز بن لودان أو عنتره :

كَذَّبَ الْعَتِيقُ وَمَاءُ شَنْ بَارِدٍ * * * إِنْ كُنْتَ سَأَلْتَنِي عُيُوقًا فَادْهَبْ (٢)

ولم يعلق سيبويه على البيت إلا بقوله يريد (فادهبي)، وكان ذلك في (باب وجوه القوافي في الإنشاد) ، ولم يذكر سيبويه أن (كذب) في أول البيت قد أتت بمعنى الإغراء ، وربما يكون سبب ذلك ندرة هذا الأسلوب على عهد سيبويه، بل انعدامه. صحيح أن سيبويه قد أورد البيت في مقام غير مقام استعمال (كذب) للإغراء ، ولكننا لا ننسى أن سيبويه من طبعه الاستطراد، والدخول في موضوع جديد طارئ، ثم الرجوع إلى الموضوع الذي كان يبحثه

على أن الشنتمري ذكر ذلك حيث قال :

" ومعنى (كذب العتيق) عليك به ، وهي كلمة نادرة تغرى بها العرب فترفع ما بعدها وتنصب " (٣) .

ومهما يكن من أمر فإن هذا التعبير نادر استعمال في عصره ، مهجور الآن تمام الهجر ، إلا أن السؤال الذي يطرحه للباحث : ما علاقة الفعل (كذب) سواء أكان متصرفاً أم غير متصرف بالاعراء أو بالوجوب ، فنقول : كذب عليكم الحج، بمعنى وجب ؟

(١) الكتاب ١٦ أسفل هامش ٤٨٤ (الشنتمري) .

(٢) الكتاب ٢ ص ٢٠٢ .

(٣) الكتاب ٢ أسفل ص ٢٠٢ .

ظلمتُ أفكرُ في هذا السؤالِ على أحظى بإجابةٍ مقنعةٍ، وقد رأيتُ أن العلاقةَ بين الكذب والإغراء علاقةً "غريبةً"، والأسلوب نفسه نادر غير مألوف، وقد قال ابن فارس كلاماً قيماً في هذا الصدد:

"ذهب علماءنا أو أكثرهم إلى أن الذي انتهى اليينا من كلام العرب هو الأقلُّ، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعرٌ كثيرٌ وكلامٌ كثيرٌ وأحرى بهذا القول أن يكون صحيحاً، لأننا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب، فلا يكاد واحدٌ منهم يُخبر عن حقيقة ما خولف فيه، بل يسلك طريق الاحتمال والإمكان، ألا ترى أننا نسألهم عن حقيقة قول العرب في الإغراء: كَذَبَكَ كذا، وعمّا جاء في الحديث من قوله: كَذَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ، كذب العَسَلُ، وعن قول القائل:

كَذَبْتُ عَلَيْكُمْ أَوْعِدُونِي وَعَلَّوْا * يَتَى الْأَرْضَ وَالْأَقْوَامَ قِرْدَانٌ مُوْطِبِ

وعن قول الآخر:

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءُ شَنْ بَسَارِدِ * إِنْ كُنْتَ سَائِلَتِي فَبُوقاً لَأَذْهَبِي

ونحن نعلم أن قولَ (كَذَبَ) يَبْعُدُ ظَاهِرُهُ عن باب الإغراء، وكذلك قولهم ٤٠٠٠ (١) ثم يَذْكُرُ بعد ذلك أمثلةً أخرى في سِقَايةِ اللَّفِيَّةِ وغريبها، لا يهتمنا منها إلا أسلوب (كذب عليك)، ثم يعلق

(١) المزهر ج١ ص ٦٦ و ٦٧، والصاحبي في لغة وسنن العرب لأحمد بن فارس ص ٦٧ و ٦٨ تحقيق مصطفى الشويهي . بيروت ١٩٦٤ . والبيت الأول - في اللسان - لخداش بن زهير . والبيت الثاني هو الذي أنشده سيبويه ج٢ ص ٣٠٢ .

على كل ذلك قائلًا " وقد كَانَ لِذَلِكَ كُلُّهُ نَاسٌ يَعْرِفُونَهُ ، وكذلك
يَعْلَمُونَ معنى مَا نَسْتَغْرِبُهُ الْيَوْمَ ^(١) ... " .

فهذا الأسلوب إذا كان له تفسيره عند قائله في الماضي بالرغم
من استغرابنا إياه اليوم ، ونحن هنا نجتهد ، فنقدّم على
استحياء تفسيراً له ، لقد اشتهر القولُ بين العامة في عصرنا الحاضر
" عليك الحرام تفعل كذا ... " يقول العامي ذلك مخاطباً غيره أو
قل مغريباً غيره ، وربما قال مغريباً نفسه أو مُقْسِماً " على الحرام
أفعل كذا ... " اليس هذا مشابهاً للأسلوب (كذب عليك) ؟ بلى هو
مشابهٌ . فالأسلوبُ العاميُّ يعني أَنَّ الحرامَ يَحِلُّ بِإِذَا لَمْ أَفْعَلْ كَذَا ،
والأسلوبُ الثاني يعني أَنَّ الكذبَ يكونُ على - أي أنى أكونُ كاذباً - إن
لَمْ أَفْعَلْ كَذَا ، والعلاقةُ بين الكذبِ والحرامِ علاقةٌ وثيقةٌ .

(١) المزهر ج١ ص ٧٠ و ٧١ والمصاحبي ص ٧١ و ٧٢ .

تَبَارَكَ

يَرْجِعُ هذا الفعلُ إلى المادة ب ر ك ، ومن هذه المادة : الْبَرَكَةُ أي النماءُ والزيادةُ ، والتَّبَرُّكُ أي الدعاءُ للإنسان ، فيقال بَرَكُستُ عليك تَبَرُّكاً ، أي قلت : بَارِكِ اللَّهُ عَلَيْكَ . وفي التَّشْهيدِ " السَّلامُ عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " البركات أي السعادة ^(١) .

وَتَبَارَكَ على وزن تفاعل مثل تقاتل ، وكان القياسُ أن يكون متصرفاً مثله ، ولكنه جاء "غير متصرفٍ فلا يأتي منه مضارعٌ ولا أمرٌ ولا اسمٌ فاعلٌ، وهو بمعنى تعظم وتمجّد وارتفع " ^(٢) . وقد ذكر السيوطي هذا الفعلَ مع الأفعال التي لا تتصرف . وكذلك ذكره ابنُ مالك ^(٣) . وقد استعمل القرآن الكريم كثيراً من اشتقاقات هذه المادة كقوله تعالى : " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا " ^(٤) . و " فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنِ إِلَى النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا " ^(٥) . و " اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ " ^(٦) . و " وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ " ^(٧) .

(١) اللسان مادة ب ر ك ج ١٢ ص ٢٧٥ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ١٥٠ .

(٣) معجم الهوامع ج ٢ ص ٨٢ .

(٤) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ص ٢٤٦ . تحقيق محمد

بركات دار الكتاب العربي بمصر ١٩٦٢ م .

(٥) فعلت : ١٠ .

(٦) النمل : ٨ .

(٧) هود : ٤٨ .

(٨) الأنبياء : ٥٠ .

ولكنه لم يستعمل الفعل تَبَارَكَ إِلَّا مُسْتَدًا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ
وتعالى في كلِّ المواضع التي ذُكِرَ فيها وهي :

- ١ - تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ^(١) .
- ٢ - فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ .
- ٣ - تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ^(٢) .
- ٤ - تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ^(٣) .
- ٥ - تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ^(٤) .
- ٦ - فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ^(٥) .
- ٧ - وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ^(٦) .
- ٨ - تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ^(٧) .
- ٩ - تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(٨) .

(١) الأعراف : ٥٤ .

(٢) المؤمنون : ١٤ .

(٣) الفرقان : ١ .

(٤) الفرقان : ١٠ .

(٥) الفرقان : ٦١ .

(٦) طه : ٦٤ .

(٧) الزخرف : ٨٥ .

(٨) الملك : ١ .

فهذا الفعل غير المتصرف مقصور استعماله على إسناده لله سبحانه وتعالى. وربما كان هذا هو سبب عدم تصرفه؛ لإشعاره بأن التمجيد والعظمة والرفعة لله سبحانه دون غيره ، ولإشعار أيضا بأن هذا الفعل - وإن كان قد توقف عند صيغة الماضي - يدل على الحال والاستقبال أيضا ، مثله في ذلك مثل الفعل (كان) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم كقوله تعالى : " وكان الله غفورا رحيما " ^(١) ، و " كان الله عليما حكيما " ^(٢) و " كان الله سميعا بصيرا " ^(٣) .

(١) النساء : ١٠ .

(٢) النساء : ١١١ .

(٣) النساء : ١٣٤ .

لـ

غَنِيٌّ عَنِ الْقَوْلِ أَنَّ الْفَعْلَ (قَلَّ) فَعْلٌ مُتَصَرِّفٌ ، وَقَدْ كَتَبَ فِيهِ
صَاحِبُ اللِّسَانِ مَا يَزِيدُ عَلَى سِتِّ صَفَحَاتٍ مُبِينًا اشْتِقَاقَاتَ هَذِهِ
الْمَادَّةِ (قَلَّ) وَاسْتِعْمَالَاتِهَا . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : " وَلِلنِّسَاءِ
نَعِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ " ^(١) وَ " مَتَاعٌ
قَلِيلٌ ثُمَّ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ " ^(٢) وَ " إِنْ تَزَنَّا زَنَا أَقْلُ
مِنْكَ مَا لَا وَلَدًا " ^(٣) وَ " إِنْ هَؤُلَاءِ لَيْشُرِذِمَةٌ قَلِيلُونَ " ^(٤) .

غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ النُّحَوِيِّينَ قَدْ جَعَلُوا الْفَعْلَ (قَلَّ) غَيْرَ مُتَصَرِّفٍ ،
وَذَلِكَ فِي اسْتِعْمَالِ خَاصِّهِ لَا يَتَعَدَّاهُ ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى (مَا)
الَّتِي هِيَ لِلنَّفْيِ الْمُحْضِ ، كَقَوْلِهِمْ " قَلَّ رَجُلٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ " وَيَسْتَأْوِي
فِي الْمَعْنَى " مَا رَجُلٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ " وَ (مَا) هُنَا حَرْفٌ ، وَمَادَامُ الْفَعْلُ
(قَلَّ) قَدْ اسْتَعْمَلَ مَوْضِعَهَا فَهُوَ غَيْرُ مُتَصَرِّفٍ لِشَبْهِهِ بِالْحَرْفِ .

يَقُولُ السِّيُوطِيُّ فِي ذَلِكَ " وَمِنْهُ - أَيُّ مِنَ الْجَامِدِ - قَلَّ لِلنَّفْيِ
الْمُحْضِ فَتَرْفَعُ الْفَاعِلَ مَتَلَوًّا بِصِفَةٍ مُطَابِقَةٍ لَهُ نَحْوُ (قَلَّ رَجُلٌ)
يَقُولُ ذَلِكَ) وَ (قَلَّ رَجُلَانِ يَقُولَانِ ذَلِكَ بِمَعْنَى (مَا رَجُلٌ ...) ^(٥) .

وَقَدْ كَرَّرَ هَذَا الْقَوْلَ فِي الْمَزْهَرِ نَقْلًا عَنْ ابْنِ مَالِكٍ فَمَنْ
التَّسْهِيلِ حَيْثُ قَالَ " مُنَعْتَ التَّصَرُّفَ أَفْعَالٌ : مِنْهَا الْمُثَبَّتَةُ فَمَنْ

-
- (١) النِّسَاءُ / ٧ .
 - (٢) آلُ عِمْرَانَ / ١٩٧ .
 - (٣) الْكَهْفُ / ٣٩ .
 - (٤) الشُّعْرَاءُ / ٥٤ .
 - (٥) الْهَمْعُ / ٨٣/٢ .
 - (٦) الْمَزْهَرُ / ٤٥/٢ .
 - (٧) تَسْهِيلُ الْفَوَائِدِ وَتَكْمِيلُ الْمَقَامِدِ ص ٢٤٦ .

نواسخ الابتداء، وباب الاستثناء، والتعجب وما يليه، ومنها قَلَّ النافية..... " .

ولم يذكر ابن مالك تفصيلاً لاستعمال هذا الفعل في هـ هذا الموضع، إلا أنه عَقَدَ فصلاً قبله مباشرةً بيّن فيه الصلة بين (قَلَّ) و(ما) النافية، قال فيه " قد يقوم مقام (ما يفعلُ أحدٌ) (أَقَلُّ) ملازماً للابتداء، والاضافة إلى نكرة موصوفة بصفة مُغْنِيَةٍ عن الخبر لازم كونها فعلاً أو ظرفاً، وقد تُجعل خبراً، ولا بدَّ من مطابقة فاعليها للنكرة المضاف إليها، ويساوي (أَقَلُّ) المذكور (قَلَّ) رافعاً مجسوراً (أَقَلُّ) .

ولسنا مع ابن مالك أو السيوطي في ذلك لما يأتي :

- ١ - أنا - فيما اطلعنا عليه من المراجع النحوية - لم نجد هذا الفعل إلا في المرجعين اللذين ذكرناهما ليس غير .
- ٢ - أَنَّ (قَلَّ رجلٌ يفعل ذلك) مثال لا يُعتدُّ به، ولم نجد شاهداً على نمط هذا المثال يؤيد قولهما .
- ٣ - أَنَّ القول بأن (قَلَّ) تساوي (ما)، ومن ثَمَّ فإنَّ (قَلَّ) غير متصرفٍ لشبهه بالحرف - هذا القول يحتاج إلى دليل، وهو بعيد من واقع اللغة لعلاقة المساواة هذه نجدها في المسائل الرياضية، وفرق كبير في اللغة بين استعمال الفعل واستعمال الحرف .

وإذا دَخَلَتْ على (قَلَّ) (ما) الكافة، أصبحت (قلما)، وحينئذٍ يجيء بعدها جملة فعلية، بعكس (قَلَّ) مفردة، فإنها تتطلب بعدها فاعلاً. وقد ذكر سيبويه أنه من قبح الكلام أن تجيء (قلما) وبعدها اسمٌ يقول " ويحتملون قبح الكلام حتى يفعوه في غير موضعه، لأنَّه

مستقيم ليس فيه تناقض ، فمن ذلك قولُ عمرَ بن أبي ربيعة :
 مَدَدَتْ لَأَطَوَّلَتِ الْمُدُودَ وَقَلَّمَا * * * * * وصالٌ على طول المدود يبدومُ
 ولكنَّ الكلام : قلما يدوم وصال " (١) .

ذكر سيبويه ذلك ، ولكنه لم يذكر في هذا المقام أنَّ قَلَّ
 فعلٌ غيرٌ متصرفٍ أو أنها تساوي (ما) ولم يذكر أيضا المثالَ (قَلَّ
 رجلٌ يفعل ذلك) ، مع أن من منهج سيبويه أنه قد يستطرد فيذكر
 موضوعا أو حكما متعلقا بالموضوع الذي يتكلم عنه ثم يرجع إلى
 هذا الموضوع مرة ثانية .

وذكر سيبويه (قلما) مرةً أخرى في كتابه عند عرضه " للحروف
 التي لا يليها بعدها إلاَّ الفعلُ ، ولا تغير الفعل عن حاله التي كان
 عليها قبل أن يكون شيء منها " (٢) وذكر من هذه الحروف قَلَّ
 وسوف والسين وربما وقلما ، أي أنه عد (قلما) كلها حرفا (٣) ،
 يقول " ومن تلك الحروف ربما وقلما وأشباههما ، جعلوا رَبَّ مع
 ما بمنزلة كلمة واحدة وهيؤها ليذكر بعدها الفعلُ ، لأنَّ
 لم يكن لهم سبيلٌ إلى (رَبَّ يقول) ولا إلى (قَلَّ يقول) " (٤) .

والمهمُّ في ذلك كله أن سيبويه لم يستطرد فيذكرُ أشياءَ ذلك
 أن (قَلَّ) في استعمال بعينه فعلٌ غيرٌ متصرفٍ أو أنه يساوي (ما)
 في المثال (قَلَّ رجلٌ يفعل ذلك) .

(١) الكتاب ج١ ص ١٢ .

(٢) الكتاب ج١ ص ٤٥٨ .

(٣) يرى النحاة أنَّ قَلَّمَا مكونةٌ من الفعل الماضي (قَلَّ) وما الكافسة
 عن عمل الرفع (انظر المغنى ص ٤٠٣) .

(٤) الكتاب ج١ ص ٤٥٩ .

" سَقِطَ فِي يَدَيْهِ "

رأى النحاة أَنَّ الفعل " قَلَّ " متصرفٌ إِلَّا في استعمال خاص لا يتعداه يكون فيه غير متصرف ، وهو ما كان على مثال " قلل رجل يفعل ذلك " بمعنى " ما رجل يفعل ذلك " . وقد اختلفنا مع النحاة في ذلك لعدم وجود شواهد تؤيد رأيهم ، وتدل على أن (قلل) تستعمل للنفي المحض مكان (ما) .

أما بالنسبة للفعل (سَقَطَ) ، فالأمر يختلف كل الاختلاف ، إذ نجده غير متصرف في استعمال بعينه دالاً على الهم والحسرة ، ويؤيد ذلك قوله سبحانه وتعالى " ولما سَقِطَ في أيديهم ورأوا أَنَّهُمْ قد قُلُّوا قَالُوا لَئِنْ كُنَّا لَنَرَحِمَنَّ رَبَّنَا وَيَغْفِرَ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (١) .

فاستعمال هذا الفعل دالاً على الندم والحسرة مقصورٌ على صيغة الماضي الذي لم يُسم فاعله دون إسناد آية ضامراً له فلا يُقال يسقط ولا سقطوا ولا يسقطون

أما بَقِيَّةُ استعمالاته فيكون فيها متصرفاً ومن ذلك قوله تعالى " وهزِّي إليكِ بجذعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا " (٢) و " أَوْ تُسَقِطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كَيْدًا " (٣) و " إِنْ يَرَوْا كَيْدًا مِنْ

(١) الأعراف - ١٤٩ .

(٢) مريم - ٢٥ .

(٣) الأسراء - ٩٢ .

(٤) الشعراء - ١٨٧ .

السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ^(١) .

ومن النحاة من يُجيزُ (أُسْقِطَ في يده) ، إلا أن الجمهور لا يُعتدُّ بها ويرى أن (سَقِطَ) التي استعملها القرآن هي الأجود والأحسن^(٢) .

وقد ذكر هذا الفعل السيوطي وابن مالك ضمن الأفعال غير المتصرفة وأثبتا له هذا التركيب دون غيره^(٣) .

وهذا التركيب لم تعرفه العرب إلا بعد نزول القرآن^(٤) . ويبرهن أبو القاسم الزجاجي على ذلك قائلا " سَقِطَ في أيديهم نظم لم يسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب ، ولم يوجد ذلك في أشعارهم ، والذي يدل على ذلك أن شعراء الإسلام لمَّا سمعوا هذا النظم واستعملوه في كلامهم خفي عليهم وجه الاستعمال ، لأن عاداتهم لم تجر به ، فقال أبو نواس :

(١) الطور - ٤٤ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ١٩٥ . ومعاني القرآن للقرطبي ج ١ ص ٣٩٢ ص ٣٩٣ تحقيق الأستاذين محمد نجاتي ومحمد النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب ٩٨٠ .

(٣) المزهر ٤٥/٢ والهمع ٨٣/٢ والتسهيل ٢٤٦ .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ١٩٢ ، ومجمع الأمثال لأبسي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بابن الأثير ج ١ ص ٣٤٤ . الناشر : عبدالرحمن محمد . ميدان الأزهر بمصر ١٣٥٢ هـ .

وَنَشَوَّةٌ سَقَطَتْ مِنْهَا فِي يَدِي ^(١) .

وأبو نواس هو العالم النحير ، فأخطأ في استعمال هذا اللفظ ، لأن (فَعَلْتُ) لا يُبنى إلّا من فعلٍ يَتَعَدَّى ، لا يُقال رَغِبْتَ ولا يُقال غَضِبْتَ ، وإنما يُقال رَغِبْتَ لِي ، وَغَضِبْتَ عَلَيَّ ^(٢) .

وقد اهتم كثيرٌ من النحاة واللفويين والمفسرين بتأصيل هذا التركيب ، وجميعهم أرجعوه إلى صورة مشخصة ملموسة . قال سليمان الجمل " ... وأصله سقطت أفواههم على أيديهم ، فد (في) بمعنى (على) وذلك من شدة الندم ، فإنّ العادة أنّ الإنسان إذا ندم على شيء عضّ بضمه على أصابعه فسقوط الأفواه على الأيدي لازم للندم ، فأطلق اسمُ اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكناية " ^(٣) .

وقال أبو جعفر الطبري " وأصله الاستشعار ، وذلك أن يضرب الرجلُ الرجلَ أو يصرعه ، فَيَرْمِي به بين يديهِ لِيَأْسِرَهُ ، فيكتفه فَاَلْمَرْمِي به مسقوطٌ في يدي الساقط به ، فقيـل لكل عاجز عن شيء وصارع لعجزه فنستخدم على ما فاتته " ^(٤) .

وقد عقب المحققان على ذلك بقولهما " والذي قاله أبو جعفر تفصيل جيد وبيان عن أصل الحرف قلما يوجد في كتب اللغة " ^(٥) .

(١) أجهدت نفسي في البحث عن البيت بتمامه في ديوان أبي نواس ، فلم أجده ، وربما كنتُ غيرَ موفقٍ في ذلك ، فحسرتُ الروى بحتمل أن يكون الدالّ وغيره ، ومع ذلك فقد بحثت في كل القصائد التي من بحر الرجز ، ثم من الكامل على سبيل الاحتياط، ولا أدري كيف أتى به صاحبُ مجمع الأمثال .

(٢) مجمع الأمثال ج١ ص ٣٤٤ .

(٣) حاشية الجمل ج٢ ص ١٩٢ .

(٤) تفسير الطبري ج١٢ ص ١١٨ و ١١٩ تحقيق محمود أحمد شاكر دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨ .

(٥) تفسير الطبري ج ١٧ ص ١١٩ .

وقال الزمخشري " لَأَنَّ مِنْ شَأْنٍ مِنْ أَشْتَدِّ نَدَمٍ —————
وحسرتَه أَنْ يَغْفُرَ يَدَهُ غَمًّا لَتَصِيرَ يَدُهُ مَسْقُوطًا فِيهَا " ^(١)

ونلاحظ أن القرآن الكريم قد استعمل هذه الجارحة - الـيـدَ -
- في صورتين أخريين ليعبرَ بهما عن الندم والحسرة . ويقول
سبحانه وتعالى : " وَيَوْمَ يَغْضُ الزُّلُمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي سَبَقْتُ
اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا " ^(٢) . ويقول سبحانه : " وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ
فَأَصْبَحَ يَقْلُبُ كُفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ " ^(٣) .

-
- (١) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
لجار الله الزمخشري ج٢ ص ١١٨ . بيروت دون تاريخ .
- (٢) الفرقان آية ٢٧ .
- (٣) الكهف آية ٤٢ .

فم صباحا

(١) ذكر السيوطي هذا الفعل مع ظرف الزمان في همع الهوامع
(٢) على أنه من الأفعال غير المتصرفة ، وكذلك ذكره في المزهـر
(٣) نقلا عن ابن مالك في التسهيل .

وهذه الجملة تحية عند العرب ، يقال عَمَّ صَبَاحاً ، وعَمَّ مَسَاءً
(٤) وعَمَّ ظلاماً ، ولكن (عَمَّ صَبَاحاً) هي التي كُثِرَ ورودها في الشعر:

قال زهير بن أبي سليم :

قَلَمَّا قَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا * * * آلا انْعَمَ صَبَاحاً أَبْهَى الرِّبْعِ وَأَسْلَمَ (٥)

وقال عنتره :

يَا دَارَ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمْسِي * * * وَعَمِي صَبَاحاً دَارَ عِبْلَةَ وَأَسْلَمْسِي (٦)

وأنشد يونس بن حبيب شطراً من الطويل وهو :

(٧) عَمَّا طَلَّتْ جُمْلُ مَلَى النَّأْيِ وَأَسْلَمَسَا

(١) الهمع ٨٣/٢ .

(٢) المزهـر ٤٥/٢ .

(٣) التسهيل ٢٤٧ .

(٤) خزانة الأدب للبغدادني ج١ ص ٦٠ تحقيق عبدالسلام هارون . الهيئة
المصرية للكتاب ١٩٧٩ .

(٥) شرح القصائد السبع الطول لابن الأنباري ص ٢٤٣ تحقيق هارون .
دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .

(٦) الساق ص ٢٤٦ .

(٧) شرح القصائد السبع لابن الأنباري ص ٢٩٦ .

(٨) اللسان مادة وع م ج١ ص ١٢٨ .

أَمَّا عَمَّ ظَلَامًا وَعَمَّ مَسَاءً فَقَدْ قُلَّ وَرَوَّدَهُمَا . قَالَ شَمِيرُ بْنُ

الْحَارِثِ الْمُبَيِّ :

أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنْوُنُ قَالُوا *** سُرَاةُ الْجَنِّ قُلْتُ عُمُوا ظَلَامَسَا^(١)

ويبدو أَنَّ السيوطيَّ وابنَ مالكٍ كليهما قد تابعا الفراءَ ، في عدِّ هذا الفعلِ فعلَ أمرٍ ، لا يأتي منه مضارع ولا ماضٍ . يقول الفراءُ : " قد يتكلمون بالأفعال المستقبلية ولا يتكلمون بالماضي منها ، فمن ذلك قولهم (عَمَّ صباحاً) ولا يقولون (وَعَمَّ) ، ويقولون (دَرَّ ذَا) (وَدَعَهُ) ولا يقولون (وَذَرْتَهُ) ولا (وَدَعْتَهُ) " ^(٢) . ويقول الأصمعيُّ كذلك : " هكذا تنشده عامة العرب وتقدير الفعل الماضي منه وَعَمَّ ، يَعِم ولا ينطق به " ^(٣) .

ويرى أبو عمرو بن العلاء رأياً آخرَ في (وصف صباحا) التي جاءت في بيت عنتره ، يقول " يعى من قولهم : عَمَّتِ السَّمَاءُ تَعِمِي^(٤) ويقول أيضا : " هو كما يَعِمِي المطرُ وَيَعِمِي البحرُ بزبدته ، وأراد كثرة الدعاء لها بالاستسقاء " ^(٥) وقد خطَّأ ابنُ الأنباري أبا عمرو فقال : " وهذا عندنا خطأ ، لأنه لو كان كذلك لكان (اعمى) على مثال (واقضى) ، لأنَّ عَمَّتْ تَعِمِي على مثال قَضَتْ تَقْضِي ، فينبغي أن يكونَ أمرُ المؤنثِ منه (اعمى) على مثال

(١) النوادر في اللغة لابن زيد الانصاري ص ١٢٣ . دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٩٦٧ م .

(٢) شرح القصائد السبع الطول لابن الأنباري ص ٢٤٤ .

(٣) السابق ص ٢٤٤ .

(٤) السابق ص ٢٩٧ .

(٥) اللسان ج ١ ص ١٢٨ وخزانة الادب ج ١ ص ٦٤ .

(اقض) . وكان أصحابنا ينكرون قول أبي عمرو ، ويحتجون بهذا الذي وضعناه ^(١) .

وكذلك خطأ الأزهرى وردَّ عليه بمثل ما ردَّ ابنُ الأنباري ^(٢)
ومِن النحاة مَنْ لا يَعُدُّ (وَعَمْ ، يَعْمُ ، عَم) أصلاً مستقلاً بنفسه
بل إنَّ (يعم) عندهم محذوف من ينعم ، ولذلك أجازوا عَم صباحا
بفتح العين وكسرها ، كما يقال انعم وانعم ، وزعموا أنَّ بعضَ
العرب أنشد : ألا عِمُّ صباحا أيُّها الطلل البالي .

^(٣)
بفتح العين .

ويقولُ الأزهرىُّ معللاً لذلك : " كانه لما كثر هذا الحرفُ في
كلامهم ، حذفوا بعضَ حروفه لمعرفة المخاطب به ، وهذا كقولهم
(لاهم) وتماَم الكلام (اللهم) وكقولك (لَهْنَك) والأصل (الله انك) ^(٤) .

والرأي عندي أن هذا الفعل (عِمُّ) إنما هو الأمر من الماضي
وعم ، والمضارع يَعِمُّ ، قد التبس الأمرُ على أبي عمرو بن العلاء
عندما ظنه من عَمَى يَعِمَى ، مثل قَضَى يَقْضِي على ما بينه ابنُ الأنباري

(١) شرح الفوائد السبع الطوال ص ٢٩٧ .

(٢) اللسان ج ١٦ ص ١٢٨ .

(٣) الخزانة ج ١ ص ٦٠ بتصرف .

(٤) اللسان ج ١٦ ص ١٢٨ . ويلاحظ أنَّ بعضَ النحاة يَرَوْنَ في (لهنك)
إبدالاً وليس اختصاراً ، فالأصل لَهْنَك ثم أبدلت الهمزة هاء ،
وهذا متحققٌ عندهم في قول الشاعر :

لَهْنَك مِنْ عَيْسِيَّةٍ لَوَسِيْمَةٍ * * * على هَنَوَاتٍ كاذِبٍ مَنْ يَقُولُهَا
أي لأنك . وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف ص ١٢٩ ، وشرح
الفوائد السبع الطوال ص ٢٦ و ٢٦٥ .

والأزهري . كما أننا لا نميلُ إلى رأى من يرى أنَّ (يَعْمُ) اختصارٌ
لِـيَنْعَمُ . وقد التبس الأمرُ أيضا على الفراء والأصمعي ، ثم على
ابن مالك والسيوطي من بعدها عندما رأوا أنَّ الأمرَ هو المستعملُ
كما بينا ، أما المضارعُ، فَلَقَمَرِي كيف غاب عنهم قولُ امرئ
القيس :

أَلَا يَمُّ صَبَاحًا أَيُّهَا الظَّلُّ البالي * * * وهل يَعمَنُ من كان في العَصْرِ الخالي
وهل يَعمَنُ إِلَّا سعيدٌ مَخْلَسَدٌ * * * قليلُ الهموم ما يَبِيت بأحوال
وهل يعمن من كان أحدثُ عهدِهِ * * * ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال^(١)

لقد استعمل المضارع (يعم) ثلاث مراتٍ ، لا مرة واحدة
وفي جميعها جاء مقترنا بنون التوكيد الخفيفة لوقوعه بعد طلب
وهو الاستفهام ، كما أن شرح الأستاذين السقا والسندوبي على هذه
الآبيات يدل على أن الفعل (يعمن) مضارع .

أما الماضي فلم نعثر على شواهد لاستعماله ، ولكننا لانستبعد
استعماله حيث إنَّ الأمرَ والمضارعَ مستعملان ، كما أنَّ الأزهري
ذكر عن هونن بن حبيب أنه قال : " وَعَمْتُ الدَّارَ ، إِمُّ وَعَمًّا ؛
أَي قَلْتُ لَهَا انْعَمِي " ^(٢) .

(١) شرح ديوان امرئ القيس . الأستاذ حسن السندوبي ص ١٥٨ التجارية
الكبرى بمصر ١٩٥٢ ، ومختار الشعر الجاهلي ص ٣٤ جمع الأستاذ
مصطفى السقا الحلبي بمصر ١٩٤٨ .

(٢) اللسان مادة وعم ج ١٦ ص ١٢٨ .

ينبغي

ما كان لهذا الفعل أن يأخذ مكانه في بحثي هذا ، فهو فعل متصرف ، لولا ما ذكره السيوطي في الهمع ^(١) وكذلك في المزهـر ^(٢) نقلا عن ابن مالك في التسهيل ^(٣) . وفي كل هذه المواضع نص على أنه فعل غير متصرف لا يأتي منه إلا المضارع ليس غير ، وقيل سيمع الماضي .

أما عن استعمال المضارع ، فهذا مالا شبهة فيه ، بدليل الآيات " وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا " ^(٤) ، و " ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء " ^(٥) و " وما ينبغي لهم وما يستطيعون " ^(٦) و " لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر " ^(٧) و " وما علمناه الشعر وما ينبغي له " ^(٨) و " قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد " ^(٩) .

أما الماضي فقد نص صاحب اللسان وصاحب القاموس وصاحب

الصاح على استعماله :

-
- (١) الهمع ٨٣/٢ .
 - (٢) المزهـر ٤٥/٢ .
 - (٣) التسهيل ص ٢٩٦ .
 - (٤) مريم : ٩٢ .
 - (٥) الفرقان : ١٨ .
 - (٦) الشعراء : ٢١١ .
 - (٧) يس : ٤٠ .
 - (٨) يس : ٦٩ .
 - (٩) ص : ٣٥ .

يقول ابن منظور : " ... هو من أفعال المطاوعة ، تقول
بَفَيْتُهُ فأنبغى ، كما تقول كسرتَه فأنكسر ويقال : انْبَغَى
لفلان أن يفعل كذا ، أي صلح له أن يفعل كذا ، وكان
قال : طَلَبَ فعل ذلك ، فاستَطَلَبَ له أي طأوعه ، ولكنهم اجتزوا
بقولهم : انبغى الشيء : تيسر وتسهل ^(١) .. "

ويقول الفبروز آبادي " انْبَغَى الشيء : تيسر وتسهل
وما انْبَغَى لك أن تفعل وما انْبَغَى وما يَنْبَغِي وما يَنْبَغِي ^(٢) " .

ويقول الجوهري : " وقولهم يَنْبَغِي لك أن تفعل كذا ، هو
من أفعال المطاوعة ، يقال : بَفَيْتُهُ فأنبغى كما تقول كسرتُهُ
فأنكسر ^(٣) .

صحيح أننى لم أعرّ على شاهدٍ لاستعمال (انبغى) ، ولكن
عندما ينص أصحابُ ثلاثةٍ من المعاجم الذين يُوثقُ بهم على أن الماضى
مستعملٌ ، فربما يكون فى هذا شيءٌ من الاطمئنان الذى يبعثه
الشاهد فى النفس .

يُضاف إلى ذلك ما أورده أبو زيد الأنصاري فى نوادره " ما
ينبغى لك أن تفعل كذا وكذا ، وما يُنبغى بضم الباء ، وقس
انبغى له ^(٤) " .

(١) اللسان ج ١٨ ص ٨٠ .

(٢) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٠٥ و ٣٠٦ .

(٣) تاج اللغة وصاحاح العربية ٢٢٨٢/٦ تحقيق أحمد عبد الغفور عطا
دار الكتاب بمصر .

(٤) النوادر ص ٢٣٩ .

فإذا سلمنا بأن المضارع والماضي كليهما مستعملان ، فماذا
عن الأمر ؟ نقول إن القياس لا يمنع من وجود فعل الأمر (انبغ)
كما أن فعل الأمر من (ابتغى) موجود وهو (ابتغى)^(١) ، وكل من
الفعلين مزيد بحرفين الألف والنون ، ثم الألف والفاء إلا أن الفعل
(انبغ) غير مستعمل ، لأن معناه في الأمر بعيد عن أية مناسبة
تستدعي استعماله ، وما كان لإنسان أن يخاطب آخر أو يأمره
بقوله (انبغ) ، وهذا يماثل تماما فعل الأمر (انكسر) .

(١) قال تعالى : " وَلَا تَجْهَرْ بِهَلَاتِكَ وَلَا تُخَالِفْتِ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ
سَبِيلًا " الإسراء - ١١٠ .

أهلم وهما

لقد جُفَعْتُ بين هذين الفعلين لأنهما مشتركان في نِسْبَةِ الاستعمال ، بل نستطيع أن نقول في عدم الاستعمال ، لا سيما في العصر الحديث ، هذه واحدة ، وأخرى أنهما مشتركان في وجود حرف الهاء الذي هو بمثابة تنبيه وإعلام لما سيأتي بعده ، ولا بد أن نتحفظ فنقول إنَّ (ها) اسم فعل بمعنى خذ ، إلا أن لها أشكالا أخرى تُعد فيها فعلا ، وسنأتي إلى تفصيل ذلك .

فأما الفعل الأول (أَهْلُمُّ) فهو جواب من قيل له (هَلُمُّ) ، إذ يرد قائلا (أَهْلُمُّ) أو (لا أَهْلُمُّ) ، تماما كمن يؤمر بفعل الأمر: أقبل ، فيرد قائلا (أقبل) أو (لا أقبل) . جاء في اللسان ، إذا قال هَلُمُّ إِلَيَّ ، قلت : إَلَامَ أَهْلُمُّ ، وإذا قال لك : هَلُمَّ كذا وكذا ، قلت : لا أَهْلُمُّ^(١) "وَمِنْ ثَمَّ فَيَانَ (أَهْلُمُّ) لا يتصرف ، بل هو بساق في زمن المضارع ، ليس ذلك فحسب ، بل المفارع المنسوب إلى المتكلم ، والهمزة في أوله دليل على ذلك ، فلا يقال يَهْلُمُّ أو نَهْلُمُّ كما هو الشأن في يقبل ، ونص السيوطي على أنه لم يستعمل منه الماضى ولا الأمر في أكثر اللغات كما نص أيضا على أنه يجيء بعد الحرفين (لا) و(لم)^(٢) كما ورد في (أَهْلُمُّ) عدة لغات هي :

أَهْلُمُّ أَهْلُمُّ أَهْلُمُّ أَهْلُمُّ^(٣)

(١) اللسان ج ١٦ ص ١٠٢ والصحاح أيضا ج ٥ ص ٢٠٦٠ وشرح المفصل ج ٤ ص ٤١ .

(٢) الهمع ٨٢/٢ .

(٣) اللسان ج ١٦ ص ١٠٢ : الأولى بضم الهمزة وفتح الهاء وكسر اللام وضم الميم مع التشديد . والثانية مثلها إلا أن السسلا مضمومة . الثالثة بضم الهمزة وفتح الهاء واللام وضم الميم مع التشديد . والرابعة بفتح الهمزة والهاء وضم اللام ، وضم الميم مع التشديد

غير أننى لم أعثر على شواهد لاستعمال هذا الفعل ممسا
يجعل هذه الأحكام غير متيقنة ، هذا إلى أن القياس والصنعنة
لا يبيان مجيء الماضي ، فيقال هَلَمَمْتُ كَمَعَرَرْتُ ، وَشَمَلَلْتُ على
وزن فَعَلَلْتُ^(١) .

وقد بينا أن (أَهْلُمُّ) إنما هي جوابٌ مَنْ قيل له (هَلُمُّ) ، فلا
باس إذاً من أن نبين أصلها بشيء من الإيجار ، فأما الكوفيون
فَيَرَوْنَ أن الأصل فيها . هل أم^(٢) . وزاد الرضى تفضيلاً فقال " قال
الكوفيون : أصله هَلَا أُمُّ ، (وَهَلَا) كلمة استعجالٍ كما مر ، فَغُيِّرَ
إلى (هَلْ) لتخفيف التركيب ، وَنُقِلَ ضمةُ الهمزة إلى اللام ، وَحُذِفَت
كما هو فى القياس نحو (قد اطلع) " . ويؤيد نسبة هَذَا^(٣)
الرأي إلى الكوفيين أن الفراء قد أورده فى (معاني القرآن) حيث
يقول " ونرى أن قول العرب (هَلُمَّ إلينا) مثلها - يقصد مثل
اللهم - إنما كانت (هل) فضم إليها (أُم) ، فتركت على نصبها^(٤) " .
وأما البصريون فَيَرَوْنَ أن " أصلها (ها المُمَم) فاجتمع ساكنان :
الألف من (ها) ، واللام من (المم) ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين ،
ونقلت ضمة الميم الأولى إلى اللام ، وَأُدْغِمَتْ إحدى الميمين فى
الأخرى فصارت (هلم) وهذا الرأي نقله ابن يعيش عــــن
الخليل^(٥) وكذلك رواه سيبويه حيث قال " كأنها (لَم) بضم اللام

(١) الخصائص ج١ ص ٣٧٨ .

(٢) الإنصاف ج١ ص ٢١١ .

(٣) شرح كافية ابن الحاجب لرضى الدين الاسترأبادي ج٢ ص ٧٣
بيروت ط ٢ سنة ١٩٨٢ م والآية هى الأولى فى سورة المؤمنين .

(٤) معاني القرآن للقرأء ج١ ص ٢٠٣ تحقيق أحمد يوسف نجاشي
محمد على النجار الميثة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٠ .

(٥) الإنصاف ج١ ص ٢١٤ .

(٦) شرح المفصل ج٤ ص ٤١ .

وفتح الميم وتشديدها ، ثم أدخلت عليها الهاء كما أدخلت على
(١) . (١٥)

وإذا كانت شواهد (أَهْلُم) معدومة فإن شواهد (هلم) كثيرة

يبقى بعد ذلك (هَلَمْ) في لغة بني تميم التي عدها بعض النحاة فعلا غير متصرف يقول السيوطي : " وهلم التميمية لسم يستعمل منها إلا الأمر، أما الحجازية فهي اسم فعل لا تلحقه الضمائر " (٢) فبنو تميم يجرونها كجري الفعل في اتصال ضمائر الرفع بها فيقولون هَلُمَّ ، هَلُمَّوا ، هَلُمَّيْ هَلُمَّنْ ، (٣) إلا أنها وردت في القرآن الكريم على لغة الحجازيين ، قال تعالى : هَلُسْمْ شَهْدَاكُمْ (٤) ولم يقل هلموا ، ولهذا السبب - فيما نظن - من الرضى على أن لغة بني تميم ليست بالفصحى ونحن نأخذ من هذا المجال برأي ابن جنى أن اللغات تختلف ، ولكن كلها حجة وليس لك أن تزعم إحدى اللغتين بصاحبيتها ، لأنها ليست أحق بذلك من رسلتها. وضرب مثلا على ذلك (ما) التي أعملها الحجازيون وبها جاء القرآن ولم يعملها بنو تميم، ورأى أن الاثنين يقبلهم القياس . (٥) غير أننا لا نستطيع أن نقول مع السيوطي أن هَلُسْمْ التميمية فعل (جامد) بل هي باقية على أنها اسم للفعل ويدل ابن

(١) الكتاب ج ٢ ص ٦٧ .

(٢) الهمع ج ٢ ص ٨٢ .

(٣) شرح الكافية ج ٢ ص ٧٣ .

(٤) سورة الانعام اية ١٤٠ .

(٥) شرح الكافية ج ٢ ص ٧٢ .

(٦) السابق ج ٢ ص ٧٣ .

(٧) الخصائص ج ٢ ص ١٠ بتصرف .

يعيش على ذلك قاعلاً : " واعلم أن بنى تميم وإن كانوا يجرونها مجرى الفعل في اتصال الضمائر بها لشدة شبهها بالفعل وإفادتها إفادة الفعل ، فهي عندهم أيضاً اسمٌ للفعل ، وليست مبقاةً على أصلها من الفعلية قبل التركيب والضم ، والذي يدل على ذلك أن بنى تميم يختلفون في آخر الأمر من المضاعف، فمنهم من يُتبع ، فيقول (رُدُّ) بالضم و(رُفِرُّ) بالكسر ، و(عَضَّ) بالفتح ، ومنهم من يكسر على كل حال ، فيقول رُدُّ وفِرُّ وعَضُّ بكسر الأواخر ، ومنهم من يفتح على كل حال ، ثم رأيناهم كلهم مجتمعين على فتح الميم من هلمَّ ليس أحدٌ يكسرها ولا يضمها ، فدل ذلك على أنها خَرَجَتْ عن طريق الفعلية وأُخِلَصَتْ اسماً للفعل نحو دونك ورويدك وعندك " (١) .

وأما (هَأَ) " فهو اسمٌ لخذ، وفيه ثمانى لغات " (٢) أوردها الرضى ، نتخذ منها ثلاث لغات " تكون فيها أفعالا غير متصرفة لا ماضى لها ولا مضارع وليست بأسماء أفعال " (٣) .

فأما الأولى فهو أن تستبدل بالالف همزة ساكنة فتصبح هَأُ وتتصرف تصرف ذر ودع فيقال هَأُ وهَى وهَا وهَتُوا وهَان .

وأما الثانية فهي كالأولى إلا أنها تتصرف تصرف خذ فيقال: هَأُ هَائِي ، هَاءَا ، هَائُوا ، هِيَان .

وأما الثالثة فهي كالأولى أيضاً إلا أنها تتصرف تصرف نساد

(١) شرح المفضل ج٤ ص ٤٢ و ٤٣ .

(٢) شرح الكافية ج٢ ص ٦٩ .

(٣) السابق ج٢ ص ٧٠ .

فيقال هاءٍ وهائى وهائياً وهائوا وهائين^(١) ومن هذه اللفظة قولُ
الشاعر :

وَمُرِيحٍ قَالَ لِي : هَائٍ ! فَقُلْتُ لَهُ * * * حَيَّاكَ رَبِّي لَقَدْ أَحْسَنْتَ بِي هَائِي^(٢)

فالمُؤرَّةُ واحدةٌ إِذَا وَلَكِنَّ الاختلافَ في طريقةِ التصريفِ. ومن
اللفويين من يرى أن هاءٍ بكسر الهمزة تعني هاتٍ ، وبفتحتها (هَاءٌ)
بمعنى خُذَّ^(٣) .

. وكما أَنَّ (أَهْلُمُّ) ردٌّ وجوابٌ عن (هَلُمَّ) ، كذلك (هَاءٌ) لها
جوابٌ وهو (أَهَاءٌ) وهو فعلٌ غيرٌ متصرفٍ لم يأت فيه إِلاَّ المضارعُ
المنسوبُ إلى المتكلم. قال الرضُّ ، " وإذا قيل لك (هَاءٌ) بالفتح
قلت ما أَهَاءُ أي ما آخذُ وما أَهَاءُ على ما لم يسمَّ فاعله أي ما
أَعْطَى " ^(٤) . وقد أورد السيوطي هذا الفعلَ إِلاَّ أَنَّهُ حذفَ الهمزةَ التي
في آخره قال " و(أها) مبني للفاعل بمعنى آخذ ، وللمفعول بمعنى
أَعْطَى ، لَمْ يُسْتَعْمَلْ مِنْهُ غَيْرُ الْمُضَارِعِ " ^(٥) .

ويجدُرُ بنا أنْ نقولَ إِنَّ كُلَّ هذه الصورِ من الفعلين أَهْلَسَمَ
وها قد هجرت الآن، ولم يبق من هذه المادة إِلاَّ (هَلُمَّ) التي قيل
إِنَّ جوابَها أَهْلُمُّ .

(١) السابق ج٢ ص ٦٩ و ٧٠ بتصرف وشرح المفصل ج٤ ص ٤٣ و ٤٤ .

(٢) اللسان مادة ها ج ١٥ ص ٤٨٢ .

(٣) الصحاح ج١ ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٤) شرح الكافية ج٢ ص ٧٠ .

(٥) همع الهوامع ج٢ ص ٨٢ .

هَاتِ وتَعَالَى

وقد جمعنا هذين الفعلين معاً ، لأنهما من أشهر الأفعال غير المتصرفية وأكثرها استعمالاً ، ولأنهما اتّحدَا في صيغة الأمر .

ولعلّ هناك شيئاً من التجاوز في جعلنا الفعل (هَاتِ) فعلاً غير متصرف ، إلاّ أنّ هذا التجاوز ربما كان له ما يبرره ، فقد ذكر صاحب اللسان أنّ (هَاتِ) فعلٌ أمرٌ من هَاتِيْ يَهَاتِيْ مُهَاتَاً بوزن مُفاعلة مثل عَاطَى يُعَاطِيْ (١) ، وتحقيقاً لهذه المشابهة ، فقد وضعه صاحب اللسان في باب الواو والياء فصل الهاء : هتا مثل عطا ، ولم يَعدّ الأصل فيه هيت ، وكذلك فعل صاحب القاموس المحيط (٢) .

وذكر المرحوم الشيخ محمد محيي الدين أنّ (هَاتِي) (بفتح الهاء) على مثال قَاتِيْ يُقَاتِيْ (٣) .

وذكر السيوطي هذا الفعل (هَاتِي) مع الأفعال غير المتصرفية ، إلاّ أنّه قال " وربما قيل هَاتِيْ يَهَاتِيْ " (٤) .

ونصّ ابنُ الأنباري على أنّ المضارع من هذا الفعل كان مستعملًا " فإذا قال رجل لرجل : هَاتِ يَارَجُلْ ، فأراد أن يقول له : لا أفعل ، قال : لا أَهَاتِيْ " (٥) .

(١) اللسان مادة هتا ج ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٢) القاموس المحيط مادة هتا ج ٤ ص ٤٠٥ .

(٣) شرح شذور الذهب هامش ص ٢٩ .

(٤) همع الهوامع ج ١ ص ٨٣ .

(٥) شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٦ .

وهناك شطر من الرجز أنشده ابن منظور وابن يعيش ولسم
أقف على قائله وفيه المضارع : لله ما يعطى وما يهاتى^(١) .

من الواضح إذن أن هذا الفعل متصرف ، ولكن المبرر الذي من
أجله وضعه السيوطي في باب الأفعال غير المتصرفية^(٢) أن كل هذه
التصرفات قد أميتت، ولم يبق إلا الأمر فقط فكانه بذلك
قد نزل منزلة الفعل غير المتصرفي . وقد نص على ذلك ابن منظور
حيث يقول " ولكن العرب قد أماتت كل شيء من فعلها غير الأمر"^(٣) ،
فيقال : هات ، وهاتيا ، وهاتوا وهاتى وهاتيا وهاتين^(٤) .

قال امرؤ القيس :

إذا قلت هاتى نؤلينى تمايلت * * * على هفيم الكشح ربا المخلخل^(٥)

وربما اتعلت به هات المفعول به ، فيقال :

هاتيه ، هاتياه ، وهاتوه ، وهاتيه ، وهاتينه^(٦) .

ولم يأت هذا الفعل في القرآن الكريم إلا في صيغة الأمر
المسند إلى واو الجماعة (هاتوا) كقوله تعالى : " قل هاتوا
برهانكم إن كنتم صادقين "^(٧) .

(١) اللسان مادة هتا ج ٢٠ ص ٢٢٧ وشرح المفصل ج ٤ ص ٣٠ .

(٢) همع الهوامع ج ٢ ص ٨٣ .

(٣) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٤) شرح القصائد للسبع الطوال ص ٥٦ .

(٥) السابق ص ٥٦ . (٦) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٧) البقرة آية ١١١ ، وقد جاء أيضا في الأنبياء - ٢٤ والنمل

- ٦٤ والقصص - ٧٥ .

وينفرد الزمخشري من باقي النحاة بأنه يعدّ هذه الكلمة (هات) اسم فعل وليست فعلاً ، وقد ذكرها في أول مبحث أسماء الأفعال والأصوات وتابعه في ذلك شارح مفصله دون اعتراض عليه . قال الزمخشري " أسماء الأفعال والأصوات ، وهي على ضربين وهات الشيء أي أعطينه " ^(١) . وقال ابن يعيـش شارحاً قول الزمخشري : " ومن ذلك هات الشيء أي أعطينه ، وهو اسم لأعطني وناولني ونحوهما ، وهو مبنى لوقوعه موقع الأمر ، وكُسِرَ لالتقاء الساكنين الألف والتاء وكأنه من لفظ (هَيْتَ) ومعناه " .

وواضح أنّ ابن يعيـش جعل أصل المادة (هَيْتَ) من حيث اللفظ والمعنى لكي يستقيم رأيه أنّ (هات) اسم فعل ، بعكس ما فعل صاحب اللسان والقاموس المحيط اللذان جعلاً أصل المادة (هتا) كما سبق .

وقد ردّ ابن هشام وكذلك الشيخ محمد محيي الدين على قول الزمخشري بأنّ (هات) فعل بدليل اتصال ضماير الرفع البارزة بها ، ثم أنشد ابن هشام بيت امرئ القيس إذا قلت هاتي دليلاً على فعلية (هات) لاتصال ياء المخاطبة به ، أما اسم الفعل فهو كالمثل لا يتغير فتقول له للواحد والاثنين والجماعة ^(٢) .

وربما كانت (الهاء) التي في أول (هات) هي التي أوهمت

(١) شرح المفصل ج٤ ص ٢٥ .

(٢) السابق ج٤ ص ٣٠ .

(٣) شرح شذور الذهب ص ٢٨ و ٢٩ وانظر هامشيتهما .

الزمخشريّ أن الكلمة (هات) اسمُ فعلٍ ، لأنَّ هناك كثيراً من أسماء
الأفعال والأصوات تبدأ بحرف (الهاء) نحو : هَا وَهَيْتَ ، وَهَبْتَ
وَهَلَا وَهَى ... (١)

وقد رأى بعض النحاة - ربما من أجل رفع هذا الوهم - أنَّ
(الهَاء) في (هات) إنما هي مبدلةٌ من الهمزة ، فالأصل آتِيَسِي
يُؤَاتِي (٢) ، ولا يُستبعدُ مثلُ هذا الرأي ، فهناك كثيرٌ من حالات
هذا الإبدال كقول رجلٍ من نُمَيْرٍ غيرٍ معروفٍ :

أَلَا يَا سَنَا بَرَّقَ عَلَى قَلَلِ الْيَحْمَى * * * لَيْهَنَكَ مِنْ بَرَقٍ عَلَى كَرِيمٍ (٣)

أي لأنك :

وكبيت الشعر الذي لم يُعرف قائله :

وَأَتَى مَوَاحِبُهَا فَقُلْنَ : هَذَا الَّذِي * * * مَنَحَ الْمَوَدَّةَ غَيْرِنَا وَجَفَانَا (٤)

أي أذا والهمزة للاستفهام .

(١) انظر مبحث أسماء الأفعال والأصوات في شرح المفصل ج٤ ص ٢٥
والكافية ج٢ ص ٦٥ وشرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ١٩٦
وغيرها من المراجع .

(٢) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧ وشرح المفصل ج٤ ص ٢٠ .

(٣) مفنى اللبيب ص ٢٠٤ .

(٤) السابق ص ٤٥٥ .

وكقول الشاعر :

لَهْنَكِ مِنْ عَيْسِيَّةٍ لَوْ سِيَمَةٌ * عَلَى هَفَوَاتٍ كَاذِبٍ مَنْ يَقُولُهَا^(١)

ويقال : آرَقْتُ الْمَاءَ وهناك من يبدل من الهمزة هاء فيقول
هَرَقْتُ الْمَاءَ^(٢) .

ولا يُستبعد مع هذه الحالات أن يكون آتِي يُؤَاتِي هي الأصل
في هَاتِي يُهَاتِي ، وبذلك ندفع وهم من رأى أن هات اسم فعل .

كان هذا عن فعل الأمر (هات) لماذا عن (تعال) ؟ إنَّ التَّاءَ
في (تعال) زائدةٌ كقولك في الأمر تَعَلَّمْ وَتَمَرَّسْ وَتَفَضَّلْ . وقد ذكر
ابنُ منظور هذا الفعل - تعال - في مادة علا، وذكر من اشتقاقاتها
علا ويعلو وحرف الجر على واستعلى والأعلى ، وَعَالِيَّتُهُ على الحمار
وَعَالِيَّتُهُ عَلِيَّةٌ وناقاةٌ عَلِيَّةٌ وَعَلِيَّانُ أي مرتفعة السير ، وَالْعَلِيَّانُونَ^(٣)
الذين ينزلون أعالي البلاد .. " .

فكل اشتقاقات هذه المادة تدل على العلو والارتفاع ، وَمِنْ
ثُمَّ كَانَ فَعْلُ الْأَمْرِ (تعال) بمعنى ارتفع واسمٌ ، وهو من تَعَالَى
يَتَعَالَى كَتَرَامَى يَتَرَامَى^(٤) ، فهذا هو الأمر ثم الماضي ثم المضارع
فكيف يكون الفعلُ غيرَ متصرفٍ . إنَّ عدمَ التصرف هنا مقترنٌ باستعمال
معين لا يتعداه ، وذلك إذا استعملت (تعال) في النداء بمعنى (أقبل)

(١) الإنصاف ج١ ص ١٢٩ .

(٢) شرح القوائد السبع الطوال ص ٢٦ و ٢٦٥ .

(٣) اللسان مادة علا ج١ ص ٢٢٤ .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص ٢٨٢ .

ففى هذه الحالة يقتصر الاستعمال على الأمر دون غيره ، " فلا تقول
تعاليت ولا ينهى عنه " ^(١) .

وأصل الفعل (تعال) كما يتبين من معناه " طلب الإقبال من
مكان مرتفع تفاؤلاً بذلك وإذناً للمدعو لأنه من العلو والرفعة ، ثم
توسع فيه فاستعمل فى مجرد طلب مجيء ، حتى يقال ذلك لمن تريد
إهانته كقولك للعدو : تعال ، ولمن لا يعقل كالبهاشم ونحوها ، وقيل
هو الدعاء لمكان مرتفع ، ثم توسع فيه حتى استعمل فى طلب الإقبال
الى كل مكان حتى المنخفض " ^(٢) . ولا يُبالون أين يكون المدعو ففى
مكان أعلى من مكان الواعى أو مكان دونه " ^(٣) .

أمّا إذا استعمل فى غير النداء فهو متصرف كأن تقول تعالَى
فلان من المضاعف " أى بعد وارتفع ، وكان يتعالى عليه " أى ينأى
بجانبه ويتكبر . وكما قلنا فى (هات) نقول فى (تعال) " إنها
فعل أمر مريح وليس باسم فعل لاتصال المضاعف المرفوعة البارزة به :
تعالياً وتعالوا وتعالى وتعالىين ، وجاء هذا الفعل مسنداً إلى
الجماعة فى القرآن الكريم سبع مرات ^(٤) كما جاء مسنداً إلى نسوة
النسوة مرة واحدة ^(٥) .

ونظن أن هذين الفعلين فى صيغة الأمر : هات وتعال كثر
استعمالهما الآن ، لا سيما على ألسنة العوام .

(١) اللسان ج ١٩ ص ٣٢٤ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ٢٨٢ .

(٣) اللسان مادة علا ج ١٩ ص ٣٢٤ .

(٤) آل عمران : ٦١ و ٦٤ و ١٦٢ والنساء : ٦١ والمائدة : ١٠٤ ،

الانعام : ١٥١ والمنافقون : ٥ .

(٥) الأحزاب : ٢٨ .

يَهِيْطُ وَيَسْوِي

هذان الفعلان غير مستعملين . فأما الأول فقد أُميت ، وقد ذكره السيوطي في الهمع حيث قال : " ويهيط : يصبح ويضع ، لم يستعمل إلا مضارعاً . يقال : مازال منذ اليوم يهبط هبطاً (١) . وقد ذكره ابن مالك أيضاً في التسهيل (٢) .

وقد اقترن لفظ (الهيْط) بلفظ (النمِط) ، فيقال هيْطٌ وميْطٌ أي صياح وجلبة أو دنو وتباعد . والهايْط الذهاب ، والهايْط الجأى ، (٣)

والذي أظنه أن هذين اللفظين وأشباههما كانا من نطق عوام العرب في عصور قديمة ، يدلُّ على ذلك اختلاف عين الكلمة فيهما وفي أشباههما فيقال " ههايطة ومهايطة ومسايطة " ثمَّ إنَّ النحاة - من بعدُ - قد وضعوا اسمي الفاعل (هايْط ومهايْط) ، والفعل المضارع (يَهِيْطُ) ، فقالوا " مازال منذ اليوم يهِيْطُ أي يصبح " (٤)

ولم أجد فيما اطلعت عليه من مراجع نحوية ولغوية - عدا همع الهوامع وتسهيل الفوائد واللسان - شواهد لاستعمال هـ في الفعل أو اسمي الفاعل ، بل لم أجد ذكرًا للفعل نفسه أو لاسمي الفاعل . وقد نصَّ ابن منظور على أنَّ هذا الفعل قد أُميت (٥) .

(١) همع الهوامع ٨٣/٢ .

(٢) التسهيل ٢٤٧ .

(٣) اللسان مادة هيْط ج ٩ ص ٣٠٢ .

(٤) السابق ٣٠٢/٩ .

(٥) السابق ٣٠٢/٩ .

ولكن الشيء اللافت للنظر هنا أنَّ ابن منظور قد جمع بين (مَهايطة ومَسايط ومَعايط ومَمايط) ، فقال " يقال بينهما مهايطــــة ومسايط ومعايط وممايط ؛ أي بينهما كلامٌ مختلف " فهل هناك علاقة بين هذه الكلمات ؟ أو قل هل هناك علاقة بين مادة هيظ التي نحن بمددها وبين المواد الميظ وعيظ وسيظ ؟

لقد رأينا أنَّ الفعل (يَهيظُ) بمعنى يصيح ، وهو غيــــر متصرف ، فلا يستعمل الماضي هاط ولا الأمر هظ . غير أنَّ اقترانَ (هيظ) بـ (ميظ) في قولهم : " مازال في هيظ وميظ " وفي قول الفراء " تهايط القوم تهايطاً " إذا اجتمعوا وأصلحوا أمرهم ، وتمايطوا إذا تباعدوا ^(١) " يثير في النفس الظنَّ أنَّ (هاظ) كــــان متصرفاً ومستعملاً ، لأنَّ ماظ الذي اقترن به متصرفٌ مستعملٌ . قال الأعشى مستعملاً المضارع والأمر :

فَمِيطِي تَمِيطِي بِمُلْبِ الْفُؤَادِ * * * وَوَصَّالِ حَبْلٍ وَكِنَادِهِ ^(٢)
وقال المثقب العبدى :

ولكنَّها مِمَّا تُمِيطُ مَوَدَّةَ * * * بِشَاشَةِ أَدْنَى خَلَةٍ تَسْتَفِيدُهَا ^(٣)
وماظ وأماظ بمعنى بُعد وتنحى ، ومنه إماطة الأذى عن الطريق ، ^(٤)
وحديثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم " .. فإذا وقعتْ لقمَةُ أحدِكُم فليأخذَهَا ، وليُمِطْ ما كانَ بِهَا من أذى وليأكلْهَا ...
وأما مادة عيظ فلها كثير من الاشتقاقات ، فمنها عَاطَتِ

النَّاقَةُ عَيَّاطًا وَتَعَيَّطَتْ ، واعتاطت أي لم تحمل سنين من غير عقر ،
والأعيطُ العالى ، قال سويدُ بن كاهل اليشكري :

مُفْعِيًا يُرْدِي صَفَاةً لَمْ تَرِمَ * * * فِي ذُرَى أَعْيَظَ وَعَرِ الْمَطْلَعِ ^(٥)

-
- (١) اللسان مادة هيظ ج ٩ ص ٣٠٢ ومادة ميظ ج ٩ ص ٢٨٦ .
(٢) في ديوانه القصيدة الثامنة ، البيت الثالث وعجزه : وصول حــــبــــال
وكنادها .
(٣) المغضليات ص ١٤٩ . (٤) اللسان ج ٩ ص ٢٨٦ .
(٥) صحيح مسلم ج ٦ ص ١١٤ كتاب الأشربة . ط صحيح دون تاريخ .
(٦) المغضليات ص ١٩٩ .

وقال حارث بن حلزة :

قَبَلَ مَا الْيَوْمُ بَيَّفَتْ بَعْيُونَ الـ * * * نَاسٍ لَيْهَا تَعْيِطُ وَإِنْ سَا
(١)
أي ارتفاع وامتناع .

وأما سَاطَ ، فَالْمَوْطُ خُلِطَ الشَّيْءُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَسَاطَ الشَّيْءُ
سَوَاطًا وَسَوَاطَةً (٢) ، خَاضَهُ وَخَالَطَهُ . قَالَ كَعْبُ :

لَكِنَّهَا خَلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ كَرَمِهَا * * * فَجَّ وَوَلَعَ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلٌ (٣)
وَسَمَّى السَّوْطُ سَوَاطًا ، لِأَنَّهُ إِذَا سَيْطَ بِهِ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ خُلِطَ السَّدَمُ
(٤) بِاللَّحْمِ . قَالَ الشَّمَاخُ :

فَصَوَّبَتْهُ كَأَنَّهُ صَوَّبٌ غَيْبِيَّةٍ * * * عَلَى الْأَمْعَزِ الضَّاحِي إِذَا سَيْطَ أَحْضَرًا (٥)
وَقَدْ أوردتُ كُلَّ هَذِهِ النُّصُوصِ لِأُثْبِتَ أَنَّ مَا اقْتَرَنَ بِالْفِعْلِ
(يَهْيِطُ) مُتَصَرِّفٌ مُسْتَعْمَلٌ ، فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَمْنَعُ مِنَ الظَّنِّ أَنَّ (يَهْيِطُ)
نَفْسَهُ كَانَ مُتَصَرِّفًا وَمُسْتَعْمَلًا ، ثُمَّ إِنَّهُ تَلَاشَى تَدْرِيجِيًّا حَتَّى انْقَرَضَ
وَأُمِيتَ .

(١) شرح المعلقة ص ٤٥٨ .

(٢) اللسان ج ٩ ص ١٩٨ .

(٣) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٨ . تحقيق السكري . دار الكتب ،
١٩٥٠ .

(٤) اللسان ج ٩ ص ١٩٨ .

(٥) بحثت في ديوانه ص ٢٦ (بتحقيق الشنقيطي . مطبعة السعادة
١٣٢٧هـ) ، فلم أجد هذا البيت ، ووجدتُ قصيدةً كاملةً من
البحر الطويل عليه وحرف رويه الراء ونفس القافية ، ولكنني
لم أجد هذا البيت منها ، والظاهرُ أَنَّهُ سَقَطَ ، أو أَنَّهُ رَأْسُ
فَيْمٍ أَطْلَعَ عَلَيْهِ ابْنُ مَنْظُورٍ .

وأما الشانئ (يَسْوِي) فقد وضعه السيوطي أيضا في عسداد
الأفعال غير المتصرفية ، حيث لم يُستعمل إلا المضارع ولكن ابن
مالك لم يذكره في التسهيل ^(١) .

وهناك أكثر من نحوي ولفوي أنكروا وجود هذا الفعل ، أو
حكموا بندوته وبأن المستعمل هو سَاوَى يُسَاوِي . قال الفراء : هذا
الشيء لا يساوي كذا . ولم يعرف يَسْوَى كذا ^(٢) وأيدّه في ذلك
الأزهري وقال : " وقول الفراء صحيح " . وقال الليث : " يَسْوَى
نادرة ولا يقال منه سَوَى ولا سَوَى " وقد روى من الشافعي : " وأما
لا يَسْوَى فليس بعربي صحيح " ^(٣) .

ونظن - بعد أن رأينا أن (يَسْوَى) غير مستعملة وبساوي
هي المستعملة - أن (يَسْوَى) معدولة عن يساوي ، إن صح هذا
التعبير ^(٤) وربما كان هذا (العدل) لهجة من اللهجات أو هو
للتخفيف من المد الذي في (يساوي) وأنه كان نطقا نفرا من العرب ثم
انقرض هذا النطق بعد ذلك .

(١) همع الهوامع ٨٣/٢ .

(٢) الصحاح ج ١ ص ٢٤٨٥ .

(٣) اللسان ج ٩ ص ٣٠٢ .

(٤) أخذنا هذا الاصطلاح من قول النحاة في باب الممنوع من
الصرف إنَّ عمرَ معدولٌ عن عامِرٍ وزفرٌ معدولٌ عن زافرٍ .

نَكِيرٌ

ورد هذا الفعل في قول الله سبحانه وتعالى : فَلَمَّا رَأَى
أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ^(١) .

وورد أيضا في قول الأعشى :

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتَ ^{***} مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالْمَلَأَ ^(٢)

وفي قول أبي ذؤيب :

فَنَكِرْتَهُ ، فَتَفَرَّنَ ، وَامْتَرَسَتْ بِهِ ^{***} سَطَعَاءُ هَادِيَّةٌ وَهَادٍ جَرُّشُوعٌ ^(٣)

وفي جميعها استعمل الفعل (نَكِرَ) في زمن الماضي ولم يجس
المضارع بينكر بفتح الياء ، وأقول بالفتح لأن المضارع بهم الياء
جاء كثيرا وهو ماضي أنكَرَ .

وقد جاء في اللسان " أن نَكِرَ لم تستعمل في غابر ولا أمر
ولا نهي " ^(٤) . وقد شككت في معنى غابر : هل هي بمعنى الماضي ؟
فرجعت إلى اللسان أيضا (مادة) غبر فوجدت أن الفعل تَبَرَّ بمعنى
ذهب وبمعنى مكث وبقى ، والغابر الباقى والغابر الماضي وهو من

(١) هود - ٧٠ .

(٢) ديوان الأعشى الكبير . القصيدة الثالثة عشرة . تحقيق د. محمد
محمد حسين بيروت ط ٢ ١٩٦٨ .

(٣) شرح المفغليات ص ٨٦٧ .

(٤) اللسان ج ٧ ص ٩١ .

الأضداد . وقال الأزهري " المعروف الكثير أن الفابر الباقي
قال : وقال غير واحد من الأئمة أن يكون بمعنى الماضي " (١)

وعلى ذلك فإن معنى غابر في قول ابن منظور بمعنى باق
أي مضارع .

وحقيقة الأمر أن نكر وأنكر لغتان، ولكن المضارع يُنكر
(بضم الياء) مستعمل للثنيين ولم يجرء المضارع من (نكر) والذي
يدل على ذلك :

١ - أن الطبري في تفسيره للآية الكريمة " نكرهم وأوجس
منهم خيفة " (٢) قال : " نكرت الشيء وأنكره وأنكرتُـه
وأنكره بمعنى واحد " فجاء بالمضارع يُنكر بضم الياء للماضي
الرباعي وجعه للثلاثي أيضاً ولم يجرء له يُنكر بفتح الياء ، وأنه
عندما تعرض لبيت الأعشى .

وأنكرتنى وما كان الذي نكرت * من الحوادث إلا الشيب والصلحا
قال : " فجمع بين اللغتين " أي أنكرو ونكر (٣)

٢ - كرر القرطبي ما قلناه الطبري وزاد عليه أن نكرت لما تراه
بعينك وأنكرت لما تراه بقلبك (٤)

(١) اللسان ج٦ ص ٣٠٥ .

(٢) هود / ٧٠ .

(٣) تفسير الطبري (جامع البيان ٠٠٠) ج٥ ص ٣٨٨ تحقيق
محمود شاكر دار المعارف ١٩٦٠ .

(٤) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج٩ ص ٦٦ دار الكتب
المصرية ٩٣٩ .

٣ - قال شارح ديوان الأعشى عندما علق على بيته السابق
 " نِكَرَهُ وَأَنكَرَهُ : جهله ولم يعرفه ^(١) " فطف الرباعي على
 الثلاثي مما يدل على أنهما بمعنى واحد .

فإذا عرفنا أَنَّ (نِكر) و(أَنكر) لغتان جاز لنا أَنْ نقولَ أَنَّ
 الثلاثيَّ هو الأصلُ ، وأنه كان لهجةً من اللهجات القديمة ، وكان له
 مضارعٌ (بفتح الياء) ثم تعدى الماضى بالهمزة فأصبح (أَنكسر)
 ومضارعه يُنكر (بضم الياء) ، ثم أصبح هذا الفعل هو المضارع لكل
 من الثلاثي نكر والرباعي أنكر ، وذلك بعد أن هُجر المضارعُ يَنكسر
 (بفتح الياء) ، وصار الاستعمالُ مقصوراً على ماضيه فقط (نِكر) .

(١) شرح ديوان الأعشى القصيدة الثالثة عشرة .

هـ

(١) غنى عن القول أن (هَدَّ) فعل متصرف بمعنى هدم وكسر ، ولكنه فى استعمال خاص دال على المدح لم يجرء هذا التفصيل إلا ماضيا ، وذلك فى مثل " مررت برجلٍ هَدَّكَ من رجُلٍ " (٢) ، أى أشقك وصف محاسنه (٣) وواضح أن هناك علاقة معنوية بين الفعل (هَدَّ) بمعناه العام وبين معناه على المدح " أشقك أو أعجزك وصف محاسنه " وأنشد ابن الأعرابي شطرا من الطويل :
وَلَيْسَ صَاحِبٌ فِي الدَّارِ هَدَّكَ صَاحِبًا (٤) .

فـ (هَدَّكَ صَاحِبًا) و (هَدَّكَ مِنْ صَاحِبٍ) لا فرق بينهما إلا فى الحرف (من) وهو حرف جر زائد .

على أن هناك استعمالاً آخر لهذا الفعل ، وفيه يكون أيضا غير متصرف وذلك عند دخول لام التوكيد عليه ، فيقال : لَهَدَّ الرجلُ (٥) . أى ما أجلده وما أشده ، تماما كما يقال " لنعم الرجل " ، ومنه قول أبى لهب " لَهَدَّ ما سَحَرَكُمُ صَاحِبُكُمْ " (٦) ويكون الاستعمال هنا للتعجب وليس للمدح .

وفى (هَدَّكَ مِنْ رَجُلٍ) لغتان فمنهم من يُجْرِيه مُجْرَى الْمَصْدَرِ فلا يثني ولا يثني ولا يجمعه ، ومنهم من يثني ويثني ويجمع فيقول : هَدَّكَ وَهَدُّوكَ وَهَدَّتَكَ وَهَدَّتَاكَ وَهَدَّدَكَ (٧) .

-
- (١) القاموس المحيط ج١ ص ٣٦١ . (٤) السابق ج٤ ص ٤٤٤ .
(٢) الهمع ٨٢/٢ . (٥) القاموس ج١ ص ٣٦١ .
(٣) اللسان ج٤ ص ٤٤٤ . (٦) النهاية فى غريب الحديث ج٤ ص ٢٥٧ .
(٧) اللسان ج٤ ص ٤٤٤ .

نتائج البحث

وبعد ...

فَلَعَلِّي أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ الْأَفْعَالَ غَيْرَ الْمُتَصَرِّفَةِ وَشِبْهَ الْمُتَصَرِّفَةِ ،
وتناولها بالدرس والتحليل والتمحيص والتأصيل ، وبَيَّنَّ
استعمالاتها المختلفة ورصد التطور في هذه الاستعمالات ، واجتهد
في بيان أسباب عدم تصرفها ، وهي أسباب تُمُتْ بِمِلَّةٍ لِبَنِيَّةٍ بَعْضُ
هذه الأفعال أو لأحكام استعمال بعضها ، أو لَأَنَّ بَعْضَهَا قَدْ أُمِيتَ
وَحَلَّتْ مَحَلَّهَا أَفْعَالٌ أُخْرَى .

ولم أرتفِ في بداية البحث التسمية الشائعة لهذه الأفعال
وهي (الجامدة وشبه الجامدة) ورأيت أن التسمية اللائقة بهما
هي الأفعالُ غيرُ المتصرفِ وشبهُ المتصرفِ ، ذلك أن الجامدَ هو ما لم
يؤخذَ من غيره ، وهذه الأفعالُ قد أُخِذَتْ مِنْ غَيْرِهَا ، فكيف تكون
جامدة ؟ ثم إنَّ الجامدَ عكسُ المشتق والاشنان قسمان للاسم ،
أما التصرف وعدم التصرف فهما قسمان للفعل ، اضطلع على ذلك
جمهورُ النحاة ، إِلَّا أَنَّهُمْ عِنْدَمَا جَاءُوا إِلَى الْأَفْعَالِ مَوْضِعَ بَحْثِنَا
أَطْلَقُوا عَلَيْهَا الْأَفْعَالَ الْجَامِدَةَ وَهَذَا كَبَسٌ وَقَعُوا فِيهِ ، وَرَبَّمَا كَانُوا
يَقْصِدُونَ بِالْجَامِدِ عَكْسَ الْمُتَصَرِّفِ ، وَلَيْسَ عَكْسُ الْمُشْتَقِّ .

هذه الأفعالُ إِذَا لَيْسَتْ جَامِدَةً ، بَلْ إِنَّهَا اشْتُقَّتْ أَوْ أُخِذَتْ مِنْ
غَيْرِهَا ، مِنْ أَجْلِ هَذَا بَحَثْنَا فِي الْأَشْتِقَاقِ فَوَجَدْنَاهُ نَوْعَيْنِ :

(أ) الاشتقاق بمعناه العام Derivation ، كأن تشتقُّ من الكلمة اسمَ فاعلٍ أو اسمَ مفعولٍ أو صفةً مشبهةً أو ... وهذا هو الاشتقاق المتعارفُ عليه مدرسياً ..

(ب) الاشتقاق التاريخي Etymology ، وهو تتبع التاريخي لمعاني المشتقات من الكلمة الواحدة ، أو إرجاعُ معنى من المعاني إلى اشتقاقه من كلمة ما لعلاقة دلالية قديمة تجمع بينهما ، وقد ذَكَرَ السيوطيُّ في مُزهره ، وياقوت في معجم البلدان ، وفندريس في كتابه (اللغة) أمثلةً كثيرةً لهذا النوع من الاشتقاق ، فـ (مِنْ) مثلاً سُميت بهذا الاسم لما يُمنى فيها من الدماء . والسُّنْدُ بلادٌ بين الهند وكرمان وسجستان ، قالوا السند والهند كانا أخوين مِنْ وَلَدِ بوفيرَ بنِ يَقْطَنَ بنِ حَامِ بنِ نوحٍ ، يقالُ للواحد من أهلها سندي والجمع سنسد ، وماريشال إنما كان اشتقاقها من خادم الاصطبل في الألمانية القديمة ... إلى آخر ما جاء في هذه الكتب الثلاثة .

ولم يكن ذكرُ الاشتقاق التاريخي عبثاً أو إطالةً للبحث ، ذلك أننا اعتمدنا عليه في تأصيل أغلب الأفعال موضوع بحثنا ، بالرجوع تاريخياً إلى أصل المادة التي اشتقَّ منها الفعلُ وبيانِ العلاقة الدلالية بين أصل المادة والفعل ، وربما استعنا في ذلك أيضاً بالمقارنة اللغوية .

فالفعل غير المتمرف (لَيْسَ) مثلاً نراه مكوناً من لا النافية والفعل آيس بمعنى يوجد أو يكون ، بدليل قولهم لَا يَعْرِفُ آيَسَ مِينْ

كَيْسَ ، أي لا يعرفُ ما يكون مما لا يكون ، والخليلُ يرى الأصلَ فيها لا آيس ثم طرحت الهمزة والزقت اللام بالياء ، وهي في العبرية تتقارب في نطقها مع العربية بعد ابدال السين شيئا .

والفعل (نَعَمَ) يَرْجِعُ إلى مادته الثلاثية (ن ع م) التي تُدُلُّ على الترف وسعة العيش وبحبوحته والرخاء . وكلُّها معانٍ تدعو إلى المدح الذي يدل عليه الفعلُ غيرُ المتصرف (نعم) والذي وجد بعد وجود هذه المعاني .

وكذلك الحال في نقيضه (بُئِسَ) فستجدُ فكرة الاشتقاق التاريخي متحققةً أيضا ، فالمادة الثلاثية تشير إلى الضنك والضييق والبؤس ، فيُرجَّح أنها في زمن ما قد استعملت في معنى متقارب لهذه المعاني وهي الذم ، ثم استمر هذا المعنى مستعملا إلى الآن .

وحبذا مكونة من حبٍّ واسم الإشارة ذا ، وواضحٌ أن معنى المدح قريبٌ من (حب) بل ملتصقٌ بها ، فالإنسان لا يمدح إلا ما يجبُّ

والفعل (لا يكون) انتزع من استعماله كفعل ناقص ، ووضع في أساليب الاستثناء على حالته تلك دون أن يتعداها إلى صيغة أخرى (كالماضي مثلا ...) ، ويدل على هذا (الانتزاع) أنه محدود الاستعمال ، إن لم يكن نادراً ، في أسلوب الاستثناء ، وهذا لم يتم في فترة محدودة ، بل هو نتيجة للتطور في الاستعمال وهكذا نجد أن فكرة الاشتقاق التاريخي متحققة في معظم هذه الأفعال .

والأفعال غير المتصرفة وشبه المتصرفة من (كان وأخوتها) هي:

لا يكون وليس ودام وزال وفتى ، وبرح وانلك .

فأما (لا يكون) فهو غير متصرف في حالة خاصة به ، وذلك عندما يكون فعلاً من أفعال الاستثناء ، ولا يوجد شاهد على ذلك ، وكذلك الحال بالنسبة للفعل (ليس) ، فلم أرَ شاهداً على استعماله كفعل من أفعال الاستثناء ، إلا قول رؤية :

عَدَدَتْ قَوْمِي كَعَدِيدِ الطَّيْثِيسِ * * * إِذَا فَهَبَ الْكِرَامُ لَيْسَ
وحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " يُطَبِّعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خُلُقٍ
لَيْسَ الْخِيَانَةَ وَالْكَذْبَ " وقوله : " لَيْسَ أبا الدرداء " وقصد
بحث عن الحديث الأول في صحيح مسلم فلم أجده ، ووجدته في إحياء
علوم الدين بنمي آخر ، لم يستعمل فيه (ليس) ، والثاني قال عنه
محقق المغني إنه لم يجدّه في كتب المحاح ، وورد في معظم تراجم
سيبويه . وهذا يدل على أن هذين الفعلين قد وُضعا أصلاً للنسخ
وليس للاستثناء ، ويدل على ذلك أيضاً أن إعرابهما واحد في
الاستثناء والنسخ . وربما كان استعمالهما في أسلوب الاستثناء
راجعاً إلى أن معنييهما واحد ، وهو عدم الوقوع ونفي الكـ
المطلق ، وهو ما سَوَّغ للنحاة أن يقولوا بأنهما جاءا في بعض
الأساليب للاستثناء .

واختلاف النحاة في حرفية (ليس) أو فعليتها راجع إلى الأصل
الذي تتكون منه ، فهي مكونة - كما بينت - من الحرف لا والفعل
أي ، لذلك غلبَ بعضُ النحاة الحرفية عليها ، وغلبَ بعضهم الفعلية ،
وكان لكل فريق شواهد من الاستعمال يؤيد بها رأيه ، والحقيقة
أن الإنسان لا يستطيع أن يضع تعريفاً جامعاً مانعاً لكل ألفاظ اللغة ،
بحيث يرفع كل لفظ تحت عنوان محدد : اسم أو فعل أو حرف ،
ذلك أن الحدود اللغوية إنما وُضعت بوجه عام ، ولم تحسب ورود

كلمة مثل (ليس) فيها قَدْرٌ من خصائص الحروف وقدرٌ من خصائص الأفعال، ومن غير الممكن أن نضع تعريفاً جامعاً لها ولأمثالها، مانعاً غيرها من الدخول في هذا التعريف. وذلك لأن (ليس) ليست أصلاً في ذاتها .

والفعل (دام) متصرف، وله كثيرٌ من الاشتقاقات وذلك في كل معانيه ، إلا حيث يكون فعلاً ناقصاً من أخوات (كان) ، فإنه حينئذ لا يجيء إلا في زمن الصافي ، ولا يحاوزه إلى المضارع أو الأمر أو اسم الفاعل ، وما كان ذاك إلا لسبقه بـ (ما) المصدرية الظرفية التي لا تدخل في الأغلب الأعم إلا على الفعل الماضي ناقصاً كان أم تاماً ، وربما تدخل - في بعض الأحيان - على المضارع ، شريطة أن يكون مسبقاً بـ (لم) ، وغير بعيد عنا قول النحاة " لم حرف نفى وجزم وقلب " فالمضارع في تلك الحالة إنما هو ماضٍ في زمانه .

على أن الصبان لم يفرق بين استعمال (دام) الناقصة في الماضي وبينها في المضارع (يدوم) أو في المصدر (دوام) ولكنه لم يأت بشاهد على ذلك .

يبقى بعد ذلك من أخوات كان : زال وانفك وفتى وبرج وهي شبه متصرفية ؛ أي أن تصرفها غير كامل ، فلم يُستعمل منها الأمر أو المصدر ، وجميعها تعطى معنى واحداً وهو الزوال والذهاب والتلاشي والانقضاء ، فكاننا عندما ندخل عليها حرف النفي (ما) تطبق القاعدة التي تقول : " نفى النفي إثبات " ، ومن ثم فهي تدل

على الاستمرار . أما عن عدم مجيء الأمر أو المصدر من هذه الأفعال فامرٌ يرجع إلى طبيعة استعمالها ، إذ لا بد أن يكون قبلها نفياً، ومعلوم أن (لا) النافية لا تدخل على فعل الأمر، إذ إنه حينئذ يصبح فعلاً مضارعاً مجزوماً بـ (لا) التي أصبحت ناهية نحو : العبي ولا تعلبوا ، وكذلك الحال في تلك الأفعال ، فالامرُ من زال : زال ، فإذا أدخلنا (لا) قبل الأمر صارت بمشابهة نهي ، وصار الفعل بعدها مضارعاً مجزوماً بها كقول الشاعر :

صَاحَ شَمْرٌ وَلَا تَزَلْ دَاكِرُ الْقَوْمِ * * * تَفَنِّسِيَانَهُ ضَلَالٌ مُبِينٌ

أو بقيت نافية والفعل بعدها يكون مضارعاً مرفوعاً كقول الشاعر :

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا * * * وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسَ كَدِّكَ وَأَوْصَالِي

أي : لا أبرح .

هذا عن (لا) . أما (ما) النافية ، فهي لا تدخل على الأمر بوجه عام . ولما كان المضارع يفارع اسم الفاعل جاز استعمال اسم الفاعل من هذه الأفعال . هذا عن الأمر، أما عن المصدر فإن استعماله ناقص ، أي عاملاً عمل (كان) ، أمرٌ لم يجز استعمالُ به ، لأن التركيب حينئذ لا يسمح بذلك والمعنى لا يتأتى . ويتضح ذلك في قولنا " لا زوال لجرى محمد " إذا استبدلناها بـ " لا يزال محمد جارياً " أو " مازال محمد جارياً " فاستعمال المصدر في الجملة الأولى بعد المعنى ، وجعله غريباً غير سائغ ، هذا بالإضافة إلى استعمال حرف الجر (اللام) في (لجرى) الذي نقض عمل (زال) ،

وأصبحت الجملة مثالا على (لا)، النافية للجنس أكثر من كونها —
شاهداً على (زال) الناقصة .

ومن الأفعال موضع بحثنا أفعال المقاربة : كاد وكسرب
وأوشك فهي شبه متصرفة . فاما (كاد) فيأتى منها الماضى
والمضارع ، والاشنان متقاربان فى الاستعمال ، أما اسمُ الفاعل
فلم نره مستعملاً إلا فى بيت كثير عزة :-

أَمُوتُ أَسَى يَوْمَ الرَّجَامِ، وَإِنِّى * * * يَفِينَا لَرَهْنُ بِالَّذِي أَنَا كَارِدُ

ومع ذلك فإن هناك رواية أخرى لهذا البيت تنتهى بـ(كابد)

ولقد رأينا أن نغى (كاد) نغى ، وإثباتها إثبات بعكس
ما يرى بعض النحويين . وهناك لهجات فى (كاد) فقد ذكر سيبويه
(كيد) بكسر الكاف كما هى مكسورة فى (كدت) ، وأورد ابن منظور
لغة لبنى عدى فهم يقولون : كُدت بهم الكاف .

وأما كَرَبَ فتأتى فى الماضى ليس غير ، وهى قليلة الاستعمال ،
أما الشائع فهما الفعلان كاد يكاد، ويوشك .

ومادة (كَرَبَ) فى الأصل تدل على الضيق والغم والحزن
فما العلاقة بينها وبين (كرب) بمعنى قَرُبَ ؟ ان العلاقة تكمن فى
اللفظ وليس فى المعنى فكلمة (قرب) هى نفسها كلمة (كرب) بعد
إبدال القاف كافاً ، ثم إِنَّ القاف والكاف - موضع الاختلاف - من

مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين على ما بيننا في البحث ،
وعلى ذلك فنظن أنّ الأصل هو (قَرَبَ) المتصرف، ثم إنّه لنطق معين
فردى أو لجماعة ، خَلَفُوا القاف فصارت كافاً، ويدلُّ على ذلك أيضاً
أن صاحب المخصص ذكر تحت عنوان (القرب) الفعلين قرب وكرب ولم
يفرق بينهما .

وأفعال الشروع : شَرَعَ وَأَنْشَأَ وَطَلَّقَ وَأَخَذَ وَعَلَّقَ وَهَبَ وَجَعَلَ
وَهَلَّلَ . ومن النحاة من زاد عليها قام وقعد ، وجميعها غير
متصرفة ، فهي ملازمة لصورة الماضي وذلك إذا استعملناها للشروع ،
أما إذا استعملت لغير الشروع فهي متصرفة . ولما كان لهذه
الأفعال معانٍ متعددة عندما تستعمل لغير الشروع، فقد رأينا أنّها
استعملت للشروع نقلاً وليس ارتجالاً ، وقد بحث في نفس الاطمئنان
إلى هذا الرأي أنّ فكرة النقل والارتجال متحققة في ظاهرتين
لغويتين : العَلَمُ وأسماء الأفعال ، هذه واحدة، وأخرى أنّ شواهد
استعمال هذه الأفعال للشروع قليلة، بل نستطيع أن نقول إنّ
نادر ، وينعدم بالنسبة إلى بعضها في حين أنّ استعمالها لغير
الشروع له شواهد كثيرة بيننا في موضعها ، كلّ هذا يقوي الظنّ
أنّ استعمالها للشروع كان نقلاً وليس أصلاً ، ثم إنّها عندما
استعملت للشروع لزمّت صيغة واحدة لا تتعداها ، بعد أن كانت
متصرفة في الأفعال الأخرى . وقد بينّا كلّ ذلك بالشواهد ،
ورأينا أنّ الفعل (عَلَّقَ) مثلاً قد شغل من لسان العرب ما يزيد على
أربع صفحات تشمل استعمالاته المختلفة وشواهد هذه الاستعمالات في

غير الشروع ، أمّا استعماله للشروع فلا شاهد له ، إلّا البيت الذي أنشده
الاشموني وهو غير معروف القائل :

أَرَاكَ عَلِيقَتْ تَظْلِمٌ مَنْ أَجَرَنَسَا * * * وَظَلَمُ الْجَارِ إِذْ لَالُ الْمُجِيرِ

وهذه الأفعال وإن كانت منقولة وليست مرتجلة ، فإنّ هناك
مبرراً لهذا النقل وهو أن من معانيها ما يُتلمّس فيه البدايسية
أو الشروع ، وقد بينّا ذلك في موضعه ، ويبدو أنّ الفعل (ظَلِمَ) (طَفِيقَ)
دون غيره من أفعال الشروع ، استعمل للشروع ارتجالاً وليس نقلاً ،
لأنّ المعنى الغالب عليه في المعاجم هو معنى الفعل لزم الذي يُعطى
معنى الشروع أيضاً .

وعسى وحرى واخلولق أفعال للرجاء غير متصرفة . فأمّا
عسى فمعناها في غير الرجاء كما في اللسان : عَسَا الشَّيْخُ يَعْسُو ، أي
كَبُرَ ، وعسى النبات أي غُلِظَ وَيَبَسَ وعسى الليل اشتدت ظلمته ، ولكسى
نوثق العلاقة بين معنى الشروع وتلك المعاني رأينا لذلك
احتمالين :

الاول : أن نتلمّس هذه العلاقة بشيء من التلطف وحسن
الصنعة ، وذلك أن عسا الشيخ بمعنى كبير ، أي بلغ النهاية أو قاربها
وعسى النبات أي غُلِظَ وَيَبَسَ أي بلغ النهاية أيضاً أو قاربها ،
وبالنسبة لليل ، أي اشتدت ظلمته أي بلغت الذروة بعد انتهاء النهار
فهل تعنى (عسا) أو (عسى) بذلك بلوغ الغاية أو قاربها ؟ ويكسبون
في ذلك شبهة بالرجاء ، فهو أيضاً يدل على بلوغ الغاية أو مقاربة
بلوغها . لو أننا نملك من أدوات البحث ما يمكننا من معرفة
الاستعمالات المختلفة لهذا الفعل وتطورها وترتيبها التاريخي -
أقول لو أننا نملك ذلك - لقطعنا بصحة هذا الاحتمال ، ولقلنا
إنّ هذه الاستعمالات تعزو إلى الاشتقاق التاريخي لهذه الكلمة من
حيث المعنى .

الثانى : أن تكون (عَسَا) أو (عَسَى) اختصاراً لكلمة أكبر كانت تُستعمل لتلك المعانى جميعاً ومنها الرجاء ، ثم اختزلت أو اختصرت حتى صارت على صورتها هذه ، يؤيد ذلك أبهاك بعضي اللغويين الذين يَرَوْنَ أَنَّ التطور فى بنية الكلمة كان نحو الاختزال والاختصار لا نحو التكثير أو التثخم ، مثال ذلك أَنَّ (سوف) يقال فيها (سف) و (س) و (سو) ، ويقال فى (كيف) (كي) . يضاف إلى ذلك أَنَّ هناك ألفاظاً مشتقة من هذا الفعل تبدل على الرجاء ، وذلك نحو (المُعَسِّية) كمُحَسَّنة ، وهى الناقة يشك أنها كَيْنٌ أَوْ لَا و (المُعَسَّاة) الجارية المراهقة التى يظن من رآها أنها توفضات ، فالناقة يُرجى لبنها والفتاة يُرجى طهرها . والحاجزيون يلزمون عسى الأفراد والتذكير ، أمّا بنو تميم فيطابقون بينها وبين الاسم قبلها : زيد عسى . الفتاة عست - الفتيان عسين . . . ونظنَّ أَنَّ لغة بنى تميم هى الأقدم ، فإسنادُ الفعل إلى ضمير يَرْجِعُ إلى المسند إليه أمرٌ منطقي ويتمشى مع استعمال الأفعال الأخرى نحو الزيدان ضربا والهندات ضربن ، إلّا أَنَّ عدم تصرف هذا الفعل ولزومه صيغة واحدة وهى صيغة الماضي قد جعله عند تطور الاستعمال بعد ذلك يتخلص من تلك الضمائر وكأنه قد شبت على صورة واحدة - وهى عسى - لا يتعداها . وقد بيننا بعد ذلك الاستعمالات المختلفة لعسى من حيث كونها فعلاً أو حرفاً .

والفعل (اخلولق) نادرُ الاستعمال إنْ كَمْ يكن غير مستعمل إطلاقاً ، وظننّى أَنَّهُ مصنوع ، فقد صاغه النحاة من (أَخْلَقَ) علسى وزن المفعول ، كاعشب واعشوب ، وهذه الطريقة ذكرها ابنُ

جنى وغيره كثيرا ، فقال : كيف تبني من كذا على وزن كذا؟
 وبقوى ذلك أن المثال الوحيد لهذا الفعل في كتب النحو اُخْلُوْلَقَسْتُ
 السماء أن تُمَطَّرَ) . ويبدو أن هذا المثال له علاقةً بالمثال السذي
 ورد في لسان العرب (اخلولق السحاب) ، أي استوى وارتقت جوانبه
 وصار خليقا بالمطر ، وربما كان هذا المثال مفسرا لاستعماله عند
 النحاة - وليس عند عامة العرب - كفعل من أفعال الرجاء ؛ ذلك
 أن (اخلولق السحاب) يدلُّ على أن المطرَ آتٍ ، والماء - كما هو
 معلوم - مَعْقِدُ الرجاء عند العرب ومبَعَثُ الأمل فيهم .

والفعل (حَرَى) غيرُ مستعمل أيضا ، وربما كان من الاسـم
 (حَرَى) الذي يستعمل معه أيضا (أحرى) بمعنى (أخلق) ونظـر
 أن (حَرَى) استعمل في فترة لغوية محدودة ، وبقي على حالته تلك
 لا يتصرف ثم أميت ولم يرد ذكرُ (حري) و (اخلولق) في القرآن .

ومن الأفعال غير المتصرفة (تَعَلَّمَ) بمعنى (اعلم) و (هَبَّ)
 بمعنى (ظن) وهما من أفعال القلوب نسبة إلى القلب موطن الفهم
 والمعاني العقلية عند العرب .

فأما الفعل الأول وهو (تَعَلَّمَ) ، فإنه غير متصرف ويبقى في
 صيغة الأمر بشرط أن يكون معناه (اعْلَمْ) . والفرق بين تَعَلَّمَ وَاَعْلَمَ
 أن الأول بمعنى تكلف العلم ، والفعلان يدخلان في دائرة الأمر
 العقلية التي موطنها القلب عندهم . ويبدو أن بعض القبائل العربية
 كانت تستعمل فعل الأمر تَعَلَّمَ مكان اَعْلَمْ ، ولا يزال السعوديون

العين ، فإنَّ هذه الصيغة لا تتصرف دليلاً على أنها منقولة نحو
قَضُو الرجلُ وعُلِمَ (بضم الضاد واللام) بمعنى ما أَقْضَاهُ وما أَعْلَمَهُ .
وهذا المعنى يوضح لنا أن من النحاة من الحقَّ هذا الصيغة سمعية
التعجب (ما أفعله) ، ولم يرتضِ إلحاقها بالمدح والذم ، ولا فسرق
عندي فهي تفيد المدح والتعجب منه ، أو الذم والتعجب منه —
الوقت نفسه .

الثاني : سَاءَ وهو فعلٌ يبقى في حالة الماضي إذا كان للذم ،
ويتصرف في غير ذلك ، ويُشَبِّهُ في ذلك (لا يكون) فهو لا يتصرف في
الاستثناء ، ويتصرف في غير ذلك وقد جاء الفعلُ (سَاءَ) غيـرُ
المتصرف في القرآن كثيرًا ، وقد ساوى القرطبي بين (سَاءَ) و
(بئس) في تفسيره للآية "فساء قرينا" ، وهذه الآية تدل على
أنَّ (سَاءَ) غيرُ متصرف ، وذلك لسبب بسيط وهو اقترانه بالفاء ،
فالفاء — كما هو معروف — تفتن — ضمن ما تفتن — بجسواب
الشرط إن كان ماضيًا غير متصرف .

وصيغتا التعجب القياسيتان في العربية (ما أفعله) و(أفعلُ
به) وهما فعلا غير متصرفين ، لأنَّ التعجب قد لزم هاتين الصيغتين
ولم يتعداها إلى صيغ قياسية أخرى . وهاتان الصيغتان من أقدم
صيغ العربية وتمثلان اللبنة الأولى في بناء النحو بدليل ورودها
في حوار أبي الأسود الدؤلي مع ابنته "ما أحسن السماء" وما
أشد الحر " حيث أخطأت الابنة ونطقت الجملتين برفع النون والبدال

وأختلفت النحاة في (ما أفعله) : هل هي اسمٌ أو فعلٌ ،
وإختلافهم لغير منهجي ، فقد جمعت خصائص من الاسم وخصائص
من الفعل ، وكان الدكتور تمام حسان على حق حينما عدها قسمًا

خاصاً من أقسام الكلام أسماء (الخالفة) . ولم نرتض تأصيل النحاة لمصيغة (أفعل به) ، لأنّه تأصيل لا أصل له في اللغة وليس مطابقاً لواقع الاستعمال اللغوي . ولقد وضع النحاة شروطاً للفعل الذي يصاغ على (ما أفعله) أو (أفعل به) وهو شروطٌ مبنيةٌ على استقراء ورود هاتين الصيغتين في كلام العرب ، وقد عللنا لوجود هذه الشروط تعليلاً لغوياً يمسُّ واقعَ الاستعمال، ويبعدُ عن الفلسفة والمنطق ، وقد نقلنا في تعليلنا لهذه الشروط بعضَ أقوالهم فسي ذلك .

وببقى بعد ذلك بابُ الاستثناء ، وفيه أفعالٌ غيرُ متصرفة وهي ليس ولا يكون . وقد تناولناها في أول هذا البحث في باب كان وأخواتها - وعدا وحاشا . وهذه الأفعالُ لها معانٍ كثيرةٌ ، وبعضُ المعاني له صلة بالاستثناء فهي تدلُّ - فيما تدلُّ - على المجاوزة أو البعد أو الترك ، وهو ما يتفق مع معنى الاستثناء ، وهي في ذلك غيرُ متصرفة لخصوصيتها بمعنى واحد وهو الاستثناء .

على أن هناك أفعالاً أخرى غيرَ متصرفةٍ أو شبه متصرفةٍ لا تندرجُ تحت باب من أبواب النحو :

من هذه الأفعالُ الفعلان وَدَرَ وَودَعَ ، فالمستعملُ منها الأمر والمضارع ، أما الماضي فلم يستعمل ، فهما شبه متصرفين من ناحية الاستعمال ليس غير ، إذ إنَّ القياسَ لا يبايى مجيء الماضي أيضاً كما هو الحال في وَزَنَ يَزِنُ وَزَنًا ، إلّا أن الاستعمال هجرَ الماضي

منهما واستعاض عنه بـ (ترك) . وباستقراء النصوص التي ورد فيها الماضي (ودع) والمصدر (ودعا) تبين لنا أنهما لم يكونا مهجورين في فترة نزول القرآن ، وعلى حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) واستمر استعمالهما حتى السنين الأولى من النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ، وبعد ذلك هجر استعمالهما ولم يبق مستعملاً إلا المضارع والأمر .

ومنها (كَذَبَ عَلَيْكَ) وهو أسلوب خاص في الإعراب يكون فيه الفعل (كَذَبَ) غير متصرف ، وقد هجر الآن ولم يعد مستعملاً، وجميع شواهد لم يتعد زمانها زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين من بعده . وربما كان هذا الأسلوب (كَذَبَ عَلَيْكَ) مستغرباً اليوم، ولكنه لم يكن كذلك حين استعمل ، وربما كان مشابهاً للتعبير الذي يستعمله عوامنا اليوم (عليك الحرام أن تفعل كذا) أي يحل الحرام إن ... ، كما أن (كذب عليك) معناها : يحل بك الكذب . وواضح أن بين الكذب والحرام علاقة وثيقة .

ومنها الفعل (تبارك) ، ومادته بَرَكَ يأتي منها معان كثيرة ولكن الفعل (تبارك) غير متصرف ، فلا يأتي منه مضارع ولا أمر ولا اسم فاعل .. وقد جاء في القرآن الكريم مقصوراً إسناده إلى الله ليس غير ، وربما كان هذا هو سبب عدم تصرفه للإشعار بأن التمجيد والرفعة إنما هي لله دون غيره ، ولإشعار أيضا بأن هذا الفعل - وإن كان قد توقف عند صيغة الماضي - يدل على الحال والاستقبال أيضا ، مثله في ذلك مثل الفعل (كان) في القرآن الكريم

عندما يكون اسمه لفظ الجلالة مثل " وكان الله سميعا بصيرا " " وكان الله عليما حكيمًا " .

و(قَلَّ) فعلٌ متصرفٌ، إلا أن من النحاة من جعله غير متصرفٍ في أسلوب خاص به لا يتعداه وهو " قَلَّ رجلٌ يفعلُ ذلك " بمعنى " ما رجلٌ يفعل ذلك " ولما كان الفعلُ (قَلَّ) هنا يساوي (ما) الحرفية في المعنى، فقد مُنِعَ من التصرف لشبهه بالحرف . وَلَمْ نُؤَيِّدِ النُّحَاةَ في ذلك ، لأنهم لم يأتوا بشاهد، واعتمدوا على مثال من صنعهم ، ولم يذكر سيبويه هذه المسألة في كتابه ثم إن قولهم إنَّ (ما) تساوي (قل) فيه نظرٌ ، فعلاقة المساواة هذه تجدها في المسائل الرياضية وهي بعيدة عن اللغة أو قُلْ غريبة عليها .

والفعل (سقط) غير متصرف في استعمال بعينه، وبديل حينئذٍ على الحسرة والندم ، وهذا الاستعمال هو (سُقِطَ في يده) ويكون الفعل (سقط) في هذا الاستعمال مقصوراً على الماضي الذي لم يُسَمَّ فاعله دون إسناد أية ضماير له ، فلا يُقال يسقط ولا سقطوا ولا يسقطون ... وهذا التركيب لم يعرفه العرب إلا بعد نزول القرآن حيث جاء في الآية التاسعة والأربعين بعد المائة من سورة الأعراف " ولما سُقِطَ في أيديهم ورأوا ... " ولم يُعرف قبل ذلك .

ومن النحاة من يُعَدُّ (عَمَّ) في (عم صباحاً) غير متصرفٍ لا يأتى منه مضارعٌ ولا ماضٍ ، أي أنهم لم ينطقوا بـ(وَعَمَّ) (يَعَمُّ) . ومن النحاة من لا يعد (وعم يعم عم) أصلاً مستقلاً بنفسه، بل إن

(يَعْم) عندهم محذوفٌ من (يَنْعِم) ، ولذلك أجازوا (عم صباحا)
 بفتح العين وكسرها كما يقال انعم وانعم . ونحن لا نميل الى هذا
 الرأي ، كما أنَّ القول بأن المضارع غير مستعمل مردودٌ بقول امرئ
 القيس :

..... * * * وهل يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي

ثم كرر المضارع بعد ذلك مرتين .

أما الماضي فلم نعثر على شواهد لاستعماله ، ولكننا
 لا نستبعد استعماله فقد ذكر الأزهري عن يونس بن حبيب أنه قال
 وَعَمَّتْ الدَّارَ ، أَعِمُّ وَعَمَّا أي قلت لها انعمي .

ومن النحاة من يرى الفعل (ينبغي) فعلاً غير متصرفٍ مقصوراً
 على المضارع ليس غير ، ولا نرى رأيهم ، بل إن ماضيه مستعملٌ
 أيضاً بدليل ما جاء في نوادر أبي زيد الأنصاري وما نص عليه
 بعض أصحاب المعاجم ، أما الأمر منه فالقياس لا يابى مجيئه (انبغ)
 ولكنه غير مستعمل ؛ لأن معناه في الأمر بعيدٌ عن أية مناسبة
 تستدعي استعماله ، وما كان لإنسان أن يخاطب آخر أو يأمـره
 بقوله : انبغ . وهذا يماثل فعل الأمر (انكسر) .

ومن الأفعال غير المتصرفة التي تبقى في حالة المضارع
 المنسوب إلى المتكلم الفعل (أَهْلَمْ) بمعنى أقبل ، وهو جواب لمن
 قيل له (هَلَمْ) وفيه عدة لغات ولم أجد شواهد لاستعماله ، والصنعة
 والقياس لا يابيان مجيء الماضي فيقال هَلَمْمْتُ كَصَعَّرْتُ وَشَمَلْتُ على
 وزن فَعَلْتُ . وهَلَمْ لم يزل مستعملاً حتى الآن ، ولكن جوابـه
 أهلم هو الذي هجر ، ولم يمسد مستعملاً .

ومنها- في رأي بعض النحاة - (ها) بمعنى (خذ) وفيها
لغات ثلاث - بينها في موضعها - وهي فيها ملازمة لميغة الأمر
دون الماضي أو المضارع ، ولا تُعَدُّ في هذه اللغات أسماء أفعال ،
وكما أنَّ (أَهْلُمْ) رَدٌّ وجوابٌ عن (هَلَمْ) فإنَّ (هَاءَ) لها جوابٌ وهو
(آهَاءُ) وهو فعل متصرفٌ لم يأت منه إلاَّ المضارعُ المنسوبُ إلى
المتكلم . وهذا الفعل بلغاته الثلاث قد أُمِيت ولم يبق منه
إلاَّ العنصرُ الإشاريُّ الذي نجدُه في أول أسماء الإشارة .

والفعل (هات) بقى هو وحده دون ماغيه هَاتِي ومضارعُ
يَهَاتِي اللذين أُمِيتا ، وقد ذُكِرَا في أكثر من مرجع وعدّه الزمخشريُّ
وشارحُ معجمه ابنُ يعيش - دون النحاة - اسمَ فعلٍ ، وجَعَلَا (هَيَّتَا)
أصلَ مادَّته ، وهذا خطأ، فإنَّ أصلَه الثلاثي : هتا مثل عطى .
وربما كانت الهاءُ التي في أول (هات) هي التي أوهمت الزمخشريُّ
وابنُ يعيش أنه اسمُ فعلٍ؛ لأنَّ كثيراً من أسماء الأفعال والأصوات
تبدأ بهذا الصوت (الهاء) ، ومن أجل دفع هذا التوهم رأى بعضُ
النحاة أنَّ الهاءَ فيه مبدلةٌ من الهمزة لاصل آتَى يُؤَاتِي ،
ولا نستبعدُ ذلك فهناك كثيرٌ من حالات هذا الإبدال مدعومةٌ بالشواهد.

و(تَعَالَ) فعلٌ أمرٌ متصرفٌ بشرط قصره على أسلوب
النداء بمعنى : اقْبَلْ . أما إذا استعمل في غير النداء فهو
متصرف .

و(يَهِيْطُ) فعلٌ مضارعٌ غيرٌ متصرفٌ بمعنى يَمِيح وقد أُمِيتَ
هذا الفعل ، بعد أن كان مستعملاً ، يدل على ذلك أن ما اقتصرن
بهذا الفعل من أفعال (وهي ماط وساط وعاط) مستعملةٌ ولهها
شواهدٌ في كتب الأدب : ويبدو أن (يهيط) كان من نطق عسوام
العرب ، بدليل اختلاف عين المصدر عندهم وهو أيضاً غيرٌ مستعمل؛

مُهَايَظَةٌ وَمُعَايَظَةٌ وَمَعَايَظَةٌ وَمَسَايَظَةٌ .

كذلك الفعل (يَسَوِي) بمعنى (يساوي) وقد أنكر أكثر من نحوي ولغوي وجودَ هذا الفعل أو حكموا بندرته . ونظن أن يسوي معدولة عن يساوي وهذا الاصطلاح - العدل - أخذناه من باب الممنوع من الصرف كأن تقول : عمرُ معدولٌ عن عامرٍ وزفرُ معدولٌ عن زالمِ ، وربما كان هذا (العدل) - إن صحَّ هذا التعبيرُ - لهجةً من لهجات العرب ، أو هو للتخفيف من المد الذي في يساوي ، أو أنه كان نطقاً نفيراً من العرب ثم انقرض هذا النطق بعد ذلك .

و(نَكَرَ) لم يستعمل إلا ماضياً . ونَكَرَ وَأَنكَرَ لغتان، ولكن المضارع (يُنَكِّرُ) يستعمل للثنيين، ولم يجر المضارع من (نَكَرَ) الذي هو الأمل في رأينا ، ثم تعدى بالهمزة وأصبح (أَنكَرَ) واستعمل مضارعه للثنيين الثلاثي والرباعي بعد أن هجر (يُنَكِّرُ) بفتح الياء .

و(هَدَّ) فعل متصرف بمعنى هَدَمَ وَكَسَرَ ، ولكنه في استعمال خاص دال على المدح لم يجر إلا ماضياً ، وذلك في مثل " مسررتُ برجلي هَدَّكَ من رجلٍ " ، أي " أثقلتُ وصفَ محاسنه " وواضح أن هناك علاقةً معنويةً بين الفعل (هَدَّ) بمعناه العام وبين معناه في المدح " أثقلتُ أو أعجزك وصفَ محاسنه " . على أني لم أجد شاهداً على هذا الاستعمال ، بل رأيتُ شاهداً على استعماله للتعجب كالقول أبي لهب " لَهْدَ مَا سَحَرَكُمُ صَاحِبُكُمْ " .

هذا وبالله وحده التوفيق ،،،

فهرس بالمصادر والمراجع

- (١) الاشتقاق لابن دريد : تحقيق عبدالسلام هارون : ط المثنى
بغداد ١٩٧٩ .
- (٢) الاشتقاق لمبدالك أمين : لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٥٦ .
- (٣) الأشباه والنظائر للسيوطي : حيدر آباد الهند ، ١٣٥٩ هـ .
- (٤) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : دار الثقافة بيروت ١٩٧٤ .
- (٥) أقسام الكلام العربي : د. فاضل مصطفى الساقى ، الخانجسي
مصر ، ١٩٧٧ .
- (٦) أمالي السيد المرتضى : ط السعادة بمصر ، ١٩٠٧ .
- (٧) أمالي الزجاجي : ط القاهرة ، ١٣٨٢ هـ .
- (٨) إنباه الرواة على أنباء النحاة للوزير جمال الدين القفطسي
تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم : دار الكتب
١٩٥٠ .
- (٩) الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنباري : ط صبيح ١٩٥٣ .
- (١٠) أوضاع المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام : تحقيق محمد
محيى الدين . ط السعادة بمصر ، ١٩٤٩ .
- (١١) البحر المحيط لأبي حيان : مطبعة السعادة مصر ١٣٢٨ هـ .

- (١٢) البرهان في علوم القرآن : لبدر الدين الزركشي : تحقيق
محمد أبي الفضل إبراهيم إحياء الكتب العربية ،
١٩٥٩ .
- (١٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي : تحقيق
محمد أبي الفضل إبراهيم ط الحلبي ، ١٩٦٤ .
- (١٤) تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر اسماعيل بن حماد
الجوهري : تحقيق احمد عبدالغفور عطا دار الكتاب
بمصر .
- (١٥) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك : تحقيق كامل
بركات دار الكتاب بمصر ، ١٩٦٧ .
- (١٦) التطور النحوي لبرجشتراسر مطبعة السماح بمصر ١٩٢٩ .
- (١٧) الجامع لأحكام القرآن للطبري دار الكتب ، ١٩٤٠ .
- (١٨) جامع البيان في تأويل القرآن للقرطبي : تحقيق محمد
شاكر واحمد شاكر دار المعارف بمصر دون تاريخ .
- (١٩) حاشية الجمل على الجلالين وبهامشه اعراب القرآن للعكبري
المكتبة التجارية الكبرى ١٩٣٣ .
- (٢٠) حاشية الصبان على شرح الأشموني . المكتبة التجارية بمصر
دون تاريخ .
- (٢١) خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادلي : تحقيق
عبدالسلام هارون دار الكتب العربي ، ١٩٦٩ .
- (٢٢) الخصائص لابن جني . تحقيق محمد علي النجار ط دار الكتب
١٩٥٥ .

- (٢٣) دراسات نحوية في خصائص ابن حنى للدكتور أحمد سليمان
دار النشر الجامعي ، ١٩٨٥ .
- (٢٤) ديوان الأعشى : تحقيق د. محمد محمد حسين. بيروت
١٩٦٨ .
- (٢٥) ديوان الحماسة لأبي تمام تحقيق محمد عبد المنعم خلفا جى ،
ط ، صحيح ، ١٩٥٥ .
- (٢٦) ديوان كثير عزة شرح الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة
بيروت .
- (٢٧) ديوان لبيد : شرح الدكتور احسان عباس ط الكويت .
- (٢٨) شذا العرف في فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوي : ط الحلبي
بمصر ، ١٩٥٥ .
- (٢٩) شذور الذهب لابن هشام . التجارية الكبرى بمصر ١٩٥٧
- (٣٠) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك التجارية الكبرى بمصر
١٩٦٤ .
- (٣١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك تحقيق محمد محيسن
الدين ط .
- (٣٢) شرح التمرحيم على التوضيح : خالد الأزهرى : التجارية
الكبرى بمصر دون تاريخ .
- (٣٣) شرح ديوان امرئ القيس للأستاذ حسن السندوبي . التجارية
الكبرى بمصر ، ١٩٥٣ .
- (٣٤) شرح ديوان جرير محمد اسماعيل الماوي. التجارية الكبرى
دون تاريخ .

- (٣٥) شرح ديوان الفرزدق : عبد الله ابراهيم الصاوي التجارية الكبرى ١٩٣٦ .
- (٣٦) شرح ديوان المتنبي للعكبري . ط الحلبي ، ١٩٥٤ .
- (٣٧) شرح شواهد المغنى للسيوطي : المطبعة البهية بمصر ، دون تاريخ .
- (٣٨) شرح الكافية للرضي الاسترأبادي : ط استنبول : دون تاريخ
- (٣٩) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الانباري : تحقيق عبدالسلام هارون دار المعارف ، ١٩٦٨ .
- (٤٠) شرح المعلقات السبع للزوزني مكتبة القاهرة ١٩٦١ .
- (٤١) شرح المفصل (مفصل الزمخشري) لابن يعيش المنبرية بالقاهرة دون تاريخ .
- (٤٢) شعر الأطل تعليق وشرح الأب أنطون صالحاني اليسوعي : المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٨٩١ .
- (٤٣) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك . دار العروبة بمصر ١٩٥٧ .
- (٤٤) الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب لابن فارس : تحقيق مصطفى الشويخي بيروت ، ١٩٦٤ .
- (٤٥) العقد الفريد لابن عبد ربه : دار الكتب العلمية بيروت ١٩٦٥
- (٤٦) علم اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي : مكتبة النهضة ١٩٤٤ .
- (٤٧) الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية : جورج زيدان : ط الهلال سنة ١٩٥٨ .

- (٤٨) في علم اللغة التقابلي للدكتور أحمد سليمان : دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥ .
- (٤٩) في النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي : ط بيروت ، ١٩٦٤ .
- (٥٠) القاموس المحيط للفيروز آبادي .
- (٥١) الكتاب لسبويه : ط المشنى مصورة عن ط بولاق سنة ١٣١٦هـ .
- (٥٢) الكشف عن حقائق التنزيل وبيان التأويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري : بيروت دون تاريخ .
- (٥٣) لسان العرب لابن منظور .
- (٥٤) اللغة لفندريس ترجمة الأستاذين القصاص والدواخلي الأنجلو المصرية ١٩٥٠ .
- (٥٥) اللغة والنحو للدكتور حسن عون مطبعة رويال بالاسكندرية ١٩٥٤ .
- (٥٦) اللغة العربية : معناها ومبناها للدكتور تمام حسان . الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣ .
- (٥٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق فؤاد سزكين الخانجي ١٩٥٤ .
- (٥٨) مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسابوري المعروف بابن الأثير الناشر : عبد الرحمن محمد . الأزهر . مصر . ١٩٥٢ .
- (٥٩) مختار الشعر الجاهلي : جمع الأستاذ مصطفى السقا . الحلبي مصر . ١٩٤٨ .

- (٦٠) المخصص لابن سيده المرسى بولاق ١٣١٩ .
- (٦١) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي . نهضة مصر ١٩٥٥ .
- (٦٢) المزهر للسيوطي تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ط الحلبي
دون تاريخ .
- (٦٣) معجم البلدان لياقوت الحموي ط بيروت ١٩٥٥ .
- (٦٤) مغنى اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام تحقيق مسازن
المبارك وآخرين بيروت ، ١٩٧٩ .
- (٦٥) المفصل فى قواعد اللغة السريانية وآدابها . للأبراشي
وآخرين ط الأميرية بولاق .
- (٦٦) المفطليات للمفضل الضبي : تحقيق شاكر وهارون دارالمعارف
١٩٦٣ .
- (٦٧) معانى القرآن لأبي زكريا الفراء : تحقيق محمد على النجار
الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر دون تاريخ
وهناك طبعة أخرى للهيئة المصرية العامة للكتاب .
- (٦٨) النحو الوالى للمرحوم عباس حسن ط دار المعارف ١٩٦٣ .
- (٦٩) نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنباري. تحقيق إبراهيم
السامرائي : دار المعارف بغداد سنة ١٩٥٩ .
- (٧٠) الإنهاية فى غريب الحديث لأبي السعادات بن محمد الجـزري
المعروف بابن الأثير . ط الخيرية بمصر دون تاريخ .

- (٧١) النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري بيروت ١٩٦٧ .
- (٧٢) النواسخ الفعلية والحرفية . للدكتور أحمد سليمان . دار المعارف ١٩٨٤ .
- (٧٣) همع الهوامع شرح جمع الحوامع للسيوطي : ط بيروت
دون تاريخ .

الدوريات :

- مجلة مجمع اللغة العربية : الجزء الرابع ١٩٣٧ .
- الجزء الحادي عشر ١٩٥٩ .

مراجع أجنبية :

- 1 - A. Dictionary of Theoretical Linguistics. by M.El - Khouli, Librarie Liban 1982.
- 2 - Fundamental Problems of Phonetics. by G.C. Catford Indian University Press 1982.
- 3 - A. Grammar of the Arabic Language. Translated of the German of Caspri by W. Wright - London 1875.
- 4 - A. Grammar of the Classical Arabic Language B.M. Howell London. 1883

	إهداء*
٧	مقدمة
١١	الفصل الاول
١٣	هذه الأفعال : هل هي جامدة أو غير متصرفة
٢٩	الفصل الثاني
٣١	كان وأخواتها
٤١	دام
٤٥	زال وانفك وفتى* وبرح
٤٩	الفصل الثالث
	أفعال المقاربة
٥٩	الفصل الرابع
	أفعال الشروع
٧٣	الفصل الخامس
	أفعال الرجاء*
٨٩	الفصل السادس
	أفعال القلوب
٩١	تعلم وهب
٩٥	الفصل السابع
	أفعال المدح والذم
٩٧	نعم وبئس
	حبذا ولا حبذا
١٠٤	فعل
١١٤	ساء*

١١٩	الفصل الثامن
١٢١	سيغتنا التعجب
١٣٥	الفصل التاسع
١٣٧	أفعال الاستثناء
١٤٧	الفصل العاشر
١٤٩	أفعال متفرقة
١٥١	وذر - ودع
١٥٦	كذب عليك
١٦١	تبارك
١٦٤	قل
١٦٧	سقط في يده
١٧١	عم مباحا
١٧٥	ينبغي
١٧٨	أهلم وهـ
١٨٣	هات وتعال
١٨٩	يهيط ويسوي
١٩٣	نسكر
١٩٦	هد
١٩٧	نتائج البحث
٢١٧	فهرس بالمصادر والمراجع



